المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
بمكة المكرمة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
مركز الدراسات العليا
الإسلامية المسائية

الانحراف في الاعتقاد
أسبابه ومظاهره وعلاجه في الإسلام

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في
الدراسات الإسلامية
بمركز الدراسات العليا الإسلامية المسائية

إعداد الطالب :-
سليمان بن محمد سعيد بن إبراهيم العوفي
إشراف الدكتور :-
أحمد بن ناصر الحمد

١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم



صدق الله العظيم

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم :

من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً

سهّل الله له طريقاً إلى الجنّة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستهديه ، ونستغفره ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بلّغ الأمانة ، ونصح الأمة، وتركها على المحجة البيضاء لايزيغ عنها إلا هالك وبعد :-

فقد منّ الله على هذه الأمة إذ بعث فيهم نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بأكمل دين ليخرجهم به من عبادة الطواغيت إلى عبادة الواحد القهار، وقد تكفّل تعالى بحفظ كتابه من التحريف ، والتبديل ، والزيادة،والنقصان قال تعالى : " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون "(١) ، ليكون تشريعاً خالداً للبشرية جمعاء إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وقد اعتنق هذا الدين الإسلامي رجال نشروه بين الناس ، وحققوا مفهوم لا إله إلا الله فى واقع حياتهم ، وحكموا كتاب الله،وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فأيّدهم الله بنصره حيث استقاموا على شرعه ، وقد بدأت طلائع الغزو الفكرى للمجتمعات الإسلامية رويداً ، رويداً ، وبدا الضعف يلوح فى الأمة الإسلامية حين انحرفت عن الدين الإسلامي السليم ، ثم مالبثت أعراض الأمراض الفكرية تظهر على الساحة الإسلامية بصور شتّى لابسة ثوب الخداع ، وبادية البريق بما يكفى لتضليل كثير من البلهاء .

وكان لجانب الاعتقاد النصيب الأوفر من الانحراف ، وهذا ماحرص عليه أعداء المسلمين، فهم يدركون أنه متى اهتزت عقيدة الشخص هان عليه بعد ذلك ارتكاب أى انحراف يخالفها غير مبال بذلك؛لأنه حينئذٍ يضعف الوازع الدينى عنده وهذا ماحصل بالفعل فى واقع الأمة الإسلامية ؛ فإن سبب انحطاطها بعدها عن حقيقة لا إله إلا الله ، وأن العلاج لتلك الأمراض يبدأ من تصحيح مفهوم الناس لمدلول تلك الحقيقة ، و إزالة كل ماينافيها من بدع، وخرافات .

---
(١) سورة الحجر : اية (٩).

وقد وفّقنى الله عز وجل أن أختار رسالتى للماجستير فى موضوع " الانحراف فى الاعتقاد أسبابه ، ومظاهره ، وعلاجه فى الإسلام " ، وكان الغرض منه هو معالجة تلك الانحرافات الاعتقادية التى كثرت ، وانتشرت من قديم الزمان ، حتى الآن وقد آثرت هذا الموضوع على غيره لعدة أسباب أهمها :-

١ - أن هذا الانحراف يمس أغلى ماعند الإنسان ، عقيدته حيث إن الواجب عليه أن يفديها بماله ، ونفسه .

٢ - أن هذا الموضوع لم يضمّه موءلف واحد على حد علمي ومعرفتى - من وجهة النظرة الإسلامية .

٣ - أن هذا الموضوع يخامر فكرى كثيراً حتى قبل هذه المرحلة فرأيت الفرصة سانحة لتسجيله موضوعا لرسالتى .

لهذا آثرت الكتابة فى هذا الموضوع مع علمي بصعوبته خدمة لدين الله ، واستهانة بالمتاعب فى سبيله فاستعنت بالله ، وشرعت فى القراءات فى مصادره ، ومراجعه مسترشداً بالتوجيهات القيمة ، والآراء الصائبه التى كان أستاذى الفاضل الدكتور / أحمد بن ناصر الحمد يزودنى بها باستمرار موجهاً أولاً ، ومشرفاً ثانياً .

وقد اعترضتنى فى البحث صعوبات كثيرة :
كطول الموضوع ، وتشعّبه ، وضيق الوقت حيث إننى لست متفرغاً ، كما أن ازدواجية المراجع بالنسبة لهذا الموضوع كانت عامل سلب بالنسبة للوقت .

وقد استعنت بالله ، وشرعت بالكتابة فيه ، وكنت أعرض جميع ما أكتبه فى هذه الرسالة على المشرف وكان من خلال ذلك يتفضل بتوجيهاته ، و إرشاداته عند كل جملة بل عند كل كلمة فجزاه الله خير الجزاء .

وقد قسمت موضوع رسالتى إلى تمهيد ، وبابين ، وخاتمه

أما التمهيد : فقد خصصته فى الكلام على الاستقامة ، والانحراف "

وفيه أربعة مباحث :

- المبحث الأول : فى بيان حد الاستقامة ، والانحراف .

- المبحث الثانى : فى بداية الانحراف البشرى .

- المبحث الثالث : فى بيان أثر الأمراض النفسية على الانحراف .

- المبحث الرابع : فى تربية الإسلام لأبنائه على الالتزام .

أما الباب الاول : فقد جعلته فى عرض الأسباب الرئيسة للانحراف فى الاعتقاد وعلاجه ، وقد اشتمل على ثمانية فصول .

- الفصل الاول : " ضعف العقل " ، وهو السبب الأول .

- الفصل الثاني : " الجهل " ، وهو السبب الثانى .

- الفصل الثالث : " التقليد الأعمى " وهو السبب الثالث .

- الفصل الرابع : " المؤثرات الأجنبية الملحدة " وهي السبب الرابع .

- الفصل الخامس : " اتباع الخرافات " وهو السبب الخامس .

- الفصل السادس : " المبالغة ، والغلو فى الدين ، وفى تقديس العظماء من الناس " وهو السبب السادس .

- الفصل السابع : " اتباع الشهوات ، والأهواء،والشبهات " وهو السبب السابع .

- الفصل الثامن : " الثقة بأعداء الدين " وهو السبب الثامن .

أما الباب الثاني : فقد خصصته لبيان مظاهر الانحراف فى الاعتقاد ، وعلاج ذلك فى الإسلام، وقد اشتمل على ستة فصول هي المظاهر وهي :

- الفصل الاول : الانحراف فى مفهوم أركان الإيمان الستة ، وعلاجه فى الإسلام واشتمل على ستة مباحث هي :-

- المبحث الاول : الانحراف فى مفهوم الإيمان بالله وعلاجه فى الإسلام، وقد اشتمل على ثلاثة مطالب هى :-

- المطلب الاول : الانحراف فى مفهوم توحيد الربوبية .

- المطلب الثاني : الانحراف فى مفهوم توحيد الألوهية .
- المطلب الثالث : الانحراف فى مفهوم توحيد الأسماء، والصفات .
- المبحث الثاني : الانحراف فى مفهوم الإيمان بالملائكه ، والجن، وعلاجه فى الإسلام.
- المبحث الثالث : الانحراف فى مفهوم الإيمان بالكتب المنزلة من السماء ، وعلاجه فى الإسلام.
- المبحث الرابع : الانحراف فى مفهوم الإيمان بالرسل ، والأنبياء ، وعلاجه فى الإسلام.
- المبحث الخامس : الانحراف فى مفهوم الإيمان باليوم الآخر ومايكون فيه ، وعلاجه فى الإسلام.
- المبحث السادس : الانحراف فى مفهوم الإيمان بالقدر خيره وشره ، وعلاجه فى الإسلام.
- الفصل الثاني : فى بيان الانحراف فى مفهوم حقيقة الإيمان ، ومرتكب الكبيرة ، والغلو فى التكفير ، وعلاج ذلك فى الإسلام .
- الفصل الثالث : فى بيان الانحراف فى الولاء ، والبراء ، وعلاج ذلك فى الإسلام .
- الفصل الرابع : فى بيان الانحراف فى الأولياء ، وكراماتهم ، وعلاج ذلك فى الاسلام.
- الفصل الخامس : فى بيان الانحراف فى مفهوم الإمامة الكبرى ، وعلاجه فى الإسلام .
- الفصل السادس : فى بيان أهم النظريات، والاتجاهات المنافية للعقيدة والأخلاق الإسلامية ، ونقدها وتحته مبحثان :-
- المبحث الأول : أهم النظريات المنافية للعقيدة والأخلاق الإسلامية ، ونقدها .
- المبحث الثاني : أهم الاتجاهات المنافية للعقيدة الإسلامية والسلوك القويم ، ونقدها .

- الخاتمة : وسأعرض فيها إن شاء الله أهم النتائج التى أتوصل إليها من خلال البحث ، واسأل الله التوفيق ، والسداد ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

التمهيد

المبحث الأول : حد الاستقامة . والانحراف .

" الثاني : بداية الانحراف البشري .

" الثالث : أثر الأمراض النفسية على الانحراف .

" الرابع : تربية الإسلام لأبنائه على الالتزام .

" تمهيـــــــــــد "

الاستقامة تعنى لزوم المنهج المستقيم[١] ، والانحـراف تنكـب عنـه ، ويشـــير إلـى ذلـك قوله تعالى : " وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولاتتبعوا السبـــل فتفرق بكم عن سبيله ذلكـم وصاكـم به لعلكـم تتقـــون " [٢] .

روى ابن ماجة بسنده عن جابر بن عبدالله قال : " كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فخط خطاً ، وخط خطين عن يمينه ، وخط خطين عن يساره ، ثم وضع يده فى الخـط الأوسط فقال : هذا سبيل الله ثم تلا هذه الآية [٣] .

وليس الانحراف فى الاعتقاد جديداً على الناس ، ولاهو من مبتدعات هـــــــذا العصر ، بل هو امتداد للانحراف فـى البشريـــة فجذوره قديمة قدم البشرية نفسهـــا ، وهذا ماسنحاول التعرف عليه من خلال المباحث التالية :-

---

(١) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن : للراغب الاصفهاني ، ص ٤٣٣ .

(٢) سورة الأنعام : آية (١٥٣) .

(٣) سنن ابن ماجه : المقدمة ، ٦/١ وأخرجه الحاكم عن ابن مسعود (انظر المستدرك : ٣١٨/٢) وأخرجه ابن جرير فى تفسيره : ٨٩/٨ ، ورواه اللالكائى عن جابر بنحـوه وذكر المحقق أن سنده ضعيف لأن فيه مجالد بن سعيد (انظر شرح أصول اعتقاد أهـــل السنة والجماعة : ٨١/١) .

المبحث الأول

حد الاستقامة،والانحراف :-

الاستقامة لغة : هي الاعتدال ، والاستواء ، والثبوت .

يقال : استقام الأمر ، وقام الشيء ، واستقام إذا اعتدل ، وأقمت الشيء، وقومته بمعنى استقام، وقام ميزان النهار إذا انتصف .

و" القَوام " : بالفتح العدل ، والاعتدال ، ومنه قوله تعالى : " وكان بين ذلك قواماً" (١)

ويقال : قام الشيء : إذا ثبت عليه(٢) ، ومن استعمالها بمعنى الثبوت قوله تعالى : " من أهل الكتاب أمة قائمة(٣) " : أى ثابتة على الحق . (٤)

تعريف الاستقامة اصطلاحاً :-

اختلف فى تعريفها على عدة أقوال نورد منها مايلى :-

١ - هي الثبات على الطاعة.(٥)

٢ - أنها الوفاء بالعهود ، وملازمة الصراط المستقيم، برعاية حد التوسط من الطعام، والشراب ، واللباس ، وكل أمر : دينى ، أودنيوى . (٦)

٣ - هي كلمة جامعة آخذه بمجامع الدين، وهي القيام بين يدى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على حقيقة الصدق، والوفاء، وهي تتعلق بالأقوال، والأفعال ،والأحوال ، والنيات ، فالاستقامة فيها وقوعها لله ، وبالله ، وعلى الله . (٧)

٤ - ويمكن تعريفها : بأنها موافقة الشرع أمرا ، ونهيا ، و إباحة .

والمراد بموافقة الشرع : امتثال الأوامر ، واجتناب النواهي، والثبوت على ذلك على حد قوله تعالى : " واعبدوا الله ، ولاتشركوا به شيئاً"(٨) فإن عدم الإشراك شرط

---

(١) سورة الفرقان : آية (٦٧).

(٢) انظر معجم مقاييس اللغة: لأحمد بن فارس، ٤٣/٥ مادة " قوم" ، ولسان العرب لابن منظور، ٤٩٨/١٢ ومابعدها مادة"قوم" ، والمصباح المنير : للفيومى، ١٨٠/٢

(٣) سورة آل عمران : آية (١١٣).

(٤) انظر معجم مفردات الفاظ القرآن : ص ٤٣٢.

(٥) قال عمر بن الخطاب ذلك وهو على المنبر حينما تلا قوله تعالى : " إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا"سورة فصلت : آيه(٣٠) وقد رواه ابن جرير عن ابن منيع عن عبدالله ابن المبارك عن يونس بن يزيد عن الزهرى (أنظر تفسير الطبرى، ١١٥/٢٤).

(٦) انظر التعريفات : للجرجانى ، ص١٩.

(٧) انظر مدارج السالكين : ١١٠/٢ ومابعدها .

(٨) سورة النساء : آية (٣٦).

في صحة العبادة ، ويكون ذلك بفعل المأمورات ، وترك المحظورات حسبما ورد به الشرع ، وكذلك الإباحة : لابد من موافقتها للشرع بأن تكون على حد الاعتدال من غير إفراط ، ولاتفريط ، ويدل على ذلك قوله تعالى : " وكلوا واشربوا ولاتسرفوا "(١) وقوله تعالى : "والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ، ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً "(٢)

تعريف الانحراف :-

لغة : يدور معنى لانحراف لغة على : العدول ، والميل ، والتغيير .
يقال : انحراف عنه ، وتحرَّف ، واحْرَوْرَفَ : إذا مال ، وعدل ، وحرَّفَ القلم قطعه محرفاً (٣).

١ - ومن استعماله بمعنى العدول قول الشاعر :

وإن أصاب عدواء احرورفا عنها وولاها ظلوفاً ظلفاً (٤)

٢ - ومن استعماله بمعنى الميل ماحكاه ابن منظور من قولهم : حورف كسب فلان إذا شدد عليه في معاملته وضيق في معاشه ، كأنه ميل برزقه عنه (٥) .

٣ - ومن استعماله بمعنى التغيير قوله تعالى : " يحرفون الكلم عن مواضعه (٦) " أي يغيرونه لفظاً ، ومعنًى (٧) .

تعريف الانحراف اصطلاحاً :-

لم أقف على كتاب معين تعرض لتعريفه حسب اطلاعي على كتب المصطلحات(٨)، ولكن من خلال التعريف اللغوى له يمكن القول: بأنه يقابل الاستقامة وهو الاعوجاج فهو إذاً : مخالفة الشرع أمراً ، ونهياً، و إباحة .

---

(١) سورة الأعراف : آية (٣١) .
(٢) سورة الفرقان : آية (٦٧).
(٣) انظر الصحاح : للأزهرى، ١٣٤٣/٤، ولسان العرب: ٤٣/٩ مادة "حرف" ، والمصباح المنير : ١٤٠/١.
(٤) هذا البيت للعجاج يصف ثورا يحفر كناسا (أنظر لسان العرب : ٤٣/٩ مادة "حرف") .
(٥) انظر لسان العرب : ٤٣/٩ مادة " حرف " .
(٦) سورة المائدة : آية (١٣).
(٧) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن : ص ١١٣ .
(٨) لكن وجدت تعريف الإلحاد في فتح رب البرية بتلخيص الحموية : للشيخ محمد الصالح العثيمين بأنه : الميل عما يجب اعتقاده أو عمله (انظر ذلك ص ١٢).

فمخالفة الشرع فى الأوامر ، والنواهي ، والإباحة اعوجاج عن الصراط المستقيم، ويكون بترك الأوامر، وارتكاب النواهي ، وعدم الاعتدال فى الأمور المباحة: كالإسراف فى الأكل والشرب ، واللباس كمًّا ، وكيفًا .

المبحث الثاني

بداية الانحراف البشرى :

قبل الانحراف البشرى كان انحراف إبليس[1] عن الصراط المستقيم حيث لم يستجب لأمر ربه عندما أمره الله بالسجود لآدم فاستكبر، واعتمد فى شبهته على عقله الناقص، ومقاييسه الخاطئه فى تبرير فعلته ، وتكبره كما أخبر تعالى عنه بقوله : " أنا خير منه خلقتنى من نار ، وخلقته من طين "[2] .

وجزاء لتكبره ، وتمرده ، وعصيانه لربه كتب الله عليه لعنته إلى يوم الدين ، فتضرع إلى ربه أن يجعله من المنظرين إلى يوم الدين ، وعندما أجيب طلبه أخذ فى إغواء بعض أفراد البشرية ، و إضلالهم عن الصراط المستقيم، إذ ما من انحراف بشرى إلا كان وراءه كيد الشيطان ، وغروره ، ووسوسته و إن اختلفت الأساليب[3] ، يدل على هذا قوله تعالى مخبراً عنه " قال : فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ، ومن خلفهم ، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم ، ولاتجد أكثرهم شاكرين "[4]

فاتضح بهذا أن إبليس هو آلة انحراف البشرية عن الاستقامة ، وقد كانت حكمة الله من هذا التضاد بين إبليس وبنى آدم تكليف عباده بالتزام الأوامر ، واجتناب النواهي ليترتب على ذلك الجزاء على الأعمال من الثواب للمطيعين ، والعقاب للعاصين والمنحرفين ، وبهذا يمكن أن نرجع الانحراف البشرى من بدايته إلى الدوافع التالية :-

---

(١) معناه فى اللغة : اليأس ، والندم يقال : أبلس من رحمة الله ، ومنه سمي إبليس وكان اسمه عزازيل (انظر لسان العرب: ٦/٢٩ مادة" بلس ") .

(٢) سورة الأعراف : آية (١٢) .

(٣) انظر المذاهب المعاصره ، وموقف الاسلام منها : د . عبدالرحمن عميره ، ص ٢٨٦ وما بعدها .

(٤) سورة الأعراف : آيتا (١٦، ١٧) .



أولاً : انحراف بدافع إغواء الشيطان،وغروره :-

فهو الذى تسبب فى عصيان آدم لربه حينما أمره بالأكل من الشجرة التى نهاه اللـــه عن قربها ، فأطاع عدوه ، وعصى ربه ، وقد جاء ذكر ذلك فى ثلاث سور من القرآن ، والقصد من ذلك التحذير لبنى آدم من عدوهم إبليس قال تعالى : " وقلنا يا آدم اسكن أنــت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ، ولاتقربا هذه الشجرة[1] فتكونا من الظالمين، فأزلّهمـــا الشيطان عنها ، فأخرجهما مما كانا فيه ، وقلنا : اهبطوا بعضكم لبعض عدوولكم فـــــى الأرض مستقر ومتــاع إلى حين ، فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم"[2].

وقال تعالى : " ويآآدم أسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ، ولاتقربـــــا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ووري عنهما مـــــن سوآتهما ، وقال : مانها كما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين ، أوتكونا من الخالدين، وقاسمهـا إنى لكما لمن الناصحين ، فدلاهما بغرور ، فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهمـــا ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تكلما الشجرة ، وأقـــل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين، قالا : ربنا ظلمنا أنفسنا و إن لم تغفر لنا وترحمنـــــــا لنكونن من الخاسرين ، قال : اهبطوا بعضكم لبعض عدوولكم فى الارض مستقر ومتاع الـــى حين "[3] .

وقال تعالى : " فوسوس إليه الشيطان وقال : يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملـــك لايبلى فأكلا منها فبدت لهما سوآتهـا وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وعصىآدم ربـــه

---

(١) قيل : شجرة التين ، وقيل : الكرم (أنظر الجامع لأحكام القرآن : ٨١/٧) .
(٢) سورة البقرة : الآيات (٣٥ - ٣٨) .
(٣) سورة الأعراف : الآيات (١٩ - ٢٤) .

فغوى ، ثم اجتباه ربه فتاب عليه ، وهدى قال : اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى "(١)

وهذه الآيات تقرر مايلى :-

أ - أن الله أسكن آدم وزوجته الجنة ، وأباح لهما كل مافيها إلا شجرة عرّفها ، وعينها لهما ، وأبان لهما أنهما ان أكلا منها كانا ظالمين .

ب - حذرهما من عدوهما إبليس ، وأوضح لهما مايسعى إلى تحقيقه وهو إخراجهما من الجنة.

جـ - إن أول انحراف فى البشرية كان بسبب ابليس ، ويظهر ذلك من محاولاته المتكررة فى إغواء آدم وحواء للأكل من الشجرة بالوسوسة لهما مستعملا أساليب الخداع لاضلالهما عن الصراط المستقيم " هل أدلكما على شجرة الخلد وملك لايبلى " فهذا الاغراء من الشيطان لهما جعلهما يرتكبان تلك المعصية قال ابن عباس فى تفسير قوله تعالى : "" فدلاهما بغرور " : أى أغراهما باليمين ، وقد كان يظن آدم أنه لايحلف أحد بالله كاذباً فغرهما بوسوسته لهما وقسمه (٢) لهما فى ذلك قال تعالى مخبراً عنه : " وقاسمهما أنى لكما لمن الناصحين "(٣).

د - نجاح مكيدة إبليس وأكل آدم وحواء من الشجرة التى نهاهما الله عنها .

هـ - إحساس آدم وحواء بالخطيئة وظلم النفس : " قالا ربنا ظلمنا أنفسنا (٤) "" .

و - قبول توبة آدم وحواء ويدل على ذلك قوله تعالى : " فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه"(٥).

ز - إخراجهما من الجنة كان بسبب أكلهما من الشجرة التى نهاهما الله عنها إلى مكان خلافته التى قضى الله بها سابقاً قبل إيجاد آدم بقوله تعالى : " انى جاعل فى الأرض خليفة(٦) "،ويدل على ذلك قوله تعالى : " وقلنا : اهبطوا بعضكم لبعض عدو (٧)"

---

(١) سورة طه : الآيات (١٢٠ - ١٢٣).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن : ٧/١٧٩ - ١٨١.

(٣) سورة الأعراف : آية (٢١).

(٤) سورة الأعراف : آية (٢٣).

(٥) سورة البقرة : آية (٣٧).

(٦) سورة البقرة : آية (٣٠).

(٧) سورة البقرة : آية (٣٦).

موقف السلف والخلف من قضية أكل آدم وحواء من الشجرة :-

يمكن تلخيص أقوال : السلف والخلف فى ذلك فيما يلى :-

أ - موقـــــف السلـــــف :-

إنهم يرون وقوع المخالفة لأمر الله ، والتعدى من آدم ثم التوبة والندم علـــى ماحصل ، وهذا يتفق مع ظاهر القرآن .

وقد فسر ابن جرير الطبرى قوله تعالى : " وعصى آدم ربه فغوى " بـــأن المراد : خالف أمر ربه فتعدى إلى مالم يكن له أن يتعدى من الأكل من الشجرة التـى نهاه الله عن الأكل منها ، وقوله تعالى : " ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى[١] " أى: اصطفاه ربه من بعد معصيته إياه ، فرزقه الرجوع إلى مايرضى عنه ، والعمل بطاعتـه وذلك كانت توبته التى تاب بها عليه ، وقوله : " فهدى " أى:هداه للتوبة ووفقه لها[٢] . ولايرد ماقاله ابن جرير الطبرى من تعدى آدم ماقد يفهم بعضهم من قوله تعالى: " فنسي ولم نجد له عزماً[٣] "،إذ حملوا النسيان فى الآيةعلى الغفلة عن الأمر ، والنهى[٤] فابن جرير قد أورد مقالات عن الصحابة ، والتابعين تبين فهمهم لنسيان آدم فهو يـروى عن ابن عباس : أن نسي بمعنى ترك ، وكذلك عن مجاهد قال : ترك أمر ربه ، وتفسير النسيان بمعنى : الترك ذكره ابن كثير فى تفسيره ، ونقل عن السلف مايؤيده[٥] .

---

(١) سورة طه : آية (١٢٢) .
(٢) انظر تفسير الطبرى : ١٦/٢٢٠.
(٣) سورة طه : آية (١١٥) .
(٤) انظر أحكام القرآن : لابن العربي : ١/١٨.
(٥) انظر تفسير ابن كثير : ٣/١٦٧.

ثم إن ابن قتيبة : يقرر وقوع المعصية ، والغواية - بسبب إبليس - من آدم لكنه لايقول : إن آدم عاص،أوغاو إذ لم تكن المعصية ، ولا الغواية من شأنه ، و إنما هي زلة لم تكن عن سبق عمد ، ولا إصرار حيث قال : (وقد أكل آدم من الشجرة التى نهى عنها باستنزال إبليس ، وخدائعه إياه بالله ، والقسم به أنه لمن الناصحين حتى دلاه بغرور ولم يكن ذنبه عن إرصاد وعداوة و إرهاص كذنوب أعداء الله فنحن نقول : عصى ، وغوى كما قال الله تعالى ، ولانقول : آدم عاص ، وغاو) (١) .

ويذهب ابن تيمية : إلى أن آدم اعترف أولاً بذنبه فقال : " ظلمنا أنفسنا" ولم يكن عند آدم من ينازعه الإرادة لما أمر الله به مما يزاحم الإلهية بل ظن صدق الشيطان الذى " قاسمهما إنى لكما لمن الناصحين " ، فالشيطان غرهما ، وأظهر نصحه لهما فكانا فى قبول غروره وما أظهر من نصحه ، حالهما مناسبا لقوله " ربنا ظلمنا أنفسنا" لما حصل من التفريط لا لأجل هوى (٢) .

وهناك أقوال شاذة كالذى حكاه ابن العربى من أن سعيد بن المسبب قال :إن آدم أكل من الشجرة وهو سكران ، وهذا فاسد؛لأن الله وصف خمر الجنة بأنه لاغول فيها (٣).

ب - **موقف الأشاعرة :-**

يرى كثير منهم أن أكل آدم من الشجرة كان قبل النبوة وأن آدم لم يكن نبياً حين

---

(١)تأويل مشكل القرآن : ٢٠ / ٤٠٣ .

(٢) انظر الفتاوى : ٢٨٧/١٠.

(٣) انظر أحكام القرآن : لابن العربي ، ١٨/١ ، والبحر المحيط : لأبى حيان ، ١٦١/١ وعصمة الانبياء بين المسلمين وأهل الكتاب : رسالة ماجستير مطبوعة على الآله الكاتبه لأحمد بن عبداللطيف ، ص ١٢٦ - ١٢٩ .

أكل منها ، وقد قال بهذا البغدادى[١] ، والرازى[٢] ، والإيجي[٣] ، وابن فورك[٤] ، والبيضاوى حيث قال : (وأما واقعة آدم فإنها كانت قبل نبوته ، إذ لم يكن له حينئذ أمة [٥] ، ولقوله تعالى : " ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى[٦]) .

وما استدل به البيضاوى ومن وافقه يمكن الرد عليه بما يلى :-

١ - لايشترط فى صحة النبوة وجود الأمة ، بل الوحي بالشرع مع القيود الأخرى المعتبرة فى تعريفها .

٢ - أن الاجتباء لايلزم منه أنه اختاره نبيًا بدليل قوله تعالى : "(هو اجتباكم ، وماجعل عليكم فى الدين من حرج [٧] ") .

وذهب فريق من الأشاعره[٨] إلى أن المراد بقوله تعالى : " وعصى آدم ربه فغوى[٩] " أراد وعصى أولاد آدم ، واستدلوا بقوله تعالى : " واسأل القرية[١٠] " فإن المراد سؤال أهلها ويرد على ذلك : بأن حمل قوله تعالى : " وعصى آدم ربه فغوى " على المجاز بعيد جداً ولايصح قياسه على قوله تعالى : " واسأل القرية "

---

(١) انظر الفرق بين الفرق : ص ٣٤٣ .

(٢) حيث قال : (والمختار عندنا أنه لم يصدر عنهم ذنب حال النبوة البته لا الكبيرة ، ولا الصغيرة) (التفسير الكبير : ٣/٨) .

(٣) انظر المواقف فى علم الكلام : ص ٢٦١ .

(٤) أنظر الشفا : ٢/٣٦٨ .

(٥) طوالع الأنوار مع شرحه مطالع الأنظار : ص ٢٠٩ .

(٦) سورة طه : آية (١٢٢) .

(٧) سورة الحج : آية (٧٨) .

(٨) انظر شرح مطالع الأنظار : ص ٢١٠ .

(٩) سورة طه : آية (١٢١) .

(١٠) سورة يوسف : آية (٨٢) .

لأن من المعلوم بداهة أن الجمادات لاتسأل ، وهذه قرينة كافيه لصرفه عن ظاهره إلى معنى واسأل أهل القرية ، وهذا مقرر ، ومعلوم فى لغة العرب ، بخلاف الآية الأخرى فإن صرفه الى أولاد آدم خطأ فى التعبير ، فلو قال شخص : ضرب علي زيداً ، وقال أردت ضرب ابن على زيداً لكان مخطئاً فى التعبير ، ثم إن سياق الآيات يمنع ذلك التأويل ؛ لأن الكلام كله عن آدم وأكله من الشجرة ، وقبل أن تكون له ذرية فليس ثمة قرينة تصرف المعنى عن ظاهره فوضح فساد القول بالمجاز[1] والله أعلم .

وهذا الذى ذهب إليه الأشاعرة من أن تلك المعصية كانت قبل النبوة مردود لقوله تعالى : " و إنهم عندنا لمن المصطفيْن الأخيار[2] " ، ولقوله تعالى : " ولتصنع على عينى [3] " .

جـ - **موقف المعتزلة :-**

يرى أكثرهم أن ماوقع من آدم كان صغيرة من الصغائر ، وعلى هذا يوجهون الآيات التى تناولت قضيته ، قال القاضي عبدالجبار : (وربما قيل فى قوله تعالى : " قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين[4] " كيف يصح ذلك على الأنبياء ؟ وجوابنا : أن الذى وقع منهم من الصغائر وقع على وجه التأويل لكن الأنبياء لما عظمة الله من محلهم تعظم الصغائر عند أنفسهم فعلى هذا الوجه " قالا ربنا ظلمنا أنفسنا " ، وقد يكون المراد بالصغيرة ظالما لنفسه حيث حرمها الثواب الذى نقص لمكان الصغيرة ، ومن حيث يجب التأسف والندم ولذلك غم عظيم [5]) .

---

(١) انظرعصمة الأنبياء بينالمسلمين وأهل الكتاب : ص ١٢٠.
(٢) سورة ص : آية (٤٧) .
(٣) سورة طه : آية (٣٩) .
(٤) سورة الأعراف : آية (٢٣) .
(٥) تنزيه القرآن عن المطاعن : ص ١٤٥.

وهكذا يرى الزمخشرى أيضاً حيث قال : (قلت : ماكانت إلا صغيرة مغمورة بأعمال قلبية من الإخلاص ، والأفكار الصالحة التى من أجل الأعمال وأعظم الطاعات ، و إنما جرى عليه ماجرى تعظيماً للخطيئة ، وتفضيعاً لشأنها [١]) ، ويتضح من كلام الزمخشرى مايلى :-

١ - وقوع الخطيئة من آدم بلا سهو ولا نسيان ، ولا تأويل .

٢ - أن تلك الخطيئة صغيرة ، واستعظام آدم وحواء لها لعظم مقامهما .

٣ - أن تلك الخطيئة كفرها اجتناب آدم ، وحواء الكبائر ، ومالهما من رصيد من الأعمال الصالحة [٢] .

قلت : لكن الله أوضح أن ذلك كان نسياناً من آدم ويدل على ذلك قوله تعالى : " فنسي ولم نجد له عزماً "[٣]

---

(١) الكشاف : ٢٧٥/١ .
(٢) انظر عصمة الأنبياء بين المسلمين وأهل الكتاب : ص ١١٦، ١١٧ .
(٣) سورة طه : آية (١١٥) .

كيفية تمكن إبليس من وسوسته لآدم،وحواء ، ودخول الجنة وقد طرد منها :-

أخبر تعالى أنه أمر إبليس بالخروج من الجنة حين عصاه لما امتنع عن السجود لآدم بقوله : " فاخرج منها فإنك رجيم ، وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين (١) " .

وهنا تضاربت أقوال المفسرين فى ذلك على أقوال منها :-

١ - قيل : يحتمل أنه وسوس لهما وهو فى الأرض وهما فى السماء (٢) .
لكن ابن القيم رد هذا القول بأنه غير معقول لغة ، ولا حساً ، ولا شرعاً (٣) .
ويرده أيضاً قوله تعالى : " وقلنا : اهبطوا بعضكم لبعض عدو (٤) " ، فإن المراد بذلك : آدم ، وحواء ، و إبليس (٥) .

٢ - قيل : إنه دخل فى فم الحية ، وهذا قول مردود فهو من الإسرائيليات كما أوضح ذلك ابن كثير (٦) ، ورده أيضاً ابن القيم بقوله : بأن من زعم أنه دخل فى بطن الحية فهو من أبطل الباطل . (٧)

٣ - قال القاضى عبدالجبار من المعتزلة : (وجوابنا أنه يجوز أن يخاطبهما وهو خارج الجنة ، ويجوز منهما أيضاً أن يخرجا من الجنة فيراهما فليس فى ذلك مناقضة) (٨)
قلت : بل فيه مناقضة لقسمه لهما بأنه من الناصحين وذلك يستلزم المشافهة، ثم إن ذلك القول عارٍ عن الدليل ، وكل دعوى خلت من الدليل فهى باطلة .

---

(١) سورة الحجر : آيتا (٣٤، ٣٥) .
(٢) انظر تفسير ابن كثير : ١/١٤٠ ، ١٤١ .
(٣) انظر حادى الأرواح : ص ٣٦ .
(٤) سورة البقرة : آية (٣٦) .
(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن : ٣١٩/٢ ومابعدها .
(٦) انظر تفسير ابن كثير : ١٤١/١ .
(٧) انظر حادى الأرواح : ص ٣٦ .
(٨) تنزيه القرآن عن المطاعن : ص ١٤٥ .

والذى يترجح عندى والله أعلم : أن قوله تعالى : "أخرج منها " الأمر هنا للتهديد لا للتنفيذ ، وفى علم الله الأزلي أن إبليس سيهبط إلى الأرض عند هبوط آدم ، وهذا يقتضى أنه باق فى الجنة تلك المدة التى مكث آدم وحواء فيها ، حتى جاء التنفيذ الربانى بهبوطهم إلى الأرض جميعاً ، وهذا المعنى الذى ذكرته لم يفطن له المفسرون بل ذكروا تلك الأقوال العارية عن الدليل مع بعدها عن الحقيقة .

الجنة التي أسكنها الله آدم وحواء :-

اختلف المفسرون في المراد بالجنة التي أسكنها الله آدم وحواء وأهبطهما منها هل هي جنة الخلد أم غيرها على أقوال ، وهي ترجع في حقيقتها إلى قولين :

الأول : أنها جنة الخلد ، و أنها في السماء[١] وقد ساق ابن القيم أدلة هذا القول فمنها :-

١ - قصة احتجاج آدم وموسى عليهما السلام روى البخاري بسنده عن أبي هريرة قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " احتج آدم وموسى ، فقال موسى : ياآدم أنت أبونا خيبتنا ، وأخرجتنا من الجنة ، فقال له آدم : أنت موسى اصطفاك الله بكلامه ، وخط لك بيده أتلو مني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فحج آدم موسى ، فحج آدم موسى [٢] " .

٢ - قوله تعالى : " اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين[٣] "
فهذا يدل على أن هبوطهم كان من الجنة إلى الأرض ، من وجهين :
أحدهما : من لفظة " اهبطوا " فإنه نزول من أعلى إلى أسفل .
ثانيهما : قوله : " ولكم في الارض مستقر " عقب قوله : " اهبطوا " فدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك في الأرض[٤] .

الثاني : المراد بها جنة في الأرض ، وقد ذكر ابن القيم أن الدلائل تكثر عليه فمنها :-

١ - أن الله أخبر على جميع ألسنه رسله أن جنة الخلد إنما يكون الدخول فيها يوم القيامة ولم يأت زمن دخولها بعد .
قلت : وهذا يرده قوله تعالى : " ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين " ثم إن ذلك لايمتنع شرعاً ولا يستحيل عقلاً .

---

(١) انظر التفسير الكبير : ٣/٣ ، وحادي الأرواح : ص ٢٧ .
(٢) صحيح البخاري : كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى عند الله ٢١٤/٧ ، وانظره في صحيح مسلم : كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى ٤٩/٨ ، ٥٠ ، وفي سنن أبي داود : كتاب السنة ، باب في القدر ٢٢٦/٤ ، وفي سنن الترمذي : كتاب القدر، باب في حجاج آدم وموسى ٤٤٤/٤ .
(٣) سورة البقرة : آية (٣٦) .
(٤) انظر حادي الأرواح : ص ٣١ - ٣٥ .

٢ - أن الله أخبر أن تلك الجنة التى هي دار الخلد لالغو فيها ولاتأثيم ، وقد سمع فيها آدم لغو إبليس وإثمه ، وقد سمّاها مقعد صدق وقد كذب فيها إبليس .

قلت : ذلك يكون يوم القيامة ، أما فى الدنيا فلا ، لأن الدنيا دار تكليف وامتحان واختبار وحصل ذلك لآدم وزوجه بنهيهما عن الأكل من الشجرة وهما فى الجنة،وأما الآخرة فدار جزاء ، من ثواب،وعقاب فافترقا .

وقد ذكر ابن القيم أدلة أخرى ، ورد كل فريق على الآخر بما يشفى ويكفى[1] .

والراجح :- أنها جنة الخلد لما ذكر من قصة احتجاج آدم ، وموسى ، ولقوله تعالى : " ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين[2] " ، ولأن مذهب أهل السنة والجماعة أن الجنة والنار موجودتان لاتفنيان أبداً ، ولاتبيدان ، وأن الجنة قيعان .

موقف السلف ، والخلف من قضية اشراك آدم ، وحواء :-

هذا ولم يكتف إبليس بهذا الموقف مع آدم وحواء بل له موقف آخر فى إغوائهما عندما أهبطا إلى الأرض وذلك مايشير إليه قوله تعالى : " هو الذى خلقكم من نفس واحدة، وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشّاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به فلما أُثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكون من الشاكرين فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون[3] " .

وقد فهم المفسرون : أن هاتين الآيتين تثبتا وقوع الشرك من آدم وحواء إذا اعتبرت النفس الواحدة المذكورة فى الآية هي نفس آدم ، وأن زوجها المراد به حواء ، ثم أعادوا الضمير فى قوله : " فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء " على آدم وحواء ، وسأعرض هنا

---

(١) انظر حادى الأرواح : ص ٤٠ - ٤٥ .
(٢) سورة البقرة : آية (٣٦) .
(٣) سورة الأعراف : آية (١٨٩، ١٩٠) .

أقوال العلماء فى فهم الآيتين ثم أبين وجه الصواب فيما يلى :-

أولاً : رأى السلف :- جاء عنهم فى فهم الآيتين قولان :-

١ - أن المعنى بالآية آدم،وحواء ، وأنهما أشركا فى الاسم عندما سمّيا ولدهما عبدالحارث لما روى الترمذى بسنده عن سمرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " لما حملت حواء طاف بها إبليس ، وكان لايعيش لها ولد ، فقال : سميه عبدالحارث ، فسمته عبدالحارث فعاش فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره(١) "، وروي هذا القول عن ابن عباس ، وعكرمة ، وقتاده ، وسعيد بن جبير(٢) .

٢ - أن المعني بالآية غير آدم وحواء ، روى قتادة عن الحسن أنه كان يقول : هم اليهود ، والنصارى رزقهم الله أولاداً فهو دوا ونصروا ، وروى عن الحسن وقتادة قالا : الضمير فى قوله تعالى : " جعلا له شركاء " عائد إلى النفس وزوجه من ولد آدم وحواء (٣) .

وقد رجح ابن جرير الطبرى القول الأول فقال : (وأولى القولين بالصواب قول من قال : عني بقوله : " فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء " فى الاسم لا فى العبادة ، وأن المعني بذلك آدم ، وحواء لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك(٤)) .

فعلى هذا فالخبر عن آدم وحواء قد انقضى عند قوله تعالى : " جعلا له شركاء فيما آتاهما " ثم استأنف قوله : " فتعالى الله عما يشركون " .

(١) سنن الترمذى : كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأعراف ٢٦٧/٥، ٢٦٨.
وقال الترمذى : هذا حديث حسن غريب لانعرفه مرفوعاً إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتاده ، ورواه بعضهم عن عبدالصمد ، ولم يرفعه، وعده الألبانى من الأحاديث الضعيفه (انظر سلسلة الأحاديث الضغيفة : ٧٤/٢).
(٢) انظر تفسير الطبرى : ١٤٦/٩، ١٤٧.
(٣) انظر تفسير الطبرى: ١٤٦/٩-١٤٨، وزاد المسير: ٣٠٣/٣، وفتح القدير: ٢٧٦/٢.
(٤) تفسير الطبرى : ١٤٨/٩.

ورجح ابن اكثير الرأى الثاني حيث قال : (وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصرى رحمه الله فى هذا ، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء ، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته ولهذا قال تعالى :" فتعالى الله عما يشركون " ، ثم قال فذكر آدم،وحواء أولاً كالتوطئة لما بعدها من الوالدين وهو كالاستطراد من ذكر الشخص إلى الجنس [1]) .

وموقفه من الحديث السابق الذى رواه الترمذى أنه أعلّه فقال : (والغرض أن هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه :

١ - أن عمر بن إبراهيم هذا هو البصرى ، وقد وثقه ابن معين ، ولكن قال أبوحاتم الرازى : لايحتج به ، ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعاً والله أعلم .

٢ - أنه قد روى من قول سمرة نفسه ليس مرفوعاً كما قال ابن جرير . . . . . .

٣ - أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا فلو كان هذا عنده مرفوعاً لما عدل عنه [2])

وأما الروايات عن الحسن فى تفسير الآية فقد صححها ابن كثير حيث قال : (وهذه أسانيد صحيحه عن الحسن رضي الله عنه أنه فسر الآية بذلك ، وهو من أحسن التفسيرات ، وأولى ماحملت عليه الآية ، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما عدل عنه إلى غيره . . . . فهذا يدل على أنه موقوف على الصحابي ، ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب ممن آمن منهم مثل كعب ، أو وهب بن منبه وغيرهما . . . . إلا أننا برئنا من عهدة المرفوع والله أعلم) [3] .

---

(١) تفسير ابن كثير : ٢/٢٧٥، ٢٧٦.
(٢) المرجع نفسه : ٢/٢٧٤، ٢٧٥.
(٣) المرجع نفسه : ٢/ ٢٧٤، ٢٧٥.

والآثار التي رويت عن الصحابة والتابعين يرى أنها مستقاة من أهل الكتاب[1] .

قلت : والقرطبي يميل إلى الرأي الثاني أيضاً حيث قال : (وهذا قول حسن)[2]، ويضعّف الحديث الذى رواه الترمذى وغيره بقوله : (ونحو هذا مذكور من ضعيف الحديث فى الترمذى وغيره ، وفى الإسرائيليات كثير ليس لها ثبات فلايعوّل عليها من له قلب ؛ فان آدم وحواء عليهما السلام وإن غرّهما بالله الغرور فلايلدغ المؤمن من جحر مرتين)[3] .

وابن القيم يرجح القول الثاني أيضاً فى تفسير الآية حيث قال : (فالنفس الواحدة وزوجها آدم وحواء ، واللذان " جعلا له شركاء فيما آتاهما" المشركون من أولادهما ، ولايلتفت إلى غير ذلك)[4] .

واختار الوجه الثاني أيضاً الشيخ محمد الشنقيطي حيث قال : (وهذا نص قرآني صريح فى أن المراد المشركون من بنى آدم لا آدم وحواء ، واختار هذا الوجه غير واحد لدلالة القرآن عليه)[5] .

ومن خلال هذا العرض السريع لآراء العلماء يتضح أنه ليس ثمّة دليل على أن المراد بالآية آدم ، وحواء سوى حديث غريب أعلّه بن كثير ، ورده غير واحد من العلماء ، وممن رده أيضا ابن حزم حيث قال : (وهذا الذى نسبوه إلى آدم،وحواء عليه السلام من أنه سمى ابنه عبدالحارث خرافة موضوعة مكذوبة

---

(١) انظر تفسير ابن كثير : ٢/٢٧٥.
(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٧/٣٣٩.
(٣) المصدر نفسه : ٧/٣٣٨.
(٤) روضة المحبين : لابن القيم ، ص ٢٨٩.
(٥) أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن : ٢/٣٠٤ ، ٣٠٥.

من تأليف من لا دين له ، ولا حياء لم يصح سندها قط)[1] .

وميل النفس إلى هذا القول الثاني فى تفسير لآية لكن سياق الحديث عن أصل خلق البشر والمعنى بذلك آدم،وحواء بدليل تأكيد ذلك بكونها من نفس واحدة ، وأنه خلق منها زوجها حواء ، وبدليل قوله تعالى : " ليسكن إليها" ، لكن ليس المراد بالشرك إلا مجرد التسمية فقط والله أعلم .

ثانيًا :رأى الأشاعرة :-

هو أن الخطاب لقريش ، وهم آل قصي ، فليست الآية فى آدم وحواء ويذكر الإيجى : أن أكثر المفسرين على أن الخطاب لقريش ، والنفس الواحده " قصي "، " وجعل منها زوجها" أى جعلها عربية من جنسه ، واشراكهما تسميتهما ابناءهما بعبد مناف ، وعبدالعزى ، وعبدالدار ، فليس الضمير فى جعلا لآدم وحواء وإن صح أنه لآدم وحواء فأين الدليل على الشرك فى الألوهية ؟ ولعله هو الميل إلى طاعة الشيطان، وقبول وسوسته مع الرجوع عنه إلى الله ، وذلك غير داخل تحت الاختيار أولعله قبل النبوة [2] ، فهو يورد أوجها ثلاثة فى فهم الآية كالتالى :-

١ ـ الخطاب لقريش ، ومرجع الضمير لقصي ، فالشرك منه ومن زوجه لا من آدم .
٢ ـ أنه إذا سلّمنا أن الخطاب لآدم فليس هو الشرك المخرج عن الملة وهو الشرك فى الألوهيه بل هو عبارة عن الميل إلى طاعة الشيطان .
٣ ـ أن ذلك الأمر وقع قبل النبوة [3] .

---

(١) الفصل فى الملل والأهواء،والنحل ٤/٥ .
(٢) انظر المواقف : ص ٣٦٢.
(٣) انظر عصمة الأبياء بين المسلمين وأهل الكتاب : ١٣٢.

قلت : وهذا كله لادليل عليه ، بل مجرد دعوى ، ثم إن قولهم : مبنى على مذهبهم في عصمة الأنبياء وأنها قبل النبوة وهذا مردود باصطفاء الله إياهم .

ثالثاً :رأى المعتزلة :-

أن ذلك لم يقع من آدم وحواء ، وإنما وقع من الذرية فقد أجاب القاضي عبدالجبار عن الآية بقوله : (وليس في الظاهر أن ذلك واقع من آدم وحواء ، وإنما المراد وقوع ذلك من الذرية فهو معنى قوله : " جعلا له شركاء ")[1] .

ثم إن الزمخشري جعل الفاعل في قوله تعالى : " جعلا له" مضمراً : أى جعلا أولادهما له شركاء على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، وكذلك " آتاهما " أى آتى أولادهما ويقول : (..... وقد دل على ذلك قوله : " فتعالى الله عما يشركون " حيث جمع الضمير ، وآدم وحواء بريئان من الشرك)[2] .

قلت : لكن جمع الضمير لايدل على ذلك فقد يُعبَّر عن الاثنين بصيغه الجمع ، وقد ورد ذلك في قوله تعالى: " هذان خصمان اختصموا في ربهم[3] " ، وقوله تعالى : " فقد صغت قلوبكما "[4] وأيضاً سياق الآية لايؤيد ذلك .

كما أورد الزمخشري وجهاً آخر في فهم الآية - يوافق رأى الأشاعرة - وهو أن يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وهم آل قصي ، فيكون المراد بالنفس الواحدة قصي ، وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن إليها فلما آتاهما ماطلبا من الولد الصالح السوى جعلا له شركاء حيث سميا أولادهما الأربعة بعبد مناف ، وعبدالعزى ، وعبد قصي ، وعبدالدار، وجعل الضمير في

---

(١) تنزيه القرآن عن المطاعن : ص ١٥٤ .
(٢) الكشاف : ١٣٧/٢ .
(٣) سورة الحج : آية (١٩) .
(٤) سورة التحريم : آية (٤) .

" يشركون " لهما ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما فى الشرك ، ثم يختم كلامه بقوله وهذا تفسير حسن لا إشكال فيه[1] .

قلت : وهذا القول عار عن الدليل ، وعار من الصحة إذ أن سياق الآية ليس فيه مايدل على أن المراد بالنفس الواحدة قصي ، ثم إن المراد بقوله تعالى : " جعلا له شركاء" أولادهما الأربعة تعسف ظاهر فى تفسير الآية لخلوه من الدليل ، ومعارضته لسياق الآية والله أعلم .

الأصل فى الإنسان التوحيد الخالص ، والاستقامة :-

وبعد أن أُهبط آدم إلى الأرض استمرت ذريته من بعده على التوحيد الخالص كما قال تعالى : " كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ، ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ماجاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم[2] " .

وقال تعالى : " إن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون[3] " : أى على دين واحد ، واختلف المفسرون فى المراد بالناس على أقوال :

١ - أنهم بنو آدم حين أخرجهم الله نسماً من ظهر آدم فأقروا له بالوحدانية، ويدل على هذا قوله تعالى : " وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا [4] " .

٢ - قال مجاهد : الناس آدم وحده[5] .

---

(١) انظر الكشاف : ١٣٧/٢ .

(٢) سورة البقرة : آية (٢١٣) .

(٣) سورة الأنبياء : آية (٩٢) .

(٤) سورة الأعراف : آية (١٧٢) .

(٥) أخرجه ابن جرير فى تفسيره عن أبى نجيح ، وابن جريج (انظر ذلك : ٢٣٥/٢) .

٣ - قيل : المراد القرون التى كانت بين آدم ونوح وهي عشرة كانوا على الحق حتى اختلفوا فبعث الله نوحاً فمن بعده .

٤ - أنهم الجنس كله وأنهم أمة واحدة فى خلوهم عن الشرائع ، وجهلهم بالحقائق [١].

والصحيح أنهم أمة واحدة على التوحيد ، والدين الخالص لما يلي :-

أ - لقوله تعالى : " وماكان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ، ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون [٢] " ، فإن المراد بها أمة واحدة على الدين الحق لقوله : فاختلفوا، وقد أيد الرازى هذا القول : لأن ماسواه يتنافى مع الغاية التى أوجد الله لأجلها الثقلين وهي إخلاص العبادة له ، وأيضاً لوكان المراد أمة واحدة فى الكفر لكان اختلافهم بسبب الإيمان ، ولايجوز أن يكون الاختلاف الحاصل بسبب الإيمان سبباً لحصول الوعيد [٣] .

ج - لقول ابن عباس : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على التوحيد [٤].

د - دلالة السنة الصحيحة على أن الإنسان مفطور على التوحيد الخالص، روى مسلم بسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مامن مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه ، وينصرانه ، ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء [٥] " ، ولما رواه مسلم بسنده عن عياض بن حمار - وفيه " قال الله تعالى : خلقت عبادى حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم [٦] "" .

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن : ٣/٣٠ - ٣٢ .

(٢) سورة يونس : آية (١٩) .

(٣) انظر التفسير الكبير : ١٧/٦١ - ٦٣.

(٤) رواه ابن جرير فى تفسيره : ٤/٢٧٥ بتحقيق أحمد شاكر وذكر الألبانى رواية الحاكم له وأنه على شرط البخارى ووافقه الذهبى : ٢/٥٤٦، قال الألبانى : وعزاه ابن عروة الحنبلى لصحيح البخارى وهو وهم (انظر تحذير الساجد : ص ١٠١).

(٥) صحيح مسلم : كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة ٨/٥٢ -٥٤.
وانظر فى سنن أبى دواد : كتاب السنة، باب فى ذرارى المشركين ٤/٢٢٩،
وفى سنن الترمذى : كتاب القدر، باب ماجاء كل مولود يولد على الفطرة ٤/٤٤٧.

(٦) صحيح مسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار ٨/١٥٩.

وبهذا يكون الأصل فى الإنسان هو الاستقامة ، وأن الانحراف أمر طارئ.

ثانياً : انحـــراف بدافـع الحســـد ، واتباع الشهوات :

كانت بداية الانحراف فى البشرية بدافع الحسد ، واتباع الشهوات فقد كان إغـــواء إبليس لآدم بدافع الحسد حيث أغراه بالأكل من الشجرة التى نهاه الله عــن قربهـــا ، ومع هذا لم يكتف بذلك بل أخذ يؤجج نار الحسد ، والبغضاء فى ذريتـه مـــــن بعده ، ويتضح ذلك فى قصة " هابيل وقابيل " التى تحدثت عنها الآيات فى ســـورة المائدة قال تعالى : " واتل عليهم نبأ ابني آدم [1] بالحق إذ قربا قرباناً فتقبـــل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر، قال : لأقتلنك [2] ، قال : إنما يتقبل الله مــــن المتقيــن لئن بسطت إلي يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنـى أخـــاف الله رب العالميــن [3] " .

سبب وقوع المنازعة بينهمـــا :-

اختلف المفسرون فى ذلك على قولين :-

١ - أن حـــواء كانت تلد فى كل بطن ذكراً وأنثى إلا شيثاً عليه السلام، فإنه ولدتــــه منفرداً عـوضاً من هابيل واسمه " هبة الله " ، وكان آدم يزوج الذكر من هــــذا

---

(١) اختلف فى ابنيْ آدم هل هما لصلبه أم لا ؟ على قولين :-
الأول :- قال الحسن البصرى : ليسا لصلبه وكانا رجلين من بنى إسرائيل ضرب اللـــه بها المثل فى إبانة حسد اليهود ، وكان بينهما خصومة فتقربا بقربانين ولم تكن القرابين إلا فى بنى إسرائيل ،ولكن ابن عطية :رد هذا القول: بأنه وهـــم إذ كيف يجهل صورة الدفن أحد من بنى إسرائيل حتى يقتدى بالغراب، (انظر الجامع لأحكام القرآن : ١٣٣/٦) .
الثانى :- أنهما ابنيْ آدم لصلبه وهذا قول جمهور المفسرين بدليل جهلهما لصورة الدفن ورجحه ابن الأثير(انظر الكامل فى التاريخ : ٢٧/١) .

(٢) القاتل : هو قابيل حسداً لأنه كافر(انظر الجامع لأحكام القرآن : ١٣٤/٦) .

(٣) سورة المائدة : الآيات (٢٧ - ٢٨) .

البطن الأنثى من البطن الآخر، ولا تحل له أخته توءمته ، فولدت مع قابيل أختاً جميله اسمها " أقليمياء " ، ومع هابيل أختاً ليست كذلك واسمها " ليوذا " فلما أراد آدم تزويجها قال قابيل : أنا أحق بأختي فأمره آدم فلم يأتمر[١] .

٢ - أن هابيل كان صاحب غنم ، وقابيل صاحب زرع فقرب كل واحد منهما قرباناً فطلب هابيل أحسن كبش كان فى غنمه وجعلها قرباناً ، وطلب قابيل شرحنطة فى زرعه فجعلها قرباناً ، ثم تقرب كل واحد منهما بقربانه إلى الله فنزلت نار من السماء فاحتملت قربان هابيل ، ولم تحمل قربان قابيل، فعلم قابيل أن الله قبل قربان أخيه ، ولم يقبل قربانه فحسده ، وقصد قتله[٢] .

ورجح القرطبى القول الأول[٣] .

ولكن الواقع : أن الراجح القول الثانى لموافقته للآية " قربا قرباناً " .

ثم استمر الانحراف بدافع الحسد بعد ذلك ، وظهر واضحاً جلياً فى اليهود إلى يومنا هذا .

ثالثاً : انحراف بدافع الغلو في الصالحين :-

أول انحراف من هذا النوع حدث فى قوم نوح وهو مايشير إليه قوله تعالى:" وقالوا لا تذرن آلهتكم ، ولا تذرن وداً ، ولا سواعاً، ولا يغوث ، ويعوق ونسراً ، وقد أضلوا كثيراً ، ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً[٤] " .

---

(١) انظر تفسير الطبرى : ١٨٦/٦ - ١٩٩ والتفسير الكبير : ٢٠٣/١١، والكامل : لابن الأثير ، ٢٥/١ ومابعدها .
(٢) انظر التفسير الكبير : ٢٠٣/١١.
(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن : ١٣٥/٦.
(٤) سورة نوح : آيتا (٢٣، ٢٤) .

روى البخارى بسنده عن ابن عباس : " صارت الأوثان التى كانت فى قوم نـــوح فى العرب بعد أما " ود" فكانت لكلب بدومة الجندل[١] ، وأما سواع فكانت لهذيل [٢] ، وأما يغوث فكانت لمراد [٣] ثم لبنى غطفان [٤] بالجرف عند سبأ ، وأما يعوق فكانــت لهمدان [٥] ، وأما نسر فكانت لحمير[٦] لآل ذي الكلاع أسماء رجال صالحين من قـــوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسى العلم عبدت[٧] ".

ويفسر هذا قول محمد بن كعب : هذا أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح فنشـأ بعدهم قوم يقتدون بهم فى العبادة ، فقال لهم إبليس : لوصورتم صورهم كان أنشـط لكم ففعلوا ثم نشأ قوم بعدهم فقال لهم إبليس : إن الذين كانوا قبلكم يعبدونهـا فاعبدوهم فابتداء عبادة الأوثان من ذلك الوقت [٨] .

---

(١) دومة الجندل : بضم أوله ، وفتحه ، وقد أنكر ابن دريد الفتح وعدّه من أغلاط المحدثين ، وعد ابن الفقيه دومة الجندل من أعمال المدينة سميت بدوم بن إسماعيل بن إبراهيم ، وهي على سبع مراحل من دمشق ، وقيل : سميت بذلك ، لأن حصنها مبنى بالجندل ، وتسكنها بنو كنانة من كلب (انظر معجم البلدان : ياقوت الحموى ، ٢/٤٨٧ ، ٤٤٨ ، نشر دار صادر - بيروت) .

(٢) هو هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان (انظر جمهرة أنساب العرب : لابن حزم ، ص ١١ ، تحقيق عبدالسلام هارون ، نشر دار المعارف بمصر) .

(٣) هويحابر وهومراد بن مذحج بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ (انظر جمهرة أنساب العرب : ص ٤٠٥) .

(٤) هو غطفان بن قيس بن جهينة (انظر جمهرة أنساب العرب : ص ٤٤٤) .

(٥) همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ (انظر جمهرة أنساب العرب : ص ٣٩٢) .

(٦) هو حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان (انظر جمهرة أنساب العرب: ص ٣٢٩) .

(٧) صحيح البخارى : كتاب التفسير ، باب ودولا سواع ، ولا يغوث ، ويعوق ٦/٧٣ ، وانظره فى الجامع لأحكام القرآن : ١٨/٣٠٨ ، وفتح المجيد : ص ٢٩١ ومابعدها .

(٨) انظر فتح القدير : ٥/٣٠٠ ومابعدها .

وقد ذكر ابن الأثير : أن الشرك الأكبر كان قبل ذلك من عهد قابيل وهابيـل[1]، لكنها أقوال عاريـة من الدليل فلايلتفت إليها .

وبهذا يكون الغلو فى الصالحين أكبر سبب لوقوع الشرك فى بنى آدم .

رابعاً: انحـراف بدافع الكبرياء،والتعاظـم :-

كان من موانع سجود إبليس لآدم لما أمره الله به هو دافع الكبرياء والعنصريـة ويوضح ذلك قوله تعالى : "إلا إبليس أبى واستكبر[2]" ، وقد قلد إبليس فى فعلتـه الشنعاء قوم نوح حتى أعرضوا عن الحق ويشير إلى ذلك قوله تعالى : " وأصروا واستكـبروا استكباراً[3] " ، أى : استكبروا عن قبول الحق[4] قال تعالى مخبراً عنهم :"أنؤمـن لـك واتبعك الأرذلون " .[5]

ثم بعد ذلك فشا الانحراف فى البشرية لعدة أسباب أخرى كتقليد الآباء فـى الاشراك بالله ، واتباع الشهوات ، والشبهات ، وبهذا يمكن تقسيم الناس جملة بحسـب انحرافهم عن الاستقامة إلى قسمين :

القسـم الاول :-

أهل الديانات ، والملل مطلقاً مثل : المجوس ، واليهود ، والنصارى والفـرق المنتسبه إلى الإسـلام .

---

(١) انظر الكامل في التاريخ : ١/٣٢ - ٣٥.
(٢) سورة البقرة: آية (٣٤).
(٣) سورة نوح : آية (٧).
(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن : ١٣/١٥٠.
(٥) سورة الشعراء : آية (١١١).

القسم الثاني :-

أهل الأهواء،والآراء مثل : الفلاسفة ، والصابئة ، وعبدة الكواكب ، والأوثان ، والبراهمة .

وأهل الأهواء لاتنضبط مقالاتهم فى عدد معلوم .

وأما أهل الديانات فقد انحصرت مذاهبهم للخبر الوارد فيها [١] ، وهو ما رواه أبو داود بسنده عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " افترقت اليهود على إحدى أوثنين وسبعين فرقة ، وتفرقت النصارى على إحدى أواثنتين وسبعين فرقة ، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة [٢] ".

---

(١) انظر الملل والنحل : للشهرستانى ، ١٢/١ ومابعدها .

(٢) وفى رواية معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه ـ أنه قام فينا فقال : ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا فقال : " ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة ، وأن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين : ثنتان وسبعون فى النار، وواحدة فى الجنة وهي الجماعة " .
سنن أبى داود : كتاب السنة ، . باب شرح السنة ١٩٧/٤، ١٩٨، وحكم بصحته السيوطى (انظر الجامع الصغير : ٤٨/١) ، وقال البغدادى: للحديث الواردعلى افتراق الأمة أسانيد كثيره ، وقد رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم أنس بن مالك ، وأبوهريرة ، وأبو الدرداء ، وأبو سعيد الخدرى، وأبى بن كعب وعبدالله بن عمرو بن العاص ، وأبو أمامة وواثلة بن الأسقع وغيرهم (انظر الفرق بين الفرق : ص ٧-٩) ورواه ابن ماجه فى سننه عن أبى هريرة ، وعوف بن مالك وعن أنس : كتاب الفتن ، باب افتراق الأمم ١٣٢١/٢، ١٣٢٢ .

" المبحث الثالث "

أثر الأمراض النفسية على الانحراف :-

ضابط الأمراض النفسية :-

هو كل صفة مذمومة تخالط النفس ينتج عنها آثار سيئة في السلوك والتصرف ، ومن تلك الأمراض :-

أولاً : الكبر :-

تعريفه : لغة العظمة والملك ، وهو عبارة عن كمال الذات ، وكمال العظمة وكمال الوجود ، ولا يوصف بها إلا الله ، والكِبر : بكسر الكاف العظمة ، والمتكبر المتعالي عن صفات الخلق ، والتاء للتفرد ، والتخصص ، والاستكبار : الامتناع عن قبول الحق معاندة[1] .

وبعضهم لا يفرق بين الكبر والعجب بل يعتبرهما من قبيل المترادفات[2]، لكن الغزالي يفرق بينهما بقوله : (وخلق الكبر موجب للأعمال ولذلك إذا ظهر على الجوارح يقال تكبر ، وإذا لم يظهر يقال : فى نفسه كبر ، فالأصل هو الخُلُق الذى فى النفس ، وهو الاسترواح والركون إلى رؤية النفس فوق المتكبر عليه ؛ فإن الكبر يستدعى متكبراً ومتكبراً عليه وبه ينفصل الكبر عن العجب؛ فإن العجب

---

(١) انظر لسان العرب : ١٢٥/٥ - ١٢٧ مادة " كبر " .

(٢) وبعضهم يفرق بينهما : بأن العجب هو : تصور الكمال فى النفس ، والفرح به ، والركون إليه من حيث أنه قائم بصاحبها ، مع الغفلة عن قياس النفس على غيرها بكونها أفضل منه، بخلاف الكبر فإن الإنسان فيه يرى لنفسه مرئية ، ولغيره مرئية ، ثم زيادة مرتبته على غيره فكل متكبر معجب دون العكس، والفرق بين العجب والنيه : أن المعجب يصدق نفسه وهما فيما يظن بها والتياه بصدقها قطعاً .
(انظر كتاب الخلق الكامل : لمحمد جاد الحق ، ٤٧٥/٤ ومابعدها) .

لايستدعى غير المعجب به ، بل لو لم يخلق الإنسان إلا وحده تصور أن يكون معجبًا [١]

أما الكبر اصطلاحًا :-

فيمكن تعريفة بأنه : الاستطالة ، والتعالي على الناس بغير حق .
وقد عرفه الرسول صلى الله عليه وسلم بأكمل تعريف حيث قال : " الكبر بطر الحق، وغمط الناس [٢] " .

وهذا تعريف بأبرز مظاهره السيئة فى السلوك؛لأن البطر يستعمل فى عدة معان ففى المشي والحركة والعمل : يدل على التبختر ، والخيلاء ، والخروج عن حد الاعتدال .

والبطر عند مواجهة الحق يكون بالاستعلاء عليه ، والتفريط فى شأنه ، فبطر الحق يعنى جحوده مع الاستهانة به ، والاستعلاء عن قبوله .
وأما غمط الناس : فهو يكون باحتقارهم ، وازدرائهم ، والاستهانة بأقدارهم

أسباب الكبر :-

قد ينشأ الكبر مع الإنسان مع ضعف الداعي إليه ، كالفقير الذى يتكبر على غيره ، وقد أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ذلك فيما روى مسلم بسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ثلاثة لايدخلون الجنة

---

(١) إحياء علوم الدين : ٣٤٣/٣، ٣٤٥.
(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبر وبيانه ٦٥/١ ، وانظره فى سنن أبى داود : كتاب اللباس ، باب ماجاء فى الكبر ٥٩/٤ ، وفى سنن الترمذى : كتاب البر والصلة ، باب ماجاء فى الكبر ٣٦١/٤ وقال: حديث حسن صحيح غريب .

شيخ زان وعائل مستكبر ...... الحديث(١)"" فالعائل المستكبر إنما ذم لضعف داعي الكبر عنده وهو الغنى ، والجاه ، والكبر مذموم من كل أحد أصلاً ، وقد ينشأ الكبر من عدة أسباب داعية إليه منها :-

١ - **الشعور بالنقص :-**

فقد يكون شعور بنقص فى النفس ، أو فى العمل يريد أن يخفيه عن الآخرين ؛ لأنه حريص على أن يكون فى أعين الناس كبيراً تستراً على ذلك النقص(٢).

٢ - **الثقة الزائدة بالنفس :-**

فإن ذلك يؤدى إلى إعجاب المستكبر برأيه ، ولو كان مخطئاً ويشير إلى ذلك قوله تعالى : " أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء(٣) " ، وقوله تعالى : " وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً"(٤) ، ويثمر ذلك سبب المعصية ، وتخطئة الناس .

٣ - **الشعور بالاستغناء بالذات :-**

ويتحقق ذلك فى الأمور التالية :-

أ - الاستغناء بالعلم ، والتفاخر بالعباده :

فإن العالم يستشعر فى نفسه جمال العلم ، وكماله فيستعظم نفسه ، ويستحقر الناس ، ويستجهلهم ، ويتعزز بعلمه ؛ لأن الإنسان قد يخوض

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار ... ١/٧١، ٧٢.
(٢) انظر الأخلاق الإسلامية وأسسها : للميدانى ، ٢/٦٦ - ٦٦٢ .
(٣) سورة فاطر : آية (٨) .
(٤) سورة الكهف : آية (١٠٤) .

فى العلم وهو خبيث النفس ، فيصادف العلم من قبله منزلاً خبيثاً ، فلايطيب ثمرة ، ولا يظهر أثره .

وأما العابد : فإنه يقول فى معرض التفاخر لغيره من العباد من العباد من هو وما عمله ، ومازهره ؟ فيطول اللسان بالتنقص وذكر المعايب[1] .

ب - العجب ، والفطنه لدقائق الأمور الدينية ، والدنيوية

وثمرته الاستبداد بالرأى ، وترك المشورة ، واستجهال المخالفين له[2] .

جـ - الرغبة بالامتياز عن الآخرين مع تخلف الدواعى

مما يطمعه إلى احتلال المرتبة المتفوقه وهو بغيرحق ، ومن هنا يأتى الشعور بالاستقلال الذاتى ، وحين لايعطيه المجتمع هذا المطلب الذى يتطلع إليه ؛ فإنه يحقد عليه[3] .

د - الرغبة بعدم الخضوع لأحد :

وينتج عن هذه الرغبة المنحرفة استغناء المتكبر بذاته وإذا عظم هذا الشعور تولد عنه الطغيان ، والتمرد على طاعة الخالق، وهذا الشعور لاينمو إلاوفى الادراك قصور ، وفى العقل نقص[4] .

---

(١) انظر إحياء علوم الدين : ٣/٣٤٧ - ٣٥٣ .
(٢) انظر المصدر نفسه : ٣/٣٥٣ .
(٣) انظر الأخلاق الإسلامية وأسسها : ١/٦٦٠ .
(٤) انظر المرجع نفسه : ١/٦٦١ .

هـ - العجب بكثرة المال ، والغني والجاه :-

ويشير إلى هذا قوله تعالى :" كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى[1] "" ، وقال تعالى مخبراً عن صاحب الجنتين : " أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً [2] " .

و - الاعتماد على القوة المحضة والاعجاب بكثرة العدد ، والعدة :-

ويشير إلى هذا قوله تعالى مخبراً عن حال الأمم السابقة من قوم عاد : " وقالوا من أشد منا قوة[3] " ، وقوله تعالى مخبراً عن الكفار في تفاخرهم بالأموال ، والأولاد :"وقالوا : نحن أكثر أموالاً ، وأولاداً [4]" وذكر الماوردى : أن من أسباب الكبر علو اليد ، ونفوذ الأمر [5] .

٤ - الاعجاب بالبدن في جماله ، وهيئته ، وصحته ، وقوته مع النسيان ، والغفلة أن ذلك من نعمة الله فيدعوه ذلك إلى التنقص ، وذكر عيوب الناس[6] .

٥ - كثرة مديح المتقربين ، واطرائهم الذين جعلوا النفاق عادة ، ومكسباً فيدعو ذلك الشخص إلى الكبرياء ، والتعاظم[7] .

٦ - التفاخر بالنسب الشريف ، فيأنف من مخالطة الناس ، ومجالستهم[8] .

وهناك أسباب أخرى كالرياء ، وقلة مخالطة الأكفاء[9] .

---

(١) سورة العلق : آيتا (٦، ٧) .
(٢) سورة الكهف : آية (٣٤) .
(٣) سورة فصلت : آية (١٥) .
(٤) سورة سبأ : آية (٣٥) .
(٥) انظر أدب الدنيا والدين : ص ٢٣٣ .
(٦) انظر إحياء علوم الدين : ٣٤٧/٣ ، ٣٥٣ .
(٧) انظر أدب الدنيا والدين : ص ٢٣٤ .
(٨) انظر احياء علوم الدين : ٣٤٨/٣ ومابعدها .
(٩) انظر المصدر نفسه : ٣٥٣/٣ ومابعدها ، وأدب الدنيا والدين : ص ٢٣٣ .

١ - أقسام الكبر :-

ينقسم من حيث هو إلى قسمين :-

١ - باطني :-

وهو خلق في النفس ، وهو أحق باسم الكبر من الظاهر ؛ لأن الأعمال ثمرات لذلك الخلق .

٢ - ظاهري :-

وهو أعمال تصدر عن الجوارح ، كاستحقار من دونه ، وإن حاجّه أحد أو ناظره أنف أن يرد عليه[1] .

وأما أقسام الكبر باعتبار المتكبر عليه فقسمان :-

١ - التكبر على الخالق :-

وهو أقبح وأفحش أقسام الكبر ، ولا مثار له إلا الجهل ، والطغيان وأمثلة هذا كثيرة تفوق الحصر منها : ماكان من النمر وذ؛ فإنه كان يحدث نفسه بأن يقاتل رب السماء ، ومن ذلك أيضاً مايحكى عن كل من أدعى الربوبية ، والألوهية مثل فرعون وغيره فإنه لتكبره زعم أنه الرب الأعلى كما أخبر تعالى عنه بقوله : " أنا ربكم الأعلى[2] " ، وبقوله : " ماعلمت لكم من إله غيرى[3] " ، فاستنكف أن يكون عبداً لله ، فأنفوا أن يسجدوا للرحمن، قال تعالى : " وإذا قيل لهم : اسجدوا للرحمن قالوا: وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً[4] " .

---

(١) انظر إحياء علوم الدين : ٣/٣٥٣ ومابعدها ، وأدب الدنيا والدين : ص ٢٣٣ .
(٢) سورة النازعات : آية (٢٤) .
(٣) سورة القصص : آية (٣٨) .
(٤) سورة الفرقان : آية (٦٠) .

٢ - التكبر على الخلق ، ويمكن تقسيمه إلى قسمين :-

أ - تكبر على الرسل :-

من حيث تعزز النفس ، وترفعها على عدم الانقياد لبشر مثل سائر الناس ، وذلك تارة يصرف عن الفكر لاستبصار فيبقى فى ظلمة الجهل بكبريائه فيمتنع عن الانقياد وهو يظن أنه محق فيه ، وتارة يمنع مع المعرفة لكن لاتطاوعه نفسه إلى الانقياد للحق ، والتواضع للرسل كما أخبر تعالى عن ذلك بقوله: "فقالوا : أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون[1]" ، وقوله تعالى : " وقال الذين لايرجون لقاءنا : لولا أنزل علينا الملائكة ، أونرى ربنا ، لقد استكبروا فى أنفسهم وعتو عتواً كبيراً[2]" ، وقال تعالى مخبراً عن فرعون " واستكبر هو وجنوده فى الأرض بغير الحق[3]" ، وقال تعالى : " وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً[4]" ، وقالت قريش فيما أخبر الله عنهم : " وقالوا : لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم[5] " .

وهناك من منعه تكبره من الاعتراف بالحق مع علمه به كأهل الكتاب قال تعالى : " فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به[6] " .

---

(١) سورة المؤمنون : آية (٤٧) .
(٢) سورة الفرقان : آية (٢١) .
(٣) سورة القصص : آية (٣٩) .
(٤) سورة النمل : آية (١٤) .
(٥) سورة الزخرف : آية (٣١) .
(٦) سورة البقرة : آية (٨٩) .

ب ـ التكبر على غير الرسل من سائر الناس :-

وهذا يكون بأن يستعظم المتكبر نفسه ويستحقر غيره ، فتأبى نفسه عن الانقياد لهم إذا كانوا محقين ، وتدعوه إلى الترفع عليهم ، يستصغرهم في نظره ، ويأنف من مساواتهم ، وهذا النوع من الكبرياء فضيع من وجهين :-

أحدهما : أن الكبرياء ، والعزة ، والعظمة لاتليق إلا بالله ، أما العبد المملوك الضعيف العاجز فمن أين يليق بحاله الكبر ؟ فمهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى فى صفة لاتليق إلا بجلاله .

ثانيهما : أنه يدعو إلى مخالفة الله فى أوامره ؛ لأن المتكبر إذا سمع الحق من عبد من عبيد الله الصالحين استنكف عن قوله ، واشمأز بجحده[1] .

ويدخل فى هذا القسم كل من أنف قبول الوعظ ، ويشير إلى ذلك قوله تعالى : " وإذا قيل له : اتق الله أخذته العزة بالإثم[2]" .

وقد عرضت قريش على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يطرد أتباعه الفقراء حتى يتبعونه فأنزل الله قوله : " ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ماعليك من حسابهم من شئ ، وما من حسابك عليهم من شئ فتطردهم فتكون من الظالمين[3]" ، فقد روى ابن ماجه بسنده عن سعد قال : نزلت هذه الآية فينا ستة : في ، وفى ابن مسعود ، وصهيب ، وعمار ، والمقداد ، وبلال، قال : قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا لانرضى أن تكون

---

(١) انظر إحياء علوم الدين : ٣/٣٤٦، ٣٤٧.

(٢) سورة البقرة : آية (٢٠٦) .

(٣) سورة الأنعام : آية (٥٢).

أتباعاً لهم فاطردهم عنك ، قال فدخل قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك ماشاء أن يدخل فأنزل الله " ولاتطرد . . "[1] .

(١) سنن ابن ماجه : كتاب الزهد ، باب مجالسة الفقراء ١٣٨٢/٢، ١٣٨٣
وانظره في تفسير الطبرى : ٢٠٢/٧.
قال الهيثمى : (رجال أحمد الصحيح غير كردوس وهو ثقة) (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ٢١/٧، الطبعة الثالثة ١٩٦٧م ، نشر دار الكتاب العربى) .

أثر الكبر في الانحراف الفكري :-

لاشك أن الكبر ، والعجب عاملان صارفان عن الاستجابة للحق ، وباعثان إلى التمرد عليه ، والخروج عن دائرة الطاعة والانقياد للخالق ، ويكون ذلك بارتكاب النواهي ، وترك الأوامر ، وقد كان الكبر هو الصارف لإبليس عن طاعة الله حينما أمره بالسجود لآدم فأبى واستكبر وامتنع عن تنفيذ أمر ربه (١) قال تعالى مخبراً عنه : " وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر ، وكان من الكافرين (٢) " ، فبين تعالى أن الباعث لإبليس على الكفر والعناد هو استكباره عما أمره الله به من السجود لآدم ، فقد أبى أن يسجد ، وكان هذا مظهراً في السلوك (٣) .

وقد جاء بيان الدافع النفسي فقط - وهو الكبرياء - دون ذكر مظهر الإباء في قوله تعالى : " فسجد الملائكه كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين (٤) " وهكذا جر إبليس استكباره ، وعجبه ، وعناده إلى المنحدر السحيق ، وكانت عقوبته من جنس ذنبه ومعصيته إذ طرده تعالى من رحمته ، وجعله من الصاغرين قال تعالى : " فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فأخرج إنك من الصاغرين (٥) "" .

وكان سبب هلاك الأمم السابقة هو كبريائهم ، وعتوهم ، مما أدى بهم إلى الكفر ، وجحود ماجاءت به الرسل ، ومن ذلك قوم نوح فقد أخبر الله عنهم بقوله : " وأصرّوا واستكبروا استكباراً (٦) " ، فاستحقوا الهلاك بالطوفان ، وكذلك كان الكبر هو الدافع

---

(١) انظر العقيدة الإسلامية : للميداني ، ص ٦٩٦ .
(٢) سورة البقرة : آية (٣٤) .
(٣) انظر تفسير الطبري : ١/٢٢٤ - ٢٤٣ .
(٤) سورة ص : الآيتان (٧٣ - ٧٤) .
(٥) سورة الأعراف : آية (١٣) .
(٦) سورة نوح : آية (٧).

القوى لتكذيب قوم صالح وخاصة قادتهم،قال تعالى : " قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه ؟ قالوا : إنا بما أرسل به مؤمنون ، قال الذين استكبروا : إنا بالذى آمنتم به كافرون [1] " ، وكذلك قوم شعيب كذبوه ، وكفروا بربهم بسبب استكبارهم ، وإعراضهم عن الحق،قال تعالى مخبراً عنهم: " قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا ، قال : أولوكنا كارهين [2] " ، كما استكبرت عاد بغير الحق ، وكذبوا هوداً كما قال تعالى مخبراً عنهم : " فأما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحق [3] " ، وقد كان الكبر هو الدافع الأعظم لكفر فرعون وادعائه للألوهية ، والربونية ، وامتناعه عن الاستجابة لنداء الحق،قال تعالى مخبراً عنه : " واستكبر هو وجنوده فى الأرض بغير الحق ، وظنوا أنهم إلينا لايرجعون [4] " وقد كان عاقبة استكبارهم الهلاك فى الدنيا ، والعذاب فى الآخرة .

وكذلك بنو إسرائيل أصابهم داء الكبر الذى أصاب من قبلهم ، بالإضافة إلى انحرافات أخرى خُلُقيه صرفتهم عن الاستجابة للحق ، فلذلك خاطب الله اليهود بقوله : " ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات، وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بمالاتهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقاً كذبتم ، وفريقاً تقتلون [5] " ولما جاء الإسلام ، ودعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إليه تحركت فيهم عدة انحرافات خُلُقية منها نزعتا: الحسد ، والكبرياء ويظهر ذلك فيما أخبر الله عنهم بقوله : " وقالوا : قلوبنا

---

(١) سورة الأعراف : آيتا (٧٥ ، ٧٦) .
(٢) سورة الأعراف : آية (٨٨) .
(٣) سورة فصلت : آية (١٥) .
(٤) سورة القصص : آية (٣٩) .
(٥) سورة البقرة : آية (٨٧) .

غلـــف(١) "

وفى الرسالة الخاتمة ـ رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ـ نجد أمثلة كثيرة ، وشواهد متعددة من الذين استنكفوا عن اتباع الحق ، والإيمان بمحمد صلى الله عليـه وسلم بدافـــع الكبرياء فى نفوسهم فقد رأى مشركوا مكةأن محمداً بشراً مثلهم فاستكبروا عن اتباعه، وقد وصــف الله واقعهم ذلك بقوله : " وقال الذين لايرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أونـــــــــرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوعتوًا كبيراً "(٢) .

وقال مشركوا قريش للحق لما جاءهم واستكبروا عن اتباعه : إن هذا القرآن سحـــــــر ، أو أنه افتراه محمد من عند نفسه،قال تعالى مخبرًا عنهم : " وإذا تتلى عليهم آياتنـــــــــا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين ، أم يقولون : افتراه (٣)" وقـــــد سلك المستكبرون عن اتباع الحق فى تبرير واقعهم ، وجذب السالكين فى طريقهم مسالـــــك كثـيرة منها :

١ ـ الجدال بالباطل ، وتنميق زخرف القول قال تعالى : "إن الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم إنْ فى صدورهم إلاكبر ماهم ببالغيه ، فاستعذ باللـــــــه إنه هو السميع البصير(٤) " ، وفى هذه الآية تصوير بديع للكبر الحاجب لهم عــــــن اتباع الحق ، وهو جدالهم بالباطل ليد حضوا به الحق ، فكأنَ صدورهم قد خلـــت من كل شئ إلا من الكبر ، فهو قدزاحم كل شئ .

---

(١) سورة البقرة : آية (٨٨) .
(٢) سورة الفرقان : آية (٢١) .
(٣) سورة الأحقاق : آيتا (٧ ، ٨) .
(٤) سورة غافر : آية (٥٦) .

ثم إن داء الكبر قد ينمو نموًا قاتلًا حتى يعمي البصيرة ، ويجعل القلوب لا تعي شيئًا إلا مايرضي تلك الصفة الذميمة وهذا ماعبر عنه القرآن بالطبع على القلوب،قال تعالى : " كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار (١)" ، ويؤكد معنى الطبع على القلوب بسبب الكبر قوله تعالى : " سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق ، وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها ، وإن يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلًا ، وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلًا (٢) " .

٢ - أسلوب السخرية ، والاستهزاء : للصد عن الصراط المستقيم ، وقد بين الله ذلك فى نصوص كثيرة منها قوله تعالى : " ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ، ويتخذها هزوًا أولئك لهم عذاب مهين ، وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرًا كأن لم يسمعها (٣) " .

ولهذا نجد كثيرًا من أعداء الحق يستخدمون سلاح السخرية ، والاستهزاء لصرف ضعفاء الإرادة عن سلوك سبيل الهداية ، والتزام شرع الله ، فإذا رأوا مسلمًا ملتزمًا سلقوه بألسنة حداد بالسخرية ، والاستهزاء ، وكل لاذع من القول (٤) .

ومع هذا كله فإن الكبر يوصل إلى الشرك ؛ لأن صفة الكبرياء خاصة بالله روى مسلم بسنده عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " العز إزاره ، والكبرياء ردائى ، فمن ينازعنى عذبته (٥) " .

---

(١) سورة غافر : آية (٣٥) .
(٢) سورة الأعراف : آية (١٤٦) .
(٣) سورة لقمان : آيتا (٦ ، ٧) .
(٤) انظر الأخلاق الإسلامية وأسسها : للميدانى ، ١/٦٧٤ - ٧١٧ .
(٥) صحيح مسلم : كتاب البر ، والصلة ، باب تحريم الكبر ٨/٣٦ ،
وانظره فى سنن أبى داود : كتاب اللباس ، باب ماجاء فى الكبر ٤/٥٩ ، وفى سنن ابن ماجه : كتاب الزهد ، باب البراءة من الكبر ٢/٣٩٧ .

ولما كانت إرادة العلو فى الأرض ، والفساد فيها ناتجان عن الكبر جعل اللـه المتكبرين محرومين من النعيم فى الآخرة أيضاً،قال تعالى : " تلك الدار الآخـرة نجعلها للذين لايريدون علواً فى الأرض ، ولافساداً ، والعاقبة للمتقين (١) " .

ثانياً : الغـرور :-

تعريفه : لغة : مصدر غرّه يغره ، غروراً ، وغِرّة فهو مخدوع ، وغرير : أى خدعه وأطمعه بالباطل ، والغَرر : ماغرك من إنسان وشيطان وغيرهما ، والغُرور: بضم الغين ما اغتر به من متاع الدنيا (٢) .

واصطلاحـاً :

هو سكون النفس إلى مايوافق الهوى ، ويميل إليه الطبع من شبهة ، وخدعـة من الشيطـان (٣) .

أصناف المغرورين من الناس ، وأثر الغرور فى الانحراف :-

أكثـر الناس مغرورون ، وإن أختلفـت أصناف غرورهـم ، ودرجاتهـم فيـه وهـم أصنـاف :

١ - أهـل العلم : وهم طوائف :-

أ - من أتقنوا العلوم الشرعية ، والعقلية ، وتعمقوا فيهما لكن أهملوا نفوسهم عن حفظها من الوقوع فى المعاصى ، وإلزامها بالطاعات، فاغتروا بعلمهـم ،

---

(١) سورة القصص : آية (٨٣) .

(٢) انظر لسان العرب : ٥/١١-٢١ مادة "غرر" ، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن : ص٣٧١ .

(٣) انظر إحياء علوم الدين : ٣/٣٧٩، والتعريفات : ص ١٦٧ .

وظنوا أن الله لايطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لظنهم السيء أن لهم كرامة على الله فهم مغرورون من هذه الناحية ، وهؤلاء يقال لهم : إن العلم بدون عمل لاقيمة له مهما بلغ صاحبه فيه فلابد من التطبيق وإلا ليس لعلمه فائدة تذكر فمثله كما قال تعالى في حق اليهود : " مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً [1] "، فأي خزي أعظم من التمثيل بالحمار ؟ وقال تعالى - في حق بلعام بن باعوراء - حينما لم يعمل بالآيات التي آتاه الله ، واتبع هواه:" فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث [2] " فأي قبح وشناعة من التمثيل بالكلب ؟.

ب - من أحكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة ، وتركوا المعاصي إلا أنهم لم يجتنبوا الصفات المذمومة عند الله من الكبر والحسد ، وطلب الرياسة ، وإرادة السوء للأقران ، وطلب الشهرة ، فهؤلاء زينوا ظواهرهم [3] وأهملوا بواطنهم ، وهؤلاء منافقون لمخالفة بواطنهم .

جـ - من عرفوا أن تلك الأخلاق مذمومة من ناحية الشرع ، ومستقبحة من ناحية العقل إلا أنهم يظنون أنهم منفكون عنها ، وأنهم أرفع عند الله من أن يبتليهم بذلك ، وإنما يبتلى العوام دون من بلغ مبلغهم من العلم ، ثم ظهر عليهم علامات الكبر ، وحب الرئاسة ، فهذا نسي عدوه الشيطان وأنه يفرح بما فعله ، ونسي ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم من التواضع فقد روى البخاري بسنده عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " تحاجت الجنة والنار فقالت النار:أوثرت بالمتكبرين ، والمتجبرين ،

---

(١) سورة الجمعة : آية (٥).

(٢) سورة الأعراف : آية (١٧٦).

(٣) انظر إحياء علوم الدين : ٣/٣٨٨، ٣٨٩.

وقالت الجنة : مالي لايدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم؟ فقال الله تبارك وتعالى للجنة:أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادى، وقال للنار: إنما أنت عذاب أعذب بك من أشاء من عبادى ،ولكل واحدة منهما ملوءها [1]"، ونسي ماعليه الصحابة ومن بعدهم ممن سلك طريقهم من التواضع حتى عوتب عمر فى بذاذة زيه عند قدومه إلى الشام فقال : إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب العز من غيره [2].

د - من اشتغلوا بعلم الكلام ، والمجادلة فى الأهواء ، واستكثروا من المقالات المختلفه واشتغلوا بتعلم الطرق فى مناظرة أولئك وإفحامهم ، والواقع أن الفرق الضالة كلها تدعو إلى غير السنة ، وهذا راجع إلى غفلتها ، وضلالها ، وظنها بنفسها النجاة فهولاء جعلوا الشبهة دليلاً ، والدليل شبهة .

وأما السلف الصالح الذين هم على مثل ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه فإنهم أدركوا كثيراً من أهل البدع، والأهواء فما جعلوا أعمارهم،ودينهم غرضاً للخصومات ، والمجادلات ، ولم يتكلموا فيه إلا من حيث رأوا حاجة ، أو توقع قبول ، فذكروا بقدر الحاجة مايدل الضال على ضلالته ، وإرشاده إلى الاستقامة ، وإذا تبين لهم أنه مصر على ضلالته هجروه ، وأعرضوا عنه ، وأبغضوه فى الله،ولم يلزم الجدل معه طول العمر بل قالوا : إن الحق هو الدعوة إلى السنة ، ومن السنة ترك الجدال فى الدعوة إليها [3] .

---

(١) صحيح البخارى : كتاب التفسير ، باب وتقول هل من مزيد ٤٨/٥، وانظره فى صحيح مسلم : كتاب الجنة : باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء ٨/١٥٠، ١٥١ .

(٢) انظر إحياء علوم الدين : ٣٩٠/٣ ، واخرجه ابن أبى شيبة فى كتاب الزهد (انظر المصنف : ٢٦٤/١٣).

(٣) انظر إحياء علوم الدين :٣٩٥/٣.

هـ - من اشتغلوا بالوعظ،والتذكير ، وعدلوا عن المنهاج الواضح فى العدل،فاشتغلوا بالشطح [١] ، وكلمات خارجه عن الشرع والعقل طلبا للإغراب ، وبعضهم يحث على الإخلاص وهو غير مخلص ، ويذم الصفات المذمومة وهو بها متصف ، وهوءلاء كما قال الله فيهم : " أتأمرون الناس بالبر ، وتنسون أنفسكم [٢] " ، ومنهم : من يحفظ كلام الزهاد ، والوعاظ فى ذم الدنيا من غير إحاطة بمعانيها ، ويفعلون ذلك على المنابر ، وأماكن الوعظ، والإرشاد [٣] .

٢ - غرور العباد :-

وهم طوائف فمنهم من اشتغل بالنوافل، والفضائل ، وترك الفروض، والواجبات ومنهم من يقرأ القرآن وهو لايتفكر فى معانيه ، وينزجر بزواجره ، ويتعظ بمواعظه ، ويمتثل بأوامره ويجتنب نواهيه ، ويعتبر بمواضع الاعتبار فيه [٤] .

٣ - غرور أهل التصوف :-

منهم : من اغتر بالهيئة ، والزي فلبسوا المرقعات ، والفوط ، والمصبوغ من الثياب ، ومنهم : من أدعى علم المعرفة ، ومشاهدة الحق ، ومجاوزة المقامات ، والأحوال [٥] والوصول إلى قرب الحضرة الربانية ، فهم ينظرون

---

(١) هي عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة،ودعوى ، فهى دعوى يفصح بها العارف منغير إذن إلهى بطريق يشعر بالنباهة - وهى من مصطلحات الصوفية(انظر التعريفات : ص ١٣٢).

(٢) سورة البقرة : آية (٤٤) .

(٣) انظر إحياء علوم الدين : ٣/٣٩٥ - ٣٩٧.

(٤) انظر المصدر نفسه : ٣/٤٠٠ - ٤٠٤ .

(٥) المقام : عبارة عما يوصل اليه بنوع تصرف، ويتحقق به بضرب تطلّب ، ومقامات تكلّف (انظر التعريفات : ص ٣٤٤).

والحال : معنى يرد على القلب من غير تصنع (انظر التعريفات : ص ٨٥ .

إلى الفقهاء ، والمحدثين ، والمفسرين وغيرهم بعين الازدراء والاحتقار، ويـــرددون كلمات مزيفه كأنه يتكلم عن الوحى .

ومنهم : من وقع فى الإباحة والعشق فطووا بساط الشرع ، ورفضوا الأحكام الشرعيـــة، وسووا بين الحلال ، والحرام ، حتى زعم بعضهم أن الله مستغن عن عمله فلايتعـــب نفســـه .

وزعم بعضهم أنه قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات ، وعن حب الدنيا وذلـــك محال ، وإنما يغتر من لم يجرب أماهم فيزعمون أنهم قد جربوا ، وأدركوا أن ذلـك محـــال .

ومنهم : من ضيق على نفسه فى أمر القوت حتى طلب منه الحلال الخالص ، وأهملـوا تفقد القلب والجوارح (١) .

٤ - غرور أصحـــاب الأمـــوال :-

وهم طوائف : فمنهم من يبنى المساجد ، والمدارس ، والرباطات ، والقناطـر وما يظهر للناس كافة ، ويكتبون أساميهم بالآجر عليها ليخلد ذكرهم ، ويبقى بعـــد الموت أثرهم وهم بنوها من أموال كسبوها من الظلم ، والنهب ، والرشوات وسائر الحرام.
ومنهم : من ينفق على بناء تلك الأمور من المال الحلال لكن يداخله الرياء ، وطلـــب الثناء ، وربما يصرف ذلك فى زخرفة المساجد ، وتزينها بالنقوش التى نُهِي عنهـــا ، وفيها مشغلة للمصلين عن الخشوع الذى هو لب الصلاة .

---

(١) انظر إحياء علوم الدين : ٣/٤٠٤ ومابعدها .

ومنهم : من ينفق الأموال على الفقراء والمساكين ويطلبون به المحافل الجامعة ، كما يطلبون الثناء والمدح ، وكل ذلك رياء محبط للعمل الذى قارنه .

ومن أرباب الأموال من اشتغل بالحفظ،والإمساك عن الإنفاق ، واشتغل بالعبادات البدنيه التى لاتحتاج إلى نفقة : كصيام النهار ، وقيام الليل ، ويترك الانفاق من ماله على الفقراء والمساكين وكل ذلك راجع إلى بخله ، وشحه وذلك مذموم في الشرع[1] .

والغرور هو أم الشقاوات ، ومنبع المهلكات ، فإن المغرور لم تتفتح بصيرته؛لأنه اتخذ الهوى قائداً ، والشيطان دليلاً .

وقد ذكر الغزالي أمثلة للغرور تركنا ذكرها هنا خشية الإطالة[2].

---

(١) انظر إحياء علوم الدين : ٣/٤٠٧ - ٤١٤ .

(٢) انظر المصدر نفسه : ٣/٣٨٠ - ٣٨٨ .

ثالثاً : الحسـد :-

وهو من أقبح الأمراض النفسية الخبيثة ؛ لأنه يجعل صاحبه ينكر الحق ، ويجحده مهما كان ظاهراً ، ومؤيداً بالحجج ، والبراهين الصحيحة ويتولد الحسد عن الأنانية ، ومحبة الإنسان لنفسه فقط ، أو لمحيطه الضيق مع قصر النظر فى عواقب الأمور ، فهو مرض ينتج عنه حب الأثرة ، واحتكار كل خير ، وادعاء كل فضيلة وشرف ، وذلك يؤدى إلى التنازع ، والاختلاف ، والبغضاء.

معنى الحسـد :-

أصل الحسد فى اللغة القشر ، ومنه أخذ الحسد؛ لأنه يقشر القلب كما تقشر القراد الجلد فتمتص دمه ، يقال : حسده إذا تمنى أن تتحول إليه نعمته ، وفضله، أويسلبها هو ، وهو يخالف الغبطه فهي أن يتمنى أن يكون له نعمة مثلها من غير أن يتمنى زوالها عنه(1) .

ومعناه اصطلاحاً :-

هو تمنى زوال النعمة عن المحسود للحاسد (2) .

وقيل : حقيقة الحسد شدة الأسى على الخيرات تكون للناس الأفاضل(3) .

وحكى ابن تيميه قول بعضهم فى حده : أنه أذى يلحق بسبب العلم بحسن مال الأغنياء فلايجوز أن يكون الفاضل حسوداً ؛ لأن الفاضل يجرى على ماهو الجميل ، وقد قالت طائفة من الناس : إنه تمنى زوال النعمة عن المحسود ، وإن لم يحصل للحاسد مثلها ، بخلاف الغبطه : فإنها تمنى مثلها من غير حب زوالها عن المغبوط. والتحقيق : أن الحسد هو البغض ، والكراهية لما يراه من حسن المحسود (4) .

---

(1) انظر لسان العرب : ٣/١٤٨- ١٥٠ " مادة حسد " .
(2) انظر التعريفات : ص ٩٢، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهانى : ص ١١٦.
(3) انظر أدب الدنيا والدين : ص ٢٦١ .
(4) انظر الفتاوى : ١٠/١١١ ومابعدها .

أسباب الحسـد :-

للحسد أسباب كثيرة منها :-

١ - أن يكون بالحاسد شح بالفضائل الخلقية،وبخل بالنعم :-

وهي مواهب من الله قد منحها من شاء من عبادة ، فيسخط على قضاء الله وقدره ، ويحسد على مامنح الله من عطائه ، وإن كانت النعمة عنده أكثر ، وأظهر ، وهذا النوع من الحسد أعمها ، وأخبثها إذ ليس لصاحبه راحة ، ولا لرضاه غاية ، وإن اقترن بشر ، وقدرة كان بوراً ، وانتقاماً وإن صادف عجزاً ومهانة كان جهداً وسقاماً [١] .

٢ - التزاحم على غرض واحد :-

كالذى يكون بين أرباب المهنه الواحدة : كالنجارين وغيرهم ، وكلما ضاقت البلد يكون الحسد أشد ، وأبين فى ذلك كالمدن الصغيرة ، والقرى بخلاف المدن الكبيرة فيقل فيها الحسد،لاتساعها ، وقلة التعارف فيها ، وكثرة الأعمال فى أنحائها ، فإذا اختلفت المهن ضعف داعي الحسد فيها [٢] .

٣ - العداوة ، والبغضاء :-

فإن من آذاه شخص بسبب ما ، وخالفه فى غرض بوجه من الوجوه أبغضه قلبه ، وإذا عجز المبغض ، والمعادى عن أن يتشفى بنفسه أحب أن يتشفى منه بنزول المصائب

---

(١) انظر أدب الدنيا والدين : ص ٢٦٢ .

(٢) انظر الخلق الكامل : ٤/٢٢٢ ومابعدها .

عليه ، وقد يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى فى زعمه فإذا أصابت عدوه بليه فرح بها ، وظنها مكافأة له عند ربه وأنها لأجله ، وإذا أصابته نعمة ساءه ذلك لأنه ضد مراده[1] .

وبالجملة فالحسد يلزم البغض ، والعداوة ، ولايفارقهما ، وهذا مما وصف به الكفار، قال تعالى : " وإذا لقوكم قالوا آمنا ، وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ ، قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور[2] " .
وقال تعالى : " ودواما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم ، وماتخفى صدورهم أكبر[3] " .

٤ - **الكبر ، والعجب ، والتعزز :-**

ويكون ذلك بأن يكون فى طبعه أن يتكبر عليه ، ويستصغره ، ويتوقع منه الانقياد ، والمتابعة له فى شئونه ، وأما التعزز : فهو أن يصعب عليه أن يتعالى عليه غيره فإذا أصاب بعض أقرانه ولاية ، أو علماً ، أو مالاً خاف أن يتكبر عليه ، وهو لايطيق تكبره ، ولاتسمح نفسه باحتمال تفاخره عليه .
ومن التكبر ، والتعزز : كان حسد أكثر الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى مخبراً عنهم : " وقالوا : لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم[4] "، وقال تعالى مخبراً عن مشركي قريش : " أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا[5] " ، وقد أخبر تعالى عن الأمم السابقة أنهم قالوا لرسلهم : " قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا[6] " .

---

(١) انظر إحياء علوم الدين : ١٩٢/٣ ومابعدها .
(٢) سورة آل عمران : آية (١١٩) .
(٣) سورة آل عمران : آية (١١٨) .
(٤) سورة الزخرف : آية (٣١) .
(٥) سورة الأنعام : آية (٥٣)
(٦) سورة يس : آية (١٥) .

٥ - **حب الرياسة،وطلب الجاه لنفسه،والخوف من فوات المقاصد :-**

ويكون ذلك مع ضعف الإيمان : كالرجل الذى يريد أن يكون لامثيل له فى أمر من الأمور لينال الرياسة والجاه وغيرهما ، فإذا سمع بنظير له فى أقصى العالم، ساءه ذلك ، وأحب موته ، وزوال النعمة عنه التى بها يشاركه المنزله من رئاسة أوجاه ، أوغيرهما ، وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يؤمنون به خيفة من أن تبطل رئاستهم[1] ؛ ولأنهم يظنون أنه يبعث منهم.

٦ - **أن يظهر المحسود فضل يعجز عنه الحاسد :-**

فيكره تقدمه فيه ، واختصاصه به فيثير ذلك حسداً لولاه لكف عنه ، وقد يمتزج بهذا النوع نوع من المنافسة ولكنها مع عجز[2] .

(١) انظر إحياء علوم الدين : ١٩٤/٣، والخلق الكامل : ٤٢٢/٤ ومابعدها .

(٢) انظر أدب الدنيا والدين : ص ٢٦٢ .

أقسام الحسد :-

ينقسم الحسد إلى قسمين :-

أولاً : الحسد المذموم :

وهو تمنى زوال النعمة عن الغير ، وقد ورد النهي عنه،روى البخارى بسنده عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" لاتباغضوا ، ولا تحاسدوا، ولاتدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً (١) " ، وهو الذى شرع الله الاستعاذة منه فى قوله : " ومن شر حاسد إذا حسد (٢) " ، وهذا القسم له ثلاث دركات :

الأولى :-

أن يحب زوال النعمة عن المحسود ، وإن كان ذلك لاينتقل إليه، وهذه من أقبح دركاته .

الثانية :-

أن يحب زوال النعمة إليه لرغبته فى تلك النعمة مثل رغبته فى ولاية نافذة أوسعة نالها غيره وهويحب أن تكون له ، ومطلوبه تلك النعمة لازوالها عنه،ومكروهه فقد النعمة لاتنعم غيره بها .

الثالثة :-

أن لايشتهى عينها لنفسه بل يشتهى مثلها ، فإن عجز عن مثلها أحب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما (٣) .

---

(١) صحيح البخارى: كتاب الأدب ، باب ماينهى عن التحاسد والتدابر ٨٨/٧.
وانظر فى صحيح مسلم : كتاب البر والصلة ، ٨/٨، ٩ ، وفى سنن الترمذى : كتاب البر والصلة ، باب ماجاء فى الحسد ٣٢٩/٤، وقال حديث حسن صحيح .

(٢) سورة الفلق : آية (٥) .

(٣) انظر إحياء علوم الدين : ١٩٣/٣.

وهذه الدركات الثلاث متفاوتة فى العقوبة؛لأن الجزاء من جنس العمل ، فالأولى أعظم من الثانية ، وهي أعظم من الأخيرة ، ويستثنى من هذا القسم ما إذا كانت النعمة لكافر ، أو فاسق يستعين بها على معصية الله فهذا لا مانع من تمنى زوالها عنه [1] .

ثانياً : الغبطة :-

وهي أن يحب الإنسان لنفسه مثل نعمة غيره دون أن يتمنى زوالها عنه ، وهو شعور طيب يدعو إلى السعي ، والجد فى نيل المطالب الكريمة ، ويطلق الحسد على الغبطة مجازاً وهذا القسم ما إليه الإشارة فى الحديث،روى البخارى بسنده عن عبدالله بن مسعود قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم :" لاحسد إلا فى اثنتين رجل أتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها "(٢) .

فهذا الحديث يقرر أن هناك حالتين ينبغى أن يغبط الإنسان فيها غيره ، ويتمنى مثل نعمته لازوالها عنه :-

الحالة الأولى :-

حال رجل أعطاه الله المال فلم يبخل به ، ولم يحبسه عن الخير بل صرفه فى وجوه البر،والطاعات ، ففرّج كربة البائس ، وخفّف ويلة المنكوب ، وأسهم فى المشروعات النافعة وكان بذلك فرداً صالحاً عاملاً لدينه ثم لمجتمعه ، وأمته .

---

(١) انظر فتح البارى : ١٦٧/١.

(٢) صحيح البخارى : كتاب العلم ،باب الاعتباط فى العلم والحكمة ٢٦/١، وانظره فى سنن الترمذى : كتاب البر والصلة ، باب ماجاء فى الحسد ٣٣٠/٤، وقال : حديث حسن صحيح ، وفى سنن ابن ماجه : كتاب الزهد ، باب الحسد ١٤٠٧/٢.

الحالـة الثانيـــة :-

حال رجل أتاه الله المعرفة الحقه فأدرك الأمور إدراكاً صحيحاً،وفهمه فهمـــاً سليما ، ووجّه سلوكه وعمله كما هدته حكمته ثم أخذ ينشر هذا العلم فى الناس محاولاً إرشاد الضال،وهداية الحائر ، والخروج بالمجتمع من ظلام الجهل،والحرمان إلى نـــور الحياة الصالحة الكريمـــة .

ولا شك أن هاتين الخصلتين جديرتان بالغبطه لما فيهما من خير ، ومالهمـــا من أثر قوى فى بنيان المجتمع السليم ، ويسمى هذا القسم بالمنافسة وهو الغالـــب ولهذا يبتلى غالب الناس بالغبطه ، فيتنافس الاثنان فى الأمر المحبوب المطلوب ، كلاهما يطلب أن يأخذه وذلك لكراهة أحدهما أن يتفضل عليه الآخر، والتنافس ليس مذمومـــاً مطلقاً (١) بل هو محمود،قال تعالى : " وفى ذلك فليتنافس المتنافسون"(٢).
فالتنافس فى سبيل نيل الدرجات فى الآخرة مطلوب ، وسلوك طرقه أمر محبوب كمـــا أن المنافسة من أسباب تقدم الصناعة ، والعلوم ، والتجارة وغير ذلك (٣) .

وبهذا يتضح أن الغبطة غير الحسد لاختلاف الغاية : إذ غاية الحسد الاضرار بالغير ، وترقب زوال النعمة عنه ، والفرح بما يصيبه من أذى،أو شر ، وأما غايـــة الغبطة فهي كسب المحامد من طريقها المشروع مع عدم الاضرار بالغير .

وللحسد أمارات ومظاهر يشاهدها المحسود فى وجه حاسده غالبا فيعرفه بتغـــير لونه ، والاعراض عنه ، والخلاف عليه فى كل جليل وحقير ، ولايتودد إلا لمن يبغضـــه ولايعادى إلا من يحبه وإذا استشير كان غير أمين ، وإذا أسدى إليه معروف جحـــده،

---

(١) انظر الفتاوى : ١٠/١٣.
(٢) سورة المطففين : آية (٢٦).
(٣) انظر الخلق الكامل : ٤/٤٢٠.

وإذا رأى حسنته أخفاها،وإذا رأى سيئة أذاعها [1] .

أثر الحسد في الانحـراف الفكـري :-

الحسد أول دافع للخطيئة الأولى وعامل مهم في الانحراف عن الاستقامة، وذلـك حين حسد إبليس آدم فيما حكاه الله تعالى بقوله : " أأسجد لمن خلقت طيناً [2]" ، ولم تهدأ ثائرة حسد إبليس لآدم بل سعى لإخراجه وزوجه من الجنة وتجاوز ذلـك حيث أصر على أن يتعقبهما وذريتهما في دار الدنيا بالإغواء ، والإضلال،قال تعالـى مخبراً عنه : " لئن أخرتني إلى يوم القيامه لأحتنكن ذريته إلا قليلاً [3] " .

فهذا استمرار في الإفساد والكيد لآدم وذريته من بعده حتى يكونوا من الغاوين، فالمرض النفسي مع إبليس أولاً هو الكبر ، ثم الحسد ثانياً فلذلك قرر أن يتابع البشريـة بالإغواء والتضليل حتى يوقعهم في الانحراف عن سبيل الهدى، وكان حسد إبليـس من أخس دركات الحسد لما تولد عنه من البغضاء ، والعداوة لآدم وذريته .

وقد حسد قابيل هابيل ، وحقد عليه وهدده بالقتل ، حتى طوعت له نفسـه قتل أخيه ، وقد سن سنة سيئة في البشرية وهي القتل بدافع الحسد ، روى البخاري بسنده عن عبدالله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لاتقتل نفـس إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها [4] " .

قال ابن حجر : قوله : " على ابن آدم الأول " هو قابيل عند الأكثر [5] .

---

(١) انظر المرجع نفسه : ٤/٤٢٥.

(٢) سورة الإسراء : آية (٦١) .

(٣) سورة الإسراء : آية (٦٢).

(٤) صحيح البخاري : كتاب الديات ، باب قوله تعالى :" ومن أحياها " ٨/٣٥.
وانظره في سنن ابن ماجه : كتاب الديات ، باب التغليظ في قتل مسلم ظلماً ٢/٨٧٣.

(٥) انظر فتح الباري : ١٢/١٩٣.

ثم تترى بعد ذلك قصص الجرائم المرتكبة فى البشرية ، والانحراف عن الاستقامة بسبب الحسد ومن ذلك قصة أولاد يعقوب عليه السلام حيث حسدوا أخاهم يوسف عليه السلام وقد قص الله ذلك بقوله : "إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفى ضلال مبين ، اقتلوا يوسف أو أطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين[1] " .

فاستقر رأيهم على أن يتخلصوا من يوسف بتلك الطريقة ، ولكن يعقوب لم يصرح لهم بأنه لا يأمنهم عليه ، بل اعتذر لهم بأنه يحزنه فراقه ، فأجج بذلك حسدهم ، وأخذوه ونفذوا مكيدتهم ، وألقوه فى الجب ، قال تعالى مخبراً عنهم: " فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب ، وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون"[2] .

وبتلك الجريمة النكراء داوى الإخوة داء الحسد الذى أكل قلوبهم .
ومن أكبر العوامل الصادة لليهود عن اتباع الحق الذى جاء به النبى صلى الله عليهوسلم داء الحسد ، ويظهر ذلك واضحاً فى تآمرهم على دعوته ، وعلى حياته، ثم تابعوا تآمرهم على الإسلام وأهله فى جميع عصور التاريخ[3] .

وكان يهود المدينة يقولون للأوس والخزرج قبل ظهور أمر الرسول صلى الله عليه وسلم : إن نبياً مبعوثاً الآن قد أظل زمانه ، وكانوا يسألون الله أن يفتح عليهم به فلما جاءهم ، وهاجر إلى المدينة ، وعرفوا صدقه حسدوه إذ لم يكن من جنسهم،

---

(١) سورة يوسف : الآيتان (٨، ٩).
(٢) سورة يوسف : آية (١٥).
(٣) انظر الأخلاق الإسلامية وأسسها : ١/٧٤٩ ومابعدها .

فدفعهم الحسد إلى الكفر برسالته، قال تعالى مخبراً عنهم :
" ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين[١] " .

وداء الحسد فى اليهود الذين أصروا على التكذيب لم يشفه أن يرتكبوا جريمة الكفر فحسب بل دفعهم إلى اتخاذ الوسائل المتنوعة ليردوا الذين آمنوا عن دينهم وهذه خطتهم الاجرامية التى يسيرون عليها فى كل زمان، ومكان .

قال تعالى مخبراً عنهم : " ودّ كثير من أهل الكتاب لويردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق "[٢].

وسلالتهم فى العصر الحاضر يعملون على نفس المنهاج الذى سار عليه أسلافهم فهدفهم المنشود إفساد الناس ، وإخراجهم من الاستقامة إلى الانحراف . . .

وبهذا يتبين أن داء الحسد قديم فى البشرية ، روى الترمذى بسنده عن الزبير بن العوام أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " دب إليكم داء الأمم الحسد ، والبغضاء هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين[٣] " .

وقد شبه الرسول صلى الله عليه وسلم الحسد بالنار فى أكله للحسنات روى أبوداود بسنده عن أبى هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " إياكم والحسد ، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، أوقال : العشب[٤] " .

---

(١) سورة البقرة : آية (٨٩) .
(٢) سورة البقرة : آية (١٠٩) .
(٣) سنن الترمذى : كتاب صفة القيامة ، باب رقم ٥٦ ، ٦٦٤/٤ ، وقال الترمذى : اختلفوا فى روايته عن يحي بن كثير ، ولم يذكروا فيه الزبير ، ولكن السيوطى صححه (انظر الجامع الصغير : ١٤/٢) .
(٤) سنن أبى داود : كتاب الأدب ، باب فى الحسد ٢٧٦/٤ ، وانظره فى سنن ابن ماجه : كتاب الزهد ، باب فى الحسد ١٤٠٨/٢ .

رابعاً : الحقـــــد :-

معنـــى الحقـــــد :-

لغة : الضِّغْن ، وجمعه أحْقاد ، ورجل حَقُود : كثير الحقد ، وأَحْقَدَه الأمر : صـيَّره حاقداً ، ويرادفه الغل (١) .

والفرق بينه وبين الغضب : أن الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التَّشفِّـــى والانتقام فى الحال فإنه يرجع إلى الباطن ويستقر فيه فيصير حقداً (٢) .

واصطلاحاً : امساك العداوة فى أعماق القلب ، والتربص لفرصتها .

وقيل : هو سوء ظن فى القلب على الخلائق لأجل العداوة(٣) .

أســباب الحقـــــد :-

له عدة أسباب منها :-

١ - الحسد للغير على ما أوتي من نعمة وجاه وغيرهما فيحسد الحاسد ثم يحقـــد .

٢ - سوابق الأذى من الغير ، مما ينتج العداوة ، والبغضاء ممن لا يستطيع الانتقـــام فيؤدى إلى مجارات أعدائه بالشر وذلك بالتربص لهم ، فالحاقدون يقضون أعمارهم فى الخصام ، وحب الانتقام .

٣ - عدم تحقيق المجتمع تطلعات المتكبر ، ومطالبه الشخصية حتى ولو كانت منافيـــه للمجتمع فينتج عن ذلك الحقد على المجتمع الذى يعيش فيه .

---

(١) انظر لسان العرب : ١٥٤/٣، ١٥٥ " مادة حقد " .

(٢) انظر إحياء علوم الدين : ١٨١/٣، والخلق الكامل : ٤٢٧/٤.

(٣) انظر التعريفات : ص ٩٦.

أثر الحقد في الانحـــراف :-

الحقد من أكبر العوامل الصادة عن الحق وعن قبوله ، والاستجابة له والتمرد عليـــه. ودوره في الانحراف لايخفى على أحد ، والشواهد على ذلك كثيرة فكتب التاريخ مليئـــة بذكر الأحداث الدامية التي سببتها الأحقاد .

وقد اكتسحت دولة الإسلام عقائد منحرفة كالمجوسية ، والوثنية ، وقوضت دول كـــبرى كفارس والروم ، وقضت على ديانات محرفة - كاليهودية ، والنصرانية - فكان رد الفعل مـــن جراء ذلك الحقد على الإسلام وأهله في قلوب أولئك لفقد زعامتهم الدينية والسياسية ، وحدثت مؤامرات كثيرة متسترة على الإسلام وأهله في أحقاب التاريخ الإسلامي المتوالية، فمنها : مايحمل حرباً فكرية مقنعة بألوان شتَّى من المكر ، والخديعة ، ومنها : مايحمل حرباً مسلحة بكل قوة مادية مدمرة ، والغرض من ذلك هدم كيان الحق الذي جاء به الإسلام ، وتفريـــق كلمـــة المسلميـــن [1] .

والحقد أكبر المفسدات للفكر السليم؛ لأنه غشاوة تشغل البال ، وتورث الهم ، فيعطـــل طاقات الفكر ،ويصرفها عما هو صالح ومفيد للفرد ، والمجتمع ؛ لأن الحقد يورث الكراهيـــة الشديدة التي تصل إلى حد البغض ، أو إلى حد الانتقام ، إذا بقى في قرارة النفـــس، كما أن بقاءه يكون على حساب كثير من الفضائل ، وجوانب الخير داخل النفوس فهو شبيـــه بالسرطان الداخلي .

---

(١) انظر الأخلاق الإسلامية ، وأسسها : ٧٢٢/١ - ٧٢٤ .

من أمثلة الحقد على الإسلام،وأهله :

حقد اليهود منذ الأيام الأولى التي وصل فيها النبى صلى الله عليه وسلم مهاجراً إلى المدينة حيث نصبوا له العداء ، وكذبوا برسالته ، وألبوا عليه[1] مشركي العرب وغيرهم ، وغلا الحقد فى قلوبهم ، وأخذوا ينظرون إليه خائفين من انتشار دعوته فدبروا لذلك مجموعة من المكائد ضد الإسلام منها : التظاهر بالدخول فىالإسلام نفاقاً ليعملوا على تخريبه من الداخل ، ومحاولة الدخول فى الإسلام ثم الخروج منه فجأة ليفتنوا ضعاف الإيمان عن دينهم ، كما كانوا يلقون على الرسول صلى الله عليه وسلم مجموعة من الأسئلة التى يتعنتون فيها ليلبسوا الحق بالباطل ، كما سلكوا نوعاً من الحرب الدعائية القائمة على أسلوب الشتائم والسخرية[2] .

وقد استمر هذا الحقد بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، فقد كانت فتنة عبدالله بن سبأ اليهودى دليلاً على استمرار حقد اليهود على الإسلام ، فقد تظاهر بالإسلام نفاقاً ليبث عناصر الفساد ، والفتنة ، والحقد ، ويبث فيهم أفكاراً غامضة يتلاعب فيها بعقائد الناس،وغلا فى علي رضي الله عنه ، وزعم أنه كان نبياً ، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله[3].
ولا تزال أحقاد اليهود على المسلمين إلى عصرنا الحاضر .

---

(١) هو التدبير على العدو من حيث لايعلم ، وألب الجيش إذا جمعه (انظر لسان العرب ٢١٥/١ - ٢١٧ مادة " ألب ") .
(٢) من ذلك أنه جاء جبل بن أبى قشير ، وشمويل بن زيد فقالا : يامحمد : أخبرنا متى تقوم الساعة إن كنت نبياً كما تقول ؟ فأنزل الله تعالى قوله : " يسألونك عن الساعة أيان مرساها؟ قل إنما علمها عند ربى ... الآية) .
سورة الأعراف : آية (١٨٧) .
(انظر أسباب النزول : للواحدى ، ص ١٧٠ ومابعدها) .
(٣) انظر الفرق بين الفرق : ص ٢٣٣ ومابعدها .

خامساً : الغضـــــــب :-

تعريفـــــــه :-

لغة : نقيص الرضا ، والغضب من المخلوقين شيء يداخل قلوبهم، ومنه ماهو محمـــود وهو ما كان في جانب الدين ، والمذموم ماكان على خلاف الحق(١) .

واصطلاحـــاً :-

تغير يحصل عند غليان دم القلب طلباً للانتقام(٢) .

والمذموم منه : الافراط في تلك الصفة وهي أن تخرج عن سياج الشرع ، والعقـــل ، ولايبقى للمرء معها بصيرة ولانظر ولافكر .

وأما التفريط في تلك الصفة : فيكون بفقدها أوضعفها وذلك مذموم أيضاً ، وقد حكـــى الغزالي قول الشافعي : من استغضب فلم يغضب فهو حمار(٣) .

فالواجب الوسط ، والاعتدال لا إفراط ، ولاتفريط ، وهو الغضب الذى يخضـــع للعقل والدين كالغضب الذى يكون عندما تنتهك حرمات الدين ، أو العرض أوغيرهما (٤)

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغضب إذا رأى منكراً فقد روى البخـــارى بسنده عن ابن مسعود قال : " أتى رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إنـــى لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان يطيل بنا قال : فما رأيت رسول الله صلى اللـه

---

(١) انظر لسان العرب : ٦٤٨/١ ومابعدها " مادة غضب " .
(٢) انظر التعريفات : ص ١٦٨، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن : ص ٣٧٤.
(٣) انظر إحياء علوم الدين : ١٦٧/٣ ، ومختصر منها ج القاصدين : للمقدسي ،ص ١٧٨.
(٤) انظر إحياء علوم الدين : ١٦٨/٣.

عليه وسلم قط أشد غضباً فى موعظة منه يومئذ ، قال : فقال : أيها الناس إن منكم منفرين .... " الحديث[1] .

ولهذا كانت آثار الغضب تظهر على وجهه ، ويعرفها أصحابه رضي الله عنهم ، لكن ذلك غضب فى الأمور الدينية ، وكان صبره صلى الله عليه وسلم على الأذى إنما هو فى حق نفسه ، والغضب إذا تعدى حدوده ، وكان فى غير مايتعلق بالدين ، أوبانتهاك الحرمات فهو مذموم لما روى البخارى بسنده عنأبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليهوسلم قال : " ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب [2] " .

أسباب الغضب :-

للغضب أسباب كثيرة منها : العجب ، والكبر ، والممارة ،والمجادلة ، والهزل ، والهزء ، وشدة الحرص على فضول المال والجاه ، وتزال تلك الأسباب بأضدادها [3].

وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الغضب المذموم ،فقد روى البخارى بسنده عن أبى هريرة أن رجلاً قال للنبى صلى الله عليه وسلم : أوصنى ، قال : لاتغضب فردد مراراً ، قال : لاتغضب"[4] .

---

(١) صحيح البخارى : كتاب الأدب ، باب مايجوز من الغضب والشدة لأمر الله ٩٨/٧ ، وفى كتاب الأحكام : باب هل يقضى الحاكم أو يفتى وهو غضبان، ١٠٩/٨.

(٢) صحيح البخارى: كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب ٩٩/٧، وانظره فى صحيح مسلم كتاب الآداب والبر والصلة، باب فضل من يملك نفسه عندالغضب ٣٠/٨ ، وفى سنن أبى داود : كتاب الأدب ، باب من كظم غيظا ٢٤٨/٤ .

(٣) انظر إحياء علوم الدين: ١٧٢/٣، وفى مختصر منهاج القاصدين: ص ١٨٥.

(٤) صحيح البخارى: كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب.٩٩/٧، ١٠٠، وانظره فى سنن الترمذى : كتاب البر والصلة ، باب ماجاء فى كثرة الغضب ٣٧١/٤ .

وقد حكى ابن حجر[1] عن الخطابى[2] قوله : إن معنى "" لاتغضب "" اجتنب أسبابه ، ولا تتعرض لما يجلبه ، وأما نفس الغضب فلا يتأتى النهي عنه لأنه أمر طبعي[3] .

أثـر الغضب فى الانحـراف :-

إذا اشتد الغضب فإنه يعمى البصائر عن كل موعظة ، فإذا وعظ لم يسمع ، وإذا أراد الرجوع إلى الاستضاءة بنور عقله لم يقدر، لأن الغضب يطفىء نور العقل ، ويشوش الفكر وربما يتعدى إلى مراكز الحس فهو أشبه حالاً بالسفينه عندما يلتطم بها الموج ، فقد يسب الدين وهو لايدرى لأنه مستغرق فى حالة غضبه ، وهو يورث أيضاً فوق هذا: الحقد ، والحسد ، وإضمار السوء على اختلاف أنواعه[4] .

وهكذا فالغضب عدو العقل ، ولذلك نهى النبى صلى الله عليه وسلم القاضي أن يقضى وهو غضبان - لأن الغضب مانع من إعطاء كل ذي حق حقه - روى البخارى بسنده عن عبدالرحمن بن أبى بكرة قال : كتب أبو بكر إلى ابنه وكان بسجستان بأن لاتقضي بين اثنين وأنت غضبان فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " لايقضين حكم بين اثنين وهو غضبان[5] " .

(١) هو أحمد بن على بن محمد الكنانى العسقلانى ، المعروف بابن حجر، محدث مؤرخ ولد فى عام ٧٧٣هـ، وتوفى ٨٥٢هـ، زادت تصانيفه التى معظمها فى الحديث والتاريخ وغيرهما على مائة وخمسين مصنفاً أشهرها فتح البارى والإصابة (انظر معجم المؤلفين : ٢/٢٠، ٢١) .

(٢) هو أحمد بن محمد الخطابى البستى من ولد زيد بن الخطاب يكنى أبوسلمان محدث لغوى فقيه ، أديب ولد سنة ٣١٩، وتوفى سنه ٣٨٨هـ من تصانيفه معالم السنن ، وغريب الحديث ، وشرح البخارى (انظر معجم المؤلفين : ٦١/٢) .

(٣) انظر فتح البارى : ٥٢٠/١٠ .

(٤) انظر إحياء علوم الدين : ١٦٧/٣، ١٦٨ .

(٥) صحيح البخارى : كتاب الأحكام ، باب لايقضى الحاكم أويفتى وهو غضبان ١٠٨/٨، ١٠٩ .

ولهذا أمر الله الداعي إلى الله أن يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة ، قال تعالى :
" ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي أحسن (١) " .

والإنسان فى غضبه حاكم غير منصف ، لذلك تأتى أحكامه بعيده عن الحق ، والصواب (٢).

وهو يفقد رشده ، ويصبح وحشاً كاسراً لايدرى مايفعل ، ولهذا جعل الله من صفات المؤمنين العفو عند الغضب قال تعالى : " وإذا ماغضبوا هم يغفرون (٣) " .

---

(١) سورة النحل : آية (١٢٥).
(٢) انظر روح الدين الاسلامى : لعفيف طباره ، ص ٢٣٠.
(٣) سورة الشورى : آية (٣٧) .

سادساً : الظلم :-

تعريفه :-

الظلم لغة : هو الميل عن القصد ، ووضع الشئ في غير موضعه ، يقال : لاتظلم وضح الطريق أي : احذر أن تحيد عنه ، والظلمة : عدم النور[١] .

واصطلاحاً :-

هو التعدى على الحق ، والميل إلى الباطل [٢] .

المجالات التي يدخل الظلم فيها :-

يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام هي[٣] :-

١ - الظلم في حقوق الله على عباده :-

من عقيدة ، وشريعة ، ومن ذلك الشرك بالله فهو ظلم؛لأنه وضع للعبادة في غير موضعها؛لأن المستحق لها هو الخالق ، الرزاق ، المالك ، الغنى لا المخلوق المفتقر إلى خالقه فإن العاجز لايصلح للألوهية قال تعالى :" إن الشرك لظلم عظيم[٤]" ، وقال تعالى : " الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون [٥] " .

---

(١) انظر لسان العرب : ١٢/٣٧٣ مادة " ظلم" ، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن :ص٣٢٥.
(٢) انظر التعريفات :ص٤٨.
(٣) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن : ص ٣٢٦، ٣٢٧.
(٤) سورة لقمان : آية (١٣).
(٥) سورة الأنعام : آية (٨٢).

وقد روى البخاري بسنده عن عبدالله بن مسعود قال:" لما نزلت : " ولم يلبسوا إيمانهم بظلم" قال أصحابه:وأينا لم يظلم فنزلت : " إن الشرك لظلم عظيم[1] "" .

وقد نهى الله آدم،وحواء عن الأكل من الشجرة ، ولما أكلا منها كانا ظالمين قال تعالى : " ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين[2] " .

والظلم فيه تعدي لحدود الله ، وحدود شرائعه ، وتجاوز حدوده معصية له ، ولذلك كثرت فى القرآن آيات تنسب الظلم إلى كل المتجاوزين لحدود الله منها قوله تعالى : " ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون[3] ".

ومن الظلم منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ، والسعي فى خرابها حسيًّا ، ومعنويًّا ، وقد توعدهم الله بأنواع من العقوبات المتنوعة : كإلقاء الخوف فى قلوبهم ، والخزي فى الدنيا ، والعذاب فى الآخرة،قال تعالى:" ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها أولئك ماكان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم فى الدنيا خزي ولهم فى الآخرة عذاب عظيم[4] " .

٢ - **الظلم فى مجال حقوق العباد :**

ويكون ذلك بهضمها ، وعدم الاعتراف لأصحابها بها ، وأكل أموال الناس بالباطل قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا أمولكم بينكم بالباطل -

---

(١) صحيح البخارى : كتاب التفسير ، باب ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ١٩٣/٥.
(٢) سورة البقرة : آية (٣٥) .
(٣) سورة البقرة : آية (٢٢٩).
(٤) سورة البقرة : آية (١١٤) .

إلى قوله ومن يفعل ذلك عدواناً وظلماً فسوف نصليه ناراً وكان ذلك على الله يسيراً [١] " .

ولذلك حرم الله الظلم على نفسه ، وحرمه على العباد، روى مسلم بسنده عن أبي ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه عن ربه عز وجل أنه قال : " ياعبادى إنى حرمت الظلم على نفسي فلا تظالموا ..... الحديث" [٢] .

٣ - **ظلم الإنسان لنفسه :-**

فكل ظلم يعاقب عليه صاحبه فهو من قبيل ظلم نفسه كأن يغامر فى فعل مايشتهي ولو كان محرماً ، أويقصر فى أداء الواجبات، قال تعالى : " فمنهم ظالم لنفسه " [٣] .

أثر الظلم في الانحراف :-

لاشك أن الظلم مرض نفسي ، واجتماعي يجب استئصاله حال ظهوره وإلا كان خطراً عاماً على الأمة الإسلامية ، وقد نبه القرآن على هذا بقوله تعالى: " واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة " [٤] .

وأما أثره فى الانحراف الفكرى فإن الظلم يدخل فى مجالات الحقائق الفكرية ، والعلمية ويكون ذلك بتجاوز حدودها ، وبإنكارها وجحودها [٥] .

---

(١) سورة النساء : آيتا (٢٩، ٣٠) .
(٢) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم ١٧/٨ .
(٣) سورة فاطر : آية (٣٢) .
(٤) سورة الأنفال : آية (٢٥) .
(٥) انظر الأخلاق الإسلامية وأسسها : ٨٦/٢ ومابعدها .

ومن أظلم الظلم الاعراض عن آيات الله بعد التذكير بها ، وعدم الاستجابة لله فيما يدعى إليه من الإيمان والعمل الصالح، قال تعالى : " ومن أظلم ممن ذُكِّر بآيات ربه فأعرض عنها ، ونسي ماقدمت يداه ، إنا جعلنا على قلوبهم أكنّة أن يفقهوه ، وفي آذانهم وقراً ، وأن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً "(١)، بل إن الاعراض عن آيات الله سبب للعقاب العاجل ، والآجل، قال تعالى : "ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون "(٢) .

ومن أظلم الظلم أيضاً الكذب على الله لإضلال الناس بغير علم، قال تعالى : " فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم "(٣) .

كما أن الظلم سبب لهلاك الأمم المكذبة للرسل، قال تعالى : " وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً "(٤).

---

(١) سورة الكهف : آية (٥٧) .
(٢) سورة السجدة : آية (٢٢) .
(٣) سورة الأنعام : آية (١٤٤) .
(٤) سورة الكهف : آية (٥٩) .

سابعاً : الكـــــذب :-

تعريفـــه :-

لغة : نقيض الصدق ، يقال : كَذَبَ يَكْذِبُ كَذِباً [1] .

واصطلاحـــاً :-

عـــدم مطابقـــة الخـــبر للواقــــع [2] .

والكذب منأقبح الرذائل ، فيه يتصدع بنيان المجتمع ، ويختل سير الأمـــور ، ويسقط صاحبه من عيون الناس ، فلايصدقونه فى قول ، ولايثقون به فى عمل لعـــدم الثقة به ، ولهذا كتب الله على الكاذبين الضلالة،قال تعالى :" إن الله لايهـــدي من هو مسرف كذّاب "(٣) .

أنـــواع الكـــذب :-

للكذب أنواع كثـيرة منها :-

١ - الخيانـــة :-

وهي شر أنواعه التى يتصف بهاالكذاب ، وينتقل ضررها إلى سائر الأفـراد ، وهذه الصفة نذير الخراب ، والفوضى ، ولهذا نهى الله عن الخيانة،قال تعالى :
" يا أيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول، وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون" [4] ، والخيانة علامة من علامات النفاق .

---

(١) انظر لسان العرب : ١/٧٠٤-٧١٠ "مادة كذب" ، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن :ص٤٤٤
(٢) انظر التعريفات : ص ١٩٢.
(٣) سورة غافر : آية (٢٨) .
(٤) سورة الأنفال : آية (٢٧) .

٢ - **خلف الوعد :-**

وهذه الصفة تدل أيضاً على أن صاحبها منافق لايرجى منه خير ، ولايكون موضع ثقة ، وهي تنزع المودة بين الأفراد ، والجماعات[1] ، ولهذا وصف الرسول صلى الله عليه وسلم خلف الوعد بأنها من أخلاق المنافقين للتحذير منها، روى البخاري بسنده عن أبي هريرة أن : رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف، وإذا أوتمن خان [2] " .

٣ - **شهادة الزور :-**

وهذه من أخطر الصفات القبيحة التي يترتب عليها أخطر المشاكل التي تؤدي إلى ضياع الحقوق ، ونشر الفوضى ، ولذا قرن الله إثمها بإثم الاشراك به قال تعالى : " فاجتنبوا الرجس من الأوثان ، واجتنبوا قول الزور[3] " ، وهي من أكبر الكبائر روى البخارى بسنده عن أبى بكرة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا : بلى يارسول الله قال : الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وكان متكئاً فجلس فقال : ألا وقول الزور ، وشهادة الزور ألا وقول الزور ، وشهادة الزور فما زال يقولها حتى قلت : لا يسكت[4] " .

---

(١) انظر روح الدين الإسلامي : ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(٢) صحيح البخارى: كتاب الأدب ، باب ماينهى عن الكذب ٩٥/٧، وانظره فى صحيح مسلم كتاب الإيمان ، باب بيان خصال المنافق ٥٦/١.

(٣) سورة الحج : آية (٣٠) .

(٤) صحيح البخارى : كتاب الأدب ، باب عقوق الوالدين من الكبائر ٧٠/٧، ٧١، وانظره فى صحيح مسلم : كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها ٦٤/١، وفى سنن الترمذى كتاب الشهادات ، باب ماجاء فى شهادة الزور ٥٤٨/٤.

٤ - النميمـــــــه :-

وهي نقل الكلام من شخص إلى الآخرين على وجه السعاية،والإفساد [1] .

وهى تدل على أن صاحبها ذو نفسية مريضه لاهم له إلا روءية الناس متعاديـــن متخاصمين ، وأكبر سلاح يحارب به النمام هو عدم الاستماع لقوله ، وهذا مايأمـــر به تعالى بقوله : " ولاتطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم [2] " ، ولهـــذا كانت عقوبته من أشد العقوبات،روى البخارى بسنده عن حذيفه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : " لايدخل الجنة قتات[3]"، كما أن النميمة سبب لعـــذاب القبر،روى البخارى بسنده عن ابن عباس قال : خرج النبى من بعض حيطـــان المدينة فسمع صوت إنسانين يعذبان فى قبورهما ، فقال : يعذبان ،ومايعذبـان فى كبيرة،وإنه لكبير - وفيه - وكان الآخر يمشي بالنميمة........ الحديث[4]".

على أن الكذب منه ماهو مرخص فيه لكنه محصور فى نطاق ضيق،روى مسلـــم بسنده عن أم كلثوم ...أنهـا سمعت رسول الله صلى اللـــه عليـــه وسلـــم وهو يقول : " ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس ، ويقول : خيراً ، أوينمـــي خـيراً ، قال ابن شهاب : ولم اسمع يرخص فى شيء مما يقول الناس كذب إلا فى ثلاث : الحرب ، والإصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امرأته ، وحديث المـرأة زوجهـــا " [5] .

---

(١) انظر إحياء علوم الدين : ١٥٦/٣ ، والتعريفات : ص ٣١٧، فتح البـــارى: ٤٧٣/١٠.
(٢) سورة القلم : آية (١٠، ١١).
(٣) صحيح البخارى : كتاب الأدب ، باب مايكره من النميمة ٨٦/٧.
(٤) صحيح البخارى : كتاب الأدب ، باب النميمة من الكبائر ٨٦/٧.
(٥) صحيح مسلم : كتاب البر والصله ، باب تحريم الكذب وبيان مايباح فيه ٢٨/٨.

أثر الكـذب في الانحـــــراف :-

الإنسان مفطور فى أساسه وتكوينه على حب الحق ، والذى يحب الحق لايكون خائنـــاً ولا كذاباً ، وللبيئة أثر قوى على أهلها سلباً أو إيجاباً ولما كان الإنسان فى فطرته أكثـــر ميلاً إلى الحق،والصدق كانت تربيته على ذلك أمراً ميسوراً يجد من الفطرة مساعدات عليـــه، وكثيراً من العلاقات الاجتماعية ، والمعاملات الإنسانية تعتمد على شرف الكلمة الصادقـــة، فإذا لم تكن الكلمة معبرة تعبيراً صادقاً لم نجد هناك وسيلة أخرى تعرف بوساطتها حقيقـــة أخبارهم ، فالصدق يهدى إلى البر ، والكذب يهدى إلى الفجور ويؤيد هذا ماروى البخارى بسنده عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"إن الصـــدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند اللـــه صديقاً، وإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار ، وإن الرجل ليكـذب حتى يكتب عند الله كذاباً (١) " .

فمن كان الكذب خلقاً أصيلاً فيه هان عليه أن ينكر الحق ، ويدّعى خلافه ، فإذا عـــرف أن أركان الإيمان حق بعد أن أقيمت له الأدلة الواضحة لم يجد بداً من انكارها ، أوتأويلها، أو ادعاء خلافها كذباً ، ولم يجد حرجاً فى نفسه أن يعلن أن معتقداته الباطلة هـــــي معتقدات صحيحة ملفقاً لها الشبهات الواهية ، وهو يعلم أنه يكذب على الحقيقة والواقـــع، فالمنافق مثلاً يتظاهر بالإسلام زوراً ليحميه النفاق من السطوة عليه ، أو ليظفر بمطامـــــع مادية ، وقد ساعده على ذلك خلق الكذب ، ومن أشنع صور الكذب : الكذب على الله ـ كما فعل اليهود والنصارى ـ فحرفوا التوراة ، والإنجيل حتى اختلط الحق بالباطل مع عــــدم الامكان فى التمييز بينهما،قال تعالى : " فمن أظلم ممن أفترى على الله كذباً ليضـــــل الناس بغير علم(٢) " .

---

(١) صحيح البخارى : كتاب الأدب ، باب مانيهى عن الكذب ٧/٩٥، وانظره فى صحيـــح مسلم : كتاب البر والصلة ، باب تحريم الكذب ٨/٢٨، وفى سنن أبى داود : كتـــاب الأدب ، باب فى التشديد فى الكذب ٤/٢٩٧ وفى سنن ابن ماجه : كتاب الدعـــاء، باب الدعاء بالعفو والعافيه ٢/١٢٦٥.

(٢) سورة الأنعام : آية (١٤٤).

ونظير الكذب على الله الكذب على رسوله صلى الله عليه وسلم،روى مسلم بسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار[١] " .

فمن يروى الأحاديث الموضوعة ، وهو يعلم ذلك ثم لايبيّن وضعها ، ولايذكر أنها مكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أحد الكذابين،روى مسلم بسنده عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من حدث عنى حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين[٢] " .

وقد وضعت الزنادقة أحاديث كثيرة لكن جهابذة علماء الحديث قاموا بأعمال علمية مضنية حرروا فيها مانسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحاديث وميّزوا الأحاديث، الصحيحه ، والضعيفة،والموضوعة[٣] .

والإسلام يمنع الكذب حتى فيحال المزاح ، ويتوعد من يفعل ذلك ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم : " ويل لمن يحدث فيكذب ليضحك به القوم،ويل له، ويل له[٤]" .

وهناك أمراض نفسيه أخرى تؤدى إلى الانحراف عن الاستقامة[٥] كالطمع فإن الإنسان قد ينحرف عن الاستقامة طلباً للجاه ، والمال وغيرهما ، ولقد كان رسول الله يعطى أقواماً عطاء جزيلاً لما يرى فى نفوسهم من الطمع فيتألف بذلك قلوبهم ، ويحبب إليهم اتباع الحق، وسلوك

---

(١) صحيح مسلم : باب التحذير من الكذب على رسول الله ، ١/٧، ٨ .
(٢) صحيح مسلم : باب وجوب الرواية عن الثقات ، وترك الكذابين ، ١/٧.
(٣) انظر تدريب الراوى : للسيوطى ، ١/٢٨٤ ومابعدها .
(٤) سنن أبى داود : كتاب الأدب ، باب فى التشديد فى الكذب ٤/٢٩٨، وانظره فى سنن الترمذى : كتاب الزهد ، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس ٤/٥٥٧ ، قال الألبانى حديث حسن (انظر صحيح الجامع الصحيح : ٦/١١٣، الطبعة الأولى، نشر المكتب الإسلامى) .
(٥) انظر الأخلاق الإسلامية واسسها : ١/٧٦١، ٧٦٢.

سبيل الهدى وقد أعطى رسول الله المؤلفة قلوبهم من غنائم حنين ، وكانوا من أشراف النـاس يتألفهـم[1] .

(١) انظر السيرة النبوية : لابن هشام ، ٤/١٣٥ - ١٤٣ .

" المبحث الرابع "

حث الإسلام لأبنائه على الالتزام :-

كان الناس قبل مبعث النبى صلى الله عليهوسلم فى جاهلية جهلاء ، وضلالة عمياء، مقبلون على عبادة أسلافهم ، متلمسين من ذلك جلب النفع ، ودفع الضر من دون الله، ثم بعث الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم إلى جميع الثقلين ، هادياً ، ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً يأمرهم بإخلاص العبادة لله بجميع أنواعها ، ويحذرهم من الوقوع فى براثن الشرك ، وهذا الأصل - وهو إخلاص العبادة لله وحده - هو ما اتفقت عليه دعوة الرسل جميعهم قال تعالى : " ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله ، واجتنبوا الطاغوت "(1) .

كما جعل تعالى الغاية من إيجاد الثقلين - الجن ، والإنس - هى : إخلاص العبادة له وحده لاشريك له،قال تعالى : " وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون(2)" ،كما بين أن الدين المقبول عنده هو الإسلام،قال تعالى : "إن الدين عند الله الإسلام"،" ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين(3) " .

ودين الإسلام هو الصراط المستقيم الذى فرض على الخلق أن يسألوه هدايته كل يوم مراراً فى صلاتهم(4) ، كما فى قوله تعالى :" اهدنا الصراط المستقيم(5)" ، ووصفه بأنه صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين يقول ابن القيم : (ولما كان طالب الصراط المستقيم طالب أمر أكثر الناس ناكبون عنه مريداً لسلوك

---

(١) سورة النحل : آية (٣٦).
(٢) سورة الذاريات : آية (٥٦).
(٣) سورة آل عمران : آيتا (١٩، ٨٥).
(٤) انظر اقتضاء الصراط المستقيم : لابن تيمية ، ص ٣، ومابعدها .
(٥) سورة الفاتحة : آية (٦).

طريق مرافقه فى غاية القله والعزة ، والنفوس مجبولة على وحشة التفرد ، وعلى الإنس بالرفيق نبه الله بالرفيق فى هذا الطريق وأنهم هم " الذين أنعم الله عليهم من النبين والصديقين ، والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً [١] " ، فأضاف الصراط إلى الرفيق السالكين له. . . ليزول عن الطالب للهداية ، وسلوك الصراط وحشة تفرده عن أهل زمانه وبنى جنسه [٢]) .

وقد مدح الله المستقيمين بقوله : " إن الذين قالوا : ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولاتحزنوا ، وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون [٣] " .

فالاستقامة اعتدال ميول النفس فى سائر أحوالها من قول وفعل وانفعالات نفسية، ويستتبع هذا حتماً سلوك المنهج الأقوم باتباع ما أمر به الشرع ، وترك مانهى عنه، والسعي فى تكميل النفس بالفضائل ، وإبعادها عن الرذائل [٤] .

ولذلك جعلها الله سبباً لإدراك الرزق، ورغد العيش، قال تعالى : " وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً لنفتنهم فيه [٥] " .
والأدلة على وجوب سلوك طريق الاستقامة كثيرة ومتنوعة نوضح أهمها فيما يلى :-

أ - الأدلة من القرآن :-

دل على وجوب سلوك طريق الاستقامة من القرآن الكريم أدلة كثيرة منها :

١ - آيات تأمر بالاتباع :-

قال تعالى : " اتبعوا ما أُنزل إليكم من ربكم ، ولاتتبعوا من دونه أولياء

---

(١) سورة النساء : آية (٦٩).
(٢) مدارج السالكين : ٢٩/١.
(٣) سورة فصلت : آية (٣٠).
(٤) انظر الخلق الكامل : ١٠٧/٤، ١٠٨.
(٥) سورة الجن : آيتا (١٦، ١٧).

قليلاً ماتذكرون "[١] ، وقال تعالى : " الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم ، والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون "[٢] ، وغير ذلك من الآيات .

٢ - **آيات تحض على طاعة الله ورسوله :-**

كقوله تعالى : " ومن يطع الله ورسوله ، ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون "[٣] ، وقوله تعالى : " قل : أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ماحمل ، وعليكم ماحملتم ، وإن تطيعوه تهتدوا "[٤]، وغير ذلك من الآيات .

٣ - **ومنها آيات تدل على وجوب التأسي،والاقتداء به صلى الله عليه وسلم :-**

كقوله تعالى : " لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة "[٥]، وقال تعالى : " قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه"[٦].

---

(١) سورة الأعراف : آية (٣) .
(٢) سورة الأعراف : آية (١٥٧).
(٣) سورة النور : آية (٥٢) .
(٤) سورة النور : آية (٥٤) .
(٥) سورة الأحزاب : آية (٢١).
(٦) سورة الممتحنة : آية (٤) .

٤ - **آيـــات صريحة فـــى الأمر بالاستقامة ، والاعتصام بحبل الله :-**

كقوله تعالى : "إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولاتحزنوا ، وأبشـروا بالجنة التى كنتم توعدون "[1] ، وقال تعالى : "إنما إلهلكم إله واحد فاستقيموا إليه ، واستغفروه "[2] ، وقوله تعالى : "إن الذيـــن قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلاخوف عليهم"[3] ، بل إن الرسول صلى الله عليـــه وسلم أمر بالاستقامة لتقتدى به أمته قال تعالى : " فلذلك فادع واستقم كمـــا أمرت "[4] .

وقال تعالى : " فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولاتطغوا "[5] ،وقال تعالى : " واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا"[6] ، وقال تعالى : " ومن يعتصم باللـــه فقد هُدي إلى صراط مستقيم "[7] .

ب - **الأدلة من السنة على وجوب الاستقامة كثـيرة منهـــا :-**

١ - ماروى البخارى بسنده عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :" إنمـا مثلى ، ومثل مابعثنى الله به كمثل رجل أتى أقواماً فقال : ياقوم إنى رأيـــت الجيـــش بعينى ، وإنى أنا النذير العريان فالنجاء فأطاعه طائفة من قومـــه

---

(١) سورة فصلت : آية (٣٠) .
(٢) سورة فصلت : آية (٦) .
(٣) سورة الأحقاق : آية (١٣) .
(٤) سورة الشورى : آية (١٥) .
(٥) سورة هود : آية (١١٢) .
(٦) سورة آل عمران : آية (١٠٣) .
(٧) سورة آل عمران : آية (١٠١) .

فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا ، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم ، واجتاحهم ، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ماجئت به ، ومثل من عصاني وكذب ماجئت به من الحق[1] " .

٢ ـ ماروى البخاري بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا يارسول الله : من يأبى ؟ قال : من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى[2] " .

٣ ـ ماروى البخاري بسنده عن أنس بن مالك قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها ، فقالوا : وأين نحن من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غفر له ماتقدم من ذنبه ، وما تأخر قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبداً ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً فجاء رسول الله فقال : " أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله ، واتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني[3] " .

٤ ـ ماروى مسلم بسنده عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن مثل مابعثني الله به عز وجل من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ ، والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله منها الناس فشربوا منها ، وسقوا ، وزرعوا ،

(١) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام ، باب الاقتداء بسنن رسول الله ١٣٩/٨ ، وانظره في صحيح مسلم : كتاب الفضائل ، باب شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته وتحذيره مما يضرهم ٦٣/٧ .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام ، باب الاقتداء بسنن رسول الله ١٣٩/٨ .

(٣) صحيح البخاري : كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح ١١٦/٦ .

وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لاتمسك ماء ، ولاتنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به(١) " .

٥ - ماروى أبوداود بسنده عن العرباض بن سارية - وفيه - " فعليكم بسنتى ، وسنة الخلفاء الراشدين تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة(٢) " .

٦ - ماروى مسلم بسنده عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لاينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعاء إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لاينقص ذلك من آثامهم شيئاً (٣) " .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الفضائل ، باب بيان مثل مابعث به النبى صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم ٦٣/٧ .

(٢) سنن أبى داود : كتاب السنة، باب فى لزوم السنة ٢٠١/٤ ، وانظره فى سنن الترمذى : كتاب العلم ، باب ماجاء فى الأخذ بالسنة، واجتناب البدع ٤٤/٥ ، ٤٥ وقال : حديث حسن صحيح ، وانظره فى سنن ابن ماجه : المقدمة ١٥/١ - ١٧ .
وحكى ابن رجب أن الحافظ أبانعيم قال عنه بأنه حديث جيد من صحيح حديث الشاميين ولم يترك له البخارى ومسلم من جهة إنكار منهما له ،وزعم الحاكم أن سبب تركهما له أنهما توهما أنه ليس له راو عن خالد بن معدان عن ثور بن يزيد ، ورد هذا ابن رجب بأن الأمر ليس كما ظنه وليس الحديث على شرطهما ، فإنهما لم يخرجا لعبد الرحمن بن عمرو السلمى ، ولا لحجر الكلاعى شيئاً ، وليس ممن اشتهر بالعلم ، والرواية، وأيضاً قد اختلف فيه على خالد بن معدان، وقد أنكر طائفة من الحفاظ زيادة " فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد" وقالوا : هى مدرجة فيه، وأثنى ابن رجب على الإسناد الذى أخرجه ابن ماجه بأنه إسناد جيد متصل، ورواته ثقات مشهورون، وقد صرح فيه بالسماع. (انظر جامع العلوم والحكم: لابن رجب الحنبلى: ص ٢٢٦ ، وهامش كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : للالكائى، تحقيق: د.أحمد سعد حمدان ، ٧٦/١) .

(٣) صحيح مسلم : كتاب العلم، باب من سنن سنة حسنة، أوسيئة ٦٢/٨ ، وانظره فىسنن أبى داود : كتاب السنة، باب فىلزوم السنة ٢٠١/٤ ، قال الألبانى : " حديث صحيح" (صحيح الجامع : ٢٨٩/٥) .

جـ - الآثار الدالة على وجوب الالتزام ، والاستقامة ، والاتباع :-

وهي كثـــيرة منها :-

١ - قول أبى بكر : " السنة حبل الله المتين فمن تركها فقد قطع حبل الله[١] " .

٢ - قال عمر بن الخطاب : " أصحاب الرأي أعداء السنن أعيتهم الأحاديـــــث أن يحفظوها وثقلت منهم فلم يعوها ، فقالوا : بالرأي فضلوا ، وأضلوا [٢] " .

٣ - قال ابن مسعود : " اتبعوا ، ولاتبتدعوا فقد كفيتم، فإن كل محدثة بدعـــــة ، وكل بدعة ضلاله [٣] " .

٤ - قال عمر بن عبدالعزيز : " سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمـــــر من بعده سنناً الأخذ بها تصديق بكتاب الله ، واستكمال لطاعة الله ، وقـــوة على دين الله من عمل بها فهو مهتـد ،ومن استنصر بها فهو منصور ، ومـــن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ، ولاّه الله ماتولّى ، وأصلاه جهنم وســـاءت مصـيراً [٤] " .

٥ - كان أنس بن مالك كثيراً مايقول : " وخير أمور الدين ماكان سنة ، وشر الأمــور المحدثات البدائـــع[٥] " .

والحقيقة التى يجب أن تعلم أن التمسك بالكتاب والسنة والاتباع لهما ليس إلقـاء للعقل ولابلادة للذهن ، وإنما هو حفظ للعقل ، ومنعاً له من الشرور والفتن حتـــى يؤدى عمله من غير عقبات ولا عوائق ، والبعد عن ذلك يجعل العقل بعيداً عن رسالته

---

(١) انظر الشرح والإبانه : للعكبرى ، ص ١٢٠.

(٢) انظر الشرح والإبانة : ص ١٢١ ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : للالكائى ، ١٢٣/١ ، وعزاه ابن حجر للبيهقى (انظر فتح البارى : ٢٨٩/١٣).

(٣) انظر كتاب الشرح والإبانه : ص ١٣٦. ورواه الدارمي ٥٣/١ ، ورواه البغوى فى شرح السنه ٢١٤/١ ورواه أحمد فى الزهد : ١٦٢ ، والطبرانى فى الكبير : ١٦٨/٩ ، قال الهيثمى : رجاله رجال الصحيح وصححه الألبانى (انظر كلام المحقق على كتاب الزهد لوكيع: ٥٩٠/٢)

(٤) انظر جامع بيان العلم وفضله : لابن عبدالبر ، ٢٢٨/٢.

(٥) انظر الاعتصام : للشاطبى ، ٥٧/١.

فى الحياة ، واتباع غير شرع الله مهلكة ، ومذلة ، حيث إن الانقياد لله يعطى الإنسان قوة على قوته فيكون معه مدداً من الله ، وهدى يوجه عقله ، ويمكن قوته، ويجعله لايخضع إلا لله تعالى ، وإذا اتبع غير الله تأله عليه كل شىء أقربها شهواته .

وتاريخ البشريه يرينا الكثير من الذين بعدوا عن شرع الله وهداه فتسلط عليهم المتكبرون من البشرية حتى أفقدوهم إنسانيتهم ، ولذلك حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على أن ينقذ الناس بالاستقامة على الحق ، واتباع الهدى، وعقيدة المسلم ترسخ بالأسوة الحسنة ، وتعمق بالطاعة لله ولرسوله ، وتتميز بتحكيم كتاب الله ، وترتاح بالتسليم إليه[1] .

قال تعالى : " فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً [2] " .

وإلى جانب هذا حذَّر الرسول صلى الله عليه وسلم عن جميع الأمور الصادة عن الاستقامة .

وبعد أن عرفنا كيف بدأ الانحراف فى الاعتقاد كان لابد لنا أن نبحث عن أسبابه للتحذير من الوقوع فيه ؛ فإن الوقاية خير من العلاج ، وهذا ماسنتحدث عنه فى الباب الأول فيما يلى :-

---

(١) انظر البدعة ، والمصالح المرسلة : د. يوسف الواعي ، ص ٤٤ ومابعدها .
(٢) سورة النساء : آية (٦٥) .

الباب الأول

أسباب الانحراف في الاعتقاد

يرجع الانحراف فى الاعتقاد إلى عدة أسباب ينتج عنها مظاهر لذلك الانحراف وغالب تلك المظاهر يرجع إلى أكثر من سبب من تلك الأسباب،والبحث يقتضى تقديم الأسباب على المظاهر ؛ لأن معرفة السبب يعطي الوقاية التامة من الوقوع فى براثن الانحراف ، وأيضاً بمعرفة الأسباب يسهل علاج تلك المظاهر ، ويمكن توضيح أهم تلك الأسباب فى الفصول التالية :

الفصل الأول

ضعف العقل

تعريف العقل

استعمالات القرآن الكريم للعقل

الأحاديث الواردة في فضل العقل

أسباب الضعف العقلي

يمتاز الإنسان عن سائر الخلق بالعقل الذى به مناط التكليف ، وعليه تستند الواجبات كلها ، والحيوان مثلاً : لايشعر إلا باللذات الحسّية فهو يتهافت عليها دون تفكير ، أوتدبر، أما الإنسان فله من عقله حارس ، وسلطان ، فهو يخفى معايبه ولايسقط الحياء من حسابه، اللهم إلا إذا انقاد إلى شهواته ، وملذاته فيسهل عليه الهوان ، ويتردّى فى حضيض العار[1] .

وهذا أكبر دليل على إن الإسراف فى اللذات الحسية لايشرف الإنسان فينال ماهو حق منها فى توازن ، واعتدال ، والناس كما هم مختلفون فى الصور والأشكال هم أيضاً مختلفون فى العقول فهم درجات فيها .

والعقل من أكبر النعم على الإنسان ، فهو كما قلنا : مناط التكليف للأحكام الشرعية، بل هو شرط لقبول الأعمال ، والثواب عليها .

ولذا نجد أن المجنون غير مكلف إلا إذا أفاق فهو أحد من يشير إليهم النبى صلى الله عليه وسلم بقوله فيما روى أبو داود بسنده عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن المبتلى حتى يبرأ ، وعن الصبى حتى يكبر [2] " .

---

(١) انظر الخلق الكامل : ٣٣/٤ ومابعدها .

(٢) سنن أبى داود : كتاب الحدود ، باب فى المجنون يسرق أو يصيب حداً ١٣٩/٤، ١٤٠ وانظره فى سنن النسائى : كتاب الطلاق ، باب من لايقع طلاقه من الأزواج ١٥٦/٦ ، وسنن ابن ماجه : كتاب الطلاق ، باب طلاق المعتوه ١٥٨/١ ، ورواه البخارى من قوله علي (انظر صحيح البخارى : كتاب الطلاق ، باب الطلاق فى الإغلاق ١٦٩/٦) وقال الألبانى : " صحيح " (انظر صحيح الجامع : ١٧٩/٣) .

والعقل هبة من الله للإنسان حيث اختصه به أمر يتعلق به جانب الابتلاء وهو سر من الأسرار التى أودعها البارى تعالى فيه .

تعريف العقل :-

لغة : هو الحجر والنهى ، ضدالحمق ، وهو مصدر ، وقال سيبويه هو صفة، لأن المصدر لايأتى على وزن مفعول البته ، والعقل : القلب، والقلب : العقل، وسمى العقل عقلاً : لأنه يعقل صاحبه عن التورط فى المهالك : أى يحبسه عنها .

وقيل : العقل هو التمييز الذى يتميز به الإنسان عن سائر الحيوان ،واعتقل حبس[1] .

ولهذه اللفظه اطلاقات فى اللغة :

١ - أنها ترجع فى أصل وضعها إلى الامساك ، والاستمساك ، والمنع ، ومنه عقل البعير بالعقال ، وعقل الدواء البطن ، وعقلت المرأة شعرها ، وعقل لسانه : أى كفه، واعتقل لسانه إذا حبس ومنع الكلام ، ومنه قيل للحصن : معقل .

٢ - أنها القوة الغريزية فى النفس تعقل الإنسان عن الأمور القبيحة، وتبين له الأمور الحسنة .

٣ - أن العقل هو القوة التى تميز بين الخير ، والشر .

٤ - أن العقل ضد الحمق .

٥ - ثم اتسع بالمعنى فقيل : إن العقل هو القوة المتهيئة لقبول العلم، وهذا عقلان : عقل

---

(١) انظر لسان العرب : ٤٥٨/١١ مادة " عقل " .

مطبوع[1] ، وعقل مسموع يكسب بالتجارب والمعرفة[2] .

٦ - بعضهم أطلق العقل على العلم[3] .

واصطلاحاً :-

أختلفالناس فى حد العقل اختلافا كثيراً ، وقد أرجع الغزالي سبب الاختلاف إلى ذهول أكثر الناس عن كون العقل يطلق على معان مختلفه فهو مشترك ، فلاينبغى أن يجعل لأقسامه حداً واحداً بل يفرد كل قسم بالكشف عنه،ثم قسمه إلى أربعة أقسام هى :-

١ - أنه الوصف الذى يفارق الإنسان سائر البهائم ،وهو الذى استعد به لقبول العلوم النظرية .

٢ - أنه العلوم التى تخرج إلى الوجود فى ذات الطفل المميز بجواز الجائزات،واستحالة المستحيلات:كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد .

٣ - أنه علوم تستفاد من التجارب بمجارى الأحوال ، فالمجرب يقال له : عاقل فى العادة.

٤ - انتهاء قوة تلك الغريزة إلى معرفة عواقب الأمور ، وقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة وقهرها ، فإذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلاً[4] .

وقد عرفه ابن الجوزى بقوله : (والتحقيق فى هذا[5] أن يقال : العقل غريزة ،

---

(١) غريزى : وهو العقل الحقيقى وله حد يتعلق به التكليف، لا يجاوزة إلى زيادة، ولا يقصر عنه إلى نقصان، وبه يمتاز الإنسان عن سائر الحيوان (انظر أدب الدنيا والدين : ص ٢٠ ، ٢١) .

(٢) ويسمى العقل المكتسب : وهو نتيجة للعقل الغريزى وهو نهاية المعرفة، وصحة السياسة ، وإصابة الفكرة ، وليس لهذا حد،لأنه ينمو إن استعمل، وينقص إن أهمل ، وينمو بوساطة التجارب (انظرأدب الدنيا والدين: ص ٢٢) .

(٣) انظر كتاب الإسلام والعقل : د . صلاح الدين المنجد ، ص ٧ - ١٣ .

(٤) انظر إحياء علوم الدين : ١/٨٥، ٨٦ .

(٥) قال ذلك بعد أن بين اختلاف الناس فى ماهية العقل فقال قوم ضرب من العلوم الضرورية وقيل : غريزة يتأتى معها درك العلوم ، وقال آخرون : هو قوة يفصل بها بين حقائق المعلومات وقيل : هو جوهر ، وقيل : جسم(انظر ذم الهوى : ص ٣-٥) .

كأنها نور يقذف فى القلب ، فيستعد لإدراك الأشياء ، فيعلم جواز الجائزات ، واستحالة المستحيلات ، ويتلمح عواقب الأمور) [١] .

وحكى الإيجي عن الرازى بأنه : غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات . [٢]

ويمكن تعريفه :

بأنه غريزة أوجدها الله فى الإنسان يقتدر بوساطتها إدراك الأشياء ، والتمييز بينها .

استعمالات القرآن الكريم " للعقل " :-

لم يرد فى القرآن لفظ العقل مصدراً قط ، وكل ماورد هو بصيغة الفعل ، وتلك الألفاظ تقرب من الخمسين [٣] ، وهذا دليل على عظم شأن العقل ، وإرشاد إلى استعماله فى محله :-

١ - أستعمل بمعنى العلم، والمعرفة ، والفهم ومن ذلك قوله تعالى : " إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون [٤] " ، وقوله تعالى : " إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون [٥] " .

---

(١) ذم الهوى : ص ٥ .
(٢) انظر المواقف فى علم الكلام : ص ١٤٦ .
(٣) انظر الإسلام والعقل : د. صلاح الدين المنجد ، ص ١٥ .
(٤) سورة الزخرف : آية (٣) .
(٥) سورة الحجرات : آية (٤) .

٢ - أستعمل بمعنى التميز بين الخير ، والشر من ذلك قوله تعالى : " وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون (١) " ، وقوله تعالى : " أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون (٢) " وغير ذلك من الآيات .

٣ - أطلق فى القرآن لفظ " اللب " على العقل من ذلك قوله تعالى : " ولكم فى القصاص حياة يا أولي الألباب (٣) " ، وقوله تعالى : " لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب (٤) " ، وغير ذلك من الآيات .

٤ - أطلق فى القرآن لفظا " النُّهى " ، والحجر " على العقل من ذلك قوله تعالى : " إن فى ذلك لآيات لأولى النُّهى (٥) " ، وقوله تعالى : " هل فى ذلك قسم لذي حجر (٦) " .

٥ - أطلق على اللوازم وهي : التفكير ، والتأمل ، والنظر ، والاعتبار من ذلك قوله تعالى : "كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون (٧) " ، وقوله تعالى : " قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين (٨) " .

الأحاديث الواردة فى فضل العقل :-

قال عنها ابن الجوزى : (قلت:المنقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فضل العقل كثير ، إلا أنه بعيد الثبوت . . . قال أبوحاتم بن حبان الحافظ: لست أحفظ عن

---

(١) سورة الأنعام : آية (٣٢) .
(٢) سورة الأنبياء : آية (٦٧) .
(٣) سورة البقرة : آية (١٧٩) .
(٤) سورة يوسف : آية (١١١) .
(٥) سورة طه : آية (٥٤) .
(٦) سورة الفجر : آية (٥) .
(٧) سورة البقرة : آية (٢٦٦) .
(٨) سورة الأنعام : آية (١١) .

النبى صلى الله عليه وسلم خبراً صحيحاً فى العقل [1]) .

قلت : وقد ذكر الغزالى كثيراً من الأحاديث الضعيفة فيه [2] ، واستشهد بها لكل تعقبها العراقى وبين ضعفها [3] .

لكن قد وردت أحاديث صحيحة تبين فضل العقل منها : ماروى مسلم بسنده عن ابن عباس ، وفيه وزاد ابن معاذ فى حديث عن أبيه قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأشج أشج عبدالقيس إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم ، والأناه [4] " ، والحلم العقل [5] .

وروى مسلم بسنده عن أبى مسعود قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح مناكبنا فى الصلاة ويقول : استووا ، ولاتختلفوا فتختلف قلوبكم ليلينى منكم أولى الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم [6] " .

---

(١) ذم الهوى : ص ٧ .

(٢) انظر احياء علوم الدين : ١/٨٥ - ٨٩ .

(٣) انظر المغنى عن حمل الأسفار بذيل الإحياء : ١/٨٥ - ٨٩ .

(٤) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس ١/٣٦ .

(٥) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن : ص ١٢٩ .

(٦) صحيح مسلم : كتاب الصلاة ،باب تسوية الصفوف ٢/٣٠ .

أسباب ضعف العقل :-

يرجع ضعف العقل إلى عدة أسباب منها :-

١ - البيئة : فإن الإنسان يتأثر بالمحيط الذى يعيش فيه .

٢ - التقليد الأعمى؛لأنه يعمى البصر ، والبصيرة ، ويعطل العقل ومداركه .

٣ - اتباع الشهوات والأهواء لأن ضعيف العقل ينساق وراء شهواته بلا حدود ، ولاقيود وقد يصبح أقبح من الحيوان لتعطيله مدارك عقله .

٤ - الجهل : فإن الجاهل لايستعمل مداركه فيما يعود عليه بما يصلحه فى دنياه وآخرته ، ولايفكر فى العواقب.

وغير ذلك من الأسباب .

وقد ذم الله تعالى الكفار الذين عطلوا عقولهم ومداركهم من استعمالها فى الاهتداء إلى الحق والاستقامة بقوله تعالى : " ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لايفقهون بها ، ولهم أعين لايبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون " (1)

فأخبر تعالى أنه خلق للنار أهلاً بعدله ، ثم وصفهم بأن لهم قلوباً لايفقهون بها؛لأنهم لا ينتفعون بها ، ولايعقلون ثواباً ولايخافون عقاباً ، ولهم أعين لايبصرون بها الهدى ، وآذان لايسمعون بها المواعظ ، وليس المقصود نفى الادراكات عن حواسهم جملة ، وإنما الغرض نفي الانتفاع بذلك ، فهم كالأنعام همهم الأكل والشرب،

(١) سورة الأعراف : آية (١٧٩).

بل هم أضل منها؛ لأن الأنعام تبصر منافعها ومضارها وتتبع مالكها وهم بخلاف ذلك غافلون عن التدبر والتفكر[١] .

وضعف العقل هو الذى أوقع المشركين فى عبادة غير الله؛ لأن عبادة الأصنام والأوثان لا تنفع ولا تضر؛ لأنها إما جمادات ، أو أموات ، أو ملائكة مشغولون بعبادة ربهم قال تعالى : " ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ، ولا ينفعهم ، ويقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله " [٢] .

وقال تعالى : " ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامه وهم عن دعائهم غافلون ، وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين "[٣] ، وغير ذلك من الآيات .

والعاقل هو الذى يفكر فى العاقبة ويعمل لما بعد الموت ، بخلاف ضعيف العقل فهو الذى يتبع أهواءه وشهواته ويدل على ذلك ماروى الترمذى بسنده عن أبى يعلى شداد بن أوس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها ، ثم تمنى على الله "[٤] .

فأقوياء الإرادة العقلاء هم أكثر الناس تمسكاً بتعليمات الدين ، وأكثرهم تحلياً بفضائل الأخلاق ، والتزاماً للسلوك الأقوم .

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن : ٢١٤/١، ٣٢٤/٧ ومابعدها .
(٢) سورة يونس : آية (١٨) .
(٣) سورة الأحقاف : آية (٥) .
(٤) سنن الترمذى : كتاب صفة القيامة ، باب ٢٥، ٦٣٨/٤، وانظره فى سنن ابن ماجه: كتاب الزهد ، باب ذكر الموت والاستعداد له ١٤٢٣/٢.
قال السيوطي : " حديث صحيح " (انظر الجامع الصغير : ٩٨/٢).

الفصل الثانى

الجهل

تعريف الجهل .

المراد بالجاهلية .

استعمالات القرآن لمادة جهل

أقسام الجهل .

أسباب الجهل .

موقف الإسلام من الجهل .

العلوم التى يحث الإسلام على تعلمها .

ثمرة العلم .

الحرص على نشر العلم .

ما يعتبر الجهل عذراً فيه من الأمور الدينية ، وما لا يعتبر .

الجهل من أهم أسباب الانحراف فى الاعتقاد ، إذ كل الخرافات الشركية ترجع إلى هذا السبب بالإضافة إلى أسباب أخرى كاتباع الشهوات ، والشبهات .

تعريف الجهل :-

لغة : نقيض العلم ، يقال : جَهِلَ فلان جَهْلاً ، وجَهَالة ، وجَهِل عليه ، وتَجَاهَل : أى أظهر الجهل ، والتَّجْهِيل : أن تنسبه إلى الجهل ، والمَجْهَل : المفازة لا أعلام فيها (١) .

واصطلاحاً عرف بعدة تعريفات منها :-

١ - أن الجهل خلو النفس عن العلم وهذا هو الأصل .

٢ - أنه اعتقاد الشيء بخلاف ماهو عليه .

واعترض على هذا التعريف بأن الجهل يكون بالمعدوم وليس بشيء .

وأجيب بأنه شيء فى الذهن (٢) .

٣ - أنه فعل الشيء بخلاف ماحقه أن يفعل ، سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً (٣) .

المراد بالجاهلية :-

كل ماخالف الإسلام ، وخرج عن حكمه ، فهي ليست فترة زمنية مختصه بزمن معين محدود ، بل هى ظاهرة اجتماعية يمكن أن توجد فى كل زمان ومكان .

فأذاقيل :إن ماقبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم يمثل عصر الجاهلية ، فمعنى ذلك أنه كانت هناك ظاهرة اجتماعية تغلب على المجتمع البشرى آنذاك هي : القبلية فى علاقات

---

(١) انظر لسان العرب : ١٢٩/١١ ، ١٣٠ مادة " جهل " .

(٢) انظر التعريفات : ص ٨٤ .

(٣) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن : ص ١٠٠ ، والجاهلية قديماً وحديثًا : لأحمد أمين عبدالغفار ، ص ٦ .

المجتمع ، والأنانية فى علاقات الأفراد ، وهذه الظاهرة تتكرر فى كل زمان لاحق لبعثه النبى صلى الله عليه وسلم فى كل مجتمع تتوافر فيه صفاتها (١) .

وعرفت الجاهلية أيضاً بأنها : عبودية الناس للناس بما لم يأذن الله كائناً ما كانت الصورة التى يتم بها هذا التشريع (٢) .

رأى شيخ الإسلام ابن تيمية في معنى الجاهلية :-

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن لفظ الجاهلية يراد اسماً للحال أو لذي الحال :

١ - فكونه اسماً للحال - هو الغالب فى الكتاب والسنة - ومن ذلك ماروى البخارى بسنده عن المعرور قال : لقيت أباذر بالربذة وعليه حلة ، وعلى غلامه حلة فسألته عن ذلك فقال : إنى ساببت رجلاً فعيرته بأمه فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم : يا أباذر أعيرته بأمه إنك أمرؤ فيك جاهلية .... الحديث(٣)" .

٢ - أما وروده اسماً لذي الحال فذلك مثل أن يقال طائفة جاهلية ، وشاعر جاهلي، وذلك نسبة إلى الجهل الذى هو عدم العلم ،أوعدم اتباع العلم (٤) .

استعمالات القرآن لمادة جهل :-

استعمل لفظ الجهل فى القرآن بعدة معان منها : (٥)

١ - السفه ، والخفة ، وهي أمور كانت سائدة فى العرب قبل الإسلام قال تعالى فى وصف عباد الرحمن : " وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً "(٦) .

---

(١) انظر الجاهلية قديماً وحديثاً : ص ٢٦٠ نقلاً عن كتاب من مفاهيم القرآن فى العقيدة والسلوك : للبهى ، ص ٢٤١ ومابعدها .

(٢) انظر الجاهلية قديماً وحديثاً : ص ٢٥١ .

(٣) صحيح البخارى : كتاب الإيمان ، باب المعاصى من أمر الجاهلية ولايكفر صاحبها ١٣/١

(٤) انظر اقتضاء الصراط المستقيم : ص ٧٥ ، ومابعدها .

(٥) انظر الجاهلية قديماً وحديثاً : ص ٥ - ٧ .

(٦) سورة الفرقان : آية (٦٣) .

٢ - بمعنى عدم العلم ، قال تعالى : " إنى أعظك أن تكون من الجاهلين "(١) .

أقسام الجهل :-

ينقسم الجهل إلى قسمين :-

١ - جهل بسيط : وهو عدم العلم عما من شأنه أن يكون عالماً : أى هو انتفاء إدراك الشيء بالكلية (٢) .

قال ابن تيمية : (فإن لم يعلم الحق فهو جاهل جهلاً بسيطاً) (٣) .

٢ - جهل مركب : عرفه ابن تيمية بأنه من اعتقد خلاف ماعلم فهو جاهل جهلاً مركباً (٤) .

وعرف بأنه : الاعتقاد الفاسد من حيث تصور الشيء على غير حقيقته (٥) .

أسباب الجهل :-

حينما يولد الإنسان فى هذه الحياة مجرداً عن العلم ، والمعرفة ، وإن كان مزوداً بالاستعداد والقوى ، والأدوات التى يمكن بوساطتها أن يعلم ، ويعرف ، يشير إلى هذا قوله تعالى : " والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً ، وجعل لكم السمع ، والأبصار، والأفئدة لعلكم تشكرون" (٦) ، فالسمع ، والبصر ، والفؤاد هي الأدوات التى يكسب الإنسان بها معلوماته وهي المنافذ التى يطل منها على هذا الكون الفسيح ليعرف أسراره ، ويدرك شئونه ، ويستفيد مما أودع الله فيه .

---

(١) سورة هود : آية (٤٦) .

(٢) انظر الكوكب المنير : للفتوحي ، ٧٧/١ .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم : ص ٧٥ .

(٤) انظر اقتضاء الصراط المستقيم : ص ٧٦ .

(٥) انظر الكوكب المنير : ٧٧/١، والتعريفات : ص ٨٣ .

(٦) سورة النحل : آية (٧٨) .

والذين لاينتفعون بتلك الأدوات بالطرق المؤدية إلى الإيمان فإنهم قد انسلخوا من إنسانيتهم وصاروا فى عداد البهائم ، يشير إلى هذا قوله تعالى : " ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن ، والإنس لهم قلوب لايفقهون بها ، ولهم أعين لايبصرون بها ، ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون(١) " .

ويرجع الجهل إلى عدة أسباب أهمها :-

١ - **البيئـــة :-**

البيئة من أقوى العوامل على نشر الجهل ؛ لأن الذى يعيش فى بيئة جاهلة يتأثر بها ، فالإنسان ابن بيئته فلابد إذاً أن يتأثر بها والواقع يؤيد ذلك؛ فإن الشخص الذى يعيش فى بيئة معزولة يكون أكثر جهلاً ، ونرى كثيراً من المنصرين ، والمستعمرين يجدون فى تلك الأماكن التى يكثر فيها الجهل مناخاً ملائماً لهم لتحقيق مآربهم فينشرون مبادءهم الفاسدة المنحرفة ، ويلقون من سكان تلك المناطق آذاناً صاغية فيستجيبون لدواعي الانحراف ، وكذلك الذى يعيش فى بادية بعيدة ينتشر الجهل بينهم فإنه يتأثر بتلك البيئة ، يشير إلى ذلك قوله تعالى : " الأعراب أشد كفراً ونفاقاً ، وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم(٢) " .

٢ - **عدم الرغبة في طلب العلـم :-**

وهي من أهم الأسباب المؤدية إلى الجهل ، وتأتى من عدة أمور منها :-

أ - كثرة الأشغال حتى أنها تستوعب الوقت ، وتستنفد الأيام ؛ فإن كان ذو رياسة ألهته ، وإن كان ذا معيشة قطعته ، فالشغل مجهدة ، والفراغ مفسدة فينبغى

---

(١) سورة الأعراف : آية (١٧٩) .

(٢) سورة التوبة : آية (٩٧) .

لطالب العلم ألا يأنف من طلبه ، وينتهز الفرصة به فربما شح الزمان بما سمح ، وضن بما منح ، فلا يتشاغل بطلب مالا يضر جهله فيمنعه ذلك من ادراك مالا يسعه جهله(١) ، ويشمل ذلك اشتغاله بشهواته ، وملذاته .

ب - الكبرياء : فإن المتكبر يأنف من طلب العلم ، فهو داء مانع من التعلم ؛ لأن طلبه يحتاج إلى التواضع .

قال مجاهد : لايتعلم العلم مستحي ، ولا متكبر (٢) .

جـ - الحيـاء : فإنه مانع من التعلم ؛ لانه يمنع الشخص من سؤال العالم ، والمناقشة الهادفة لأجل الوصول إلى الحقيقة ؛ فإن شفاء العي السؤال ، وقد أرشد الله تعالى إلى سؤال العلماء ، قال تعالى : " فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون"(٣) .

وقالت عائشة : نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين (٤) .

٣ - الغفلة عن التعلم فى الصغر :-

يغفل بعض الناس عن التعلم فى الصغر ، ثم يشتغل بالعلم فى الكبر ، والواقع أن التعلم فى الصغر من أقوى الأسباب على كثرة الفهم ، والاستيعاب للبعد عن الشواغل التى تصرف عن التعلم ، فالتعلم فى الصغر كالنقش فى الحجر(٥) .

---

(١) انظر أدب الدنيا والدين : ص ٥٨ .
(٢) رواه البخارى تعليقاً فى صحيحه : كتاب العلم ، باب الحياء فى العلم ٤١/١ .
(٣) سورة النحل : آية (٤٣) ، وسورة الأنبياء : آية (٧) .
(٤) رواه البخارى تعليقاً فى صحيحه : كتاب العلم ، باب الحياء فى العلم ٤١/١ .
(٥) انظر أدب الدنيا والدين : ص ٥٦ ، ٥٧ .

٤ - **الفقـــــــر :-**

يعتبر الفقر من أقوى العوامل المساعدة على انتشار الجهل بين الناس؛لأنــــه يقف حاجزًا منيعًا أمام الشخص ، ويصرفه عن التعلم إلى الاشتغال والبحث عما يســـد رمقه ، ولهذا نجد أعداء الإسلام بما فيهم المنصرين ، والمستعمرين يركّزون علـــى الدول الفقيرة ، ويساعدونهم بالدعم المالي على أساس تقبل مايلقى إليهم مـن مبـادئ وأفكار هدامة تجعلهم ينحرفون عن الاستقامة الفطرية السليمة ؛ فإن الفقر يكـاد أن يكون كفراً .

موقف الإسلام من الجهـــل :-

لما كانت الجاهلية تناقض الإسلام كان الوقوف فى وجهها متعيناً ، وقد واجه الإســلام الجاهلية مواجهة تصورها رسالة الله ، وحسبنا أن نبين أن القرآن بدأ نزوله بآيات تربويـــة فيها إشارة إلى أن أهدافه تربية الإنسان وذلك عن طريق التعلم والاطلاع ، والملاحظـــة قال تعالى : " إقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق إقرأ وربك الأكرم الـــذى علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم[١] " وقد اهتم الإسلام بالعلم اهتماماً كبيرًا فقد دعا إليـه، ورغب فى طلبه لإنقاذ البشرية مما حل بها من جهل وسنورد بعض النصوص التى تدل علـى فضل العلم ، والعلماء فيما يلى :-

أولاً : من النصوص القرآنيـــة :-

قوله تعالى : " فاعلم أنه لا إله إلا الله ، واستغفر لذنبك"[٢] ، فبدأ بالعلـم قبل القول ، والعمـــل[٣] .

---

(١) سورة العلق : الآيات (١-٥) .
(٢) سورة محمد : آية (١٩) .
(٣) انظر صحيح البخارى : كتاب العلم ، باب العلم قبل القول والعمل ٢٥/١ .

وقوله تعالى : " وعلّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال : أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين [١] " .

ذكر الرازى حول تفسير هذه الآية : أنها دالة على فضل العلم؛لأنه سبحانه ما أظهر كمال حكمته فى خلقه آدم عليه السلام إلا بأن أظهر علمه فلو كان فى الامكان شىء أشرف من العلم لكان أظهر فضله بذلك الشىء [٢] .

وقوله تعالى : " قل هل يستوى الذين يعلمون ، والذين لايعلمون [٣] " ففى هذه الآية فرّق بين العالم والجاهل فى المنزلة والقدر وذلك دليل على فضل العلم.

وقوله تعالى : " يرفع الله الذين آمنوا منكم ، والذين أوتوا العلم درجات [٤] " ، وفى هذه الآية قرن الله الإيمان بالعلم مما يدل على فضله وعلو شأنه.

وقوله تعالى : " وقل ربى زدنى علماً [٥] " ، ففيها دليل على نفاسة العلم ، وعلو مرتبته حيث أمر نبيه بالازدياد منه خاصة دون غيره [٦] .

وقوله تعالى : " الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان [٧] " ، فقد قدم نعمة العلم على جميع النعم فدل على فضله .

وقوله تعالى : " شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط [٨] " فقد ذكر العلماء فى المرتبة الثانية .

---

(١) سورة البقرة : آية (٣١) .
(٢) انظر التفسير الكبير : ١٧٨/٢ .
(٣) سورة الزمر : آية (٩) .
(٤) سورة المجادلة : آية (١١) .
(٥) سورة طه : آية (١١٤) .
(٦) انظر التفسير الكبير : ١٨٧/٢ .
(٧) سورة الرحمن : الآيات (١-٤).
(٨) سورة آل عمران : آية (١٨) .

بل زاد أهل العلم تكريماً لهم فجعلهم فى المرتبة الأولى فى آيتين :-

الأولـــى :- قوله تعالى : " ومايعلم تأويله إلا الله ، والراسخون فى العلم يقولـون آمنا به كل من عند ربنا"(١) .

الثانيـــة :- قوله تعالى : " قل كفى بالله شهيداً بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب"(٢) .

وقال تعالى : " إنما يخشى الله من عباده العلماء(٣)" فوصفهم بالخشية والخوف منـه . بل إن القرآن يعتبر العلم الحق داعية للإيمان ودليلاً إليه قال تعالى : " وليعلم الذيـن أوتوا العلم أنه الحق من ربهم فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم(٤)" ، فهذه المعاني الثلاثـة مترتب بعضها على بعض فالعلم يتبعه الإيمان ، والإيمان تتبعه حركة القلوب وأعمالهـا من الخشوع ونحوه لله تعالى(٥) .

وفى آية أخرى يذكر تعالى العلم ويعطف عليه الإيمان قال تعالى : " وقال الذيـن أوتوا العلم ، والإيمان لقد لبثم فى كتاب الله إلى يوم البعث(٦) " .

والعلم بمفهومه الشائع يشمل العلم المادى القائم على المشاهدة الحسية ، والتجربـة ولكن مطلوب طلب الوسائل لا طلب الغايات ، فهو يعين الإنسان على الحياة ، ويختصر له الزمان ، ويقرب البعيد ، ولكنه وحده لايوصل إلى إسعاد البشرية ، ولايضبـط سيرها ، ولايقاوم أنانيتها ، ولهذا كان الإنسان فى حاجة ماسة إلى العلم الدينـى الذى ينمى الإيمان ، ويغرس الفضائل ، ويقي الإنسان شح نفسه ، وطغيان غرائـزه وهذا هو الذى يعصم العلم المادى من الانحراف ، ويحول دون استخدامه فى التدمير والعدوان(٧) .

(١) سورة آل عمران : آية (٧) .
(٢) سورة الرعد : آية (٤٣) .
(٣) سورة فاطر : آية (٢٨) .
(٤) سورة الحج : آية (٥٤) .
(٥) انظر كتاب الرسول والعلم : د . يوسف القرضاوى ، ص ١٤ ومابعدها .
(٦) سورة الروم : آية (٥٦) .
(٧) انظر الرسول والعلم : ص ١٥ .

والملاحظ أن معظم النصوص القرآنيه التى تعرضت لبعض العلوم تحدثت عنها بصورة إجمالية أرشدت العقل السليم إلى ذلك ؛ لأن العلوم العقلية تدخل ضمن دائرة الإنسان وقدرته حيث يستطيع بما وهبه الله من عقل أن يتوصل إلى معرفة الكثير منها بالتدرج العقلي فى إدراك ماديات الحياة من الصناعات ، والمخترعات التى يبنى بعضها على بعض (١) .

ثانياً :الأحاديث الدالة على فضل العلم والعلماء كثيرة جداً نورد منها مايلي :-

١ - روى البخارى بسنده عن عبدالله بن مسعود قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم " لاحسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلط على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها" (٢) .

٢ - روى البخارى -أيضاً- بسنده عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين" (٣) .
قال ابن حجر معلقاً على هذا الحديث : وفى ذلك بيان ظاهر لفضل العلماء على سائر الناس ، ولفضل التفقه فى الدين . (٤)

٣ - روى البخارى بسنده عن عبدالله بن عمر أنه قال : " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " بينا أنانائم أتيت بقدح لبن فشربت حتى إنى لأرى الري

---

(١) انظر موقف الإسلام والكنيسه من العلم : ص ١٨، ١٩ .
(٢) صحيح البخارى : كتاب العلم ، باب الاغتباط فى العلم والحكمة ١/٢٦.
(٣) صحيح البخارى : كتاب العلم ،باب من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ١/٢٦.
وانظره فى سنن الترمذى: كتاب العلم ، باب إذا أراد الله بعبده خيراً يفقهه فى الدين ٥/٢٨ ، وفى سنن ابن ماجه : المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ١/٨٠ .
(٤) انظر فتح البارى : ١/١٦٥.

يخرج من أظفاري ، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب قالوا : فما أولته يارسول الله ؟ قال : العلم"(١) .

٤ - روى مسلم بسنده عن أبي هريرة - وفيه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله به طريقاً إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينه ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله ، لم يسرع به نسبه "(٢) .

وإلى جانب هذا وردت أحاديث صحيحة تنبه إلى حقيقة مهمة في تاريخ البشرية وهي أن الحياة لا تستقيم إلا بالعلم وأن ذهابه دليل قرب نهايتها وزوالها لما روى البخاري بسنده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، ويثبت الجهل " وفي رواية " يقل العلم ، ويكثر الجهل"(٣) .

وغير ذلك من الأحاديث الدالة على فضل العلم ، والحث على طلبه تركنا ذكرها هنا خشية الإطالة(٤) .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم ، باب فضل العلم ٢٨/١ ، ٢٩ .
(٢) صحيح مسلم : كتاب الذكر ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر ٧١/٨ ، وانظره في سنن أبي داود : كتاب العلم ، باب الحث على طلب العلم ٣١٧/٣ ، وفي سنن ابن ماجه : المقدمة : باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ٨٢/١ .
وقد ذكر صاحب كتاب الرسول والعلم احصائية لعدد الأحاديث التي تفيد فضل العلم والحث على طلبه انظر ذلك : ص ٤ ، ٥ .
(٣) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب رفع العلم وظهور الجهل ٢٨/١ ، وانظره في صحيح مسلم : كتاب العلم باب رفع العلم وظهور الجهل ٥٨/٨ ، وفي سنن ابن ماجه : المقدمة ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ص ٨٣ .
(٤) انظر صحيح البخاري : كتاب العلم ، ١/ ٢١-٤٣ ، وصحيح مسلم : كتاب العلم ، ٥٦/٨-٦٢ وسنن أبي داود : كتاب العلم ، ٣١٧/٣-٣٢٤ ، وسنن الترمذي : كتاب العلم ، ٢٨/٥ - ٥٢ ، وجامع بيان العلم وفضله : لابن عبدالبر ، ج ١ ، ٢ .

ثالثاً :الآثار الدالة على فضل العلم ، والعلماء ، والحثّ على طلب العلم كثيرة منها :-

١ - قال ابن عباس : " كونوا ربانيين حلماء فقهاء"(١) .

٢ - قال عمر : " تفقهوا قبل أن تسودوا "(٢) .

٣ - قال أبو الدرداء : " تعلموا قبل أن يرفع العلم ؛ فإن العالم ، والمتعلم في الأجر سواء "(٣) .

٤ - قال أبو الأسود الدوئلي : " الملوك حكام على الناس ، والعلماء حكام على الملوك "(٤) .

٥ - قال قتادة " باب من العلم يحفظه الرجل لصلاح نفسه ، وصلاح من بعده أفضل من عبادة حول"(٥) .

٦ - قال بن زياد أخذ علي بن أبي طالب بيدي ثم قال : ياكميل بن زياد إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها فاحفظ ما أقول لك : " الناس ثلاثة : عالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع اتباع كل ناعق ..... ياكميل العلم خير من المال ، والعلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو بالإنفاق "(٦) .

وقد استوفى الآثار ابن عبدالبر في كتابه فارجع إليه إن شئت.(٧) .

---

(١) ذكره البخاري تعليقاً : كتاب العلم ، باب العلم قبل القول والعمل ١/٢٥.

(٢) ،، ،، ،، : ،، ،، ، ،، الاغتباط في العلم والحكمة ١/٢٦.

(٣) انظر جامع بيان العلم وفضله : ١/٣٤.

(٤) ،، ،، ،، ،، ،، : ١/٧١.

(٥) ،، ،، ،، ،، ،، : ١/٢٧.

(٦) انظر التفسير الكبير : ٢/١٩٢.

(٧) انظر جامع بيان العلم وفضله : جـ١ ، ٢ .

رابعاً : العقـــــــل :-

العقل أيضاً يدل على شرف العلم وفضله وبيان ذلك أن العلم صفة شـــرف وكمال ، وكون الجهل صفة نقصان وهذا أمر معلوم للعقلاء بالضرورة، فلذلك لوقيـــــل : للرجل العالم ياجاهل فإنه يتأذّى بذلك ، وإن كان يعلم كذب ذلك ، ولوقيـــــل للرجل الجاهل ياعالم فإنه يفرح بذلك ، وإن كان يعلم أنه ليس كذلك. (١)

---

(١) انظر التفسير الكبير : ٢/١٩٢.

العلوم التي يحث الإسلام على تعلمها :-

حث الإسلام على العلم ، ورغب فيه حتى جعله فريضة وذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم : " طلب العلم فريضة على كل مسلم "(١) .

وقد اختلف فى العلم الذى هو فريضة على كل مسلم :

حكى الغزالى : أن الناس تفرقوا فيه على عشرين فرقة ، وحاصله: أن كل فريق نزّل الوجوب على العلم الذى هو بصدده ، ثم رجح أن المراد به : علم المعاملة وهي اعتقاد ، وفعل ، وترك (٢) .

قلت :- العلم الذى هو فرض عين : مايتأدّى بهالواجبات المعلومة من الدين بالضرورة كمعرفة أركان الإسلام ، والإيمان وشرائط وواجبات ذلك .

وأما العلم الذى هو فرض كفاية فقد فصله الغزالى بأن العلوم تنقسم بالإضافة إلى الغرض الذى نحن بصدده إلى شرعية ، وغير شرعية ، ويعنى بالشرعية ما استفيد من الرسل صلوات الله عليهم ، ولايرشد العقل إليه ، ولا التجربة ، فالعلوم غير الشرعية تنقسم إلى ماهو محمود ، وإلى ماهو مذموم ، وإلى ما هو مباح :-

أ ـ فالمحمود ماترتبط به مصالح أمور الدنيا : كالطب ، والحساب ، وذلك ينقسم إلى ماهو فرض كفايه ، وإلى ماهو فضيلة .

ب ـ المذموم علم السحر ، والشعوذة ونحوها .

جـ ـ المباح : كالعلم بالأشعار التى لاسخف فيها ، وتواريخ الأخبار .

---

(١) انظر جامع بيان العلم وفضله : باب قوله صلى الله عليهوسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ، ١/٨ومابعدها وقد رواه بأسانيد مختلفه ، وقد صحح السيوطى رواية ابن‌عبدالبر (انظر الجامع الصغير : ٢/٥٤) ورواه ابن ماجه عن أنس بزيادة(وواضع العلم فى غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللوءلوء والذهب (انظر سنن ابن ماجه : المقدمه ، باب فضل العلم ١/٨١) لكن ضعف السيوطى رواية ابن ماجه(انظر الجامع الصغير: ٢/٥٤).

(٢) انظر إحياء علوم الدين :١/١٤، وكتاب الرسول والعلم : ص ٨٦ ومابعدها .

وأما العلوم الشرعية فهي محمودة كلها (١) .

وخلاصة القول :-

أن الإسلام يدعو إلى كل علم سواء كان دينيًا أو دنيويًا بشرط ألا يتعارض مع الدين بل لابد أن يسيرا في مدار واحد ، ودليلنا على هذا أن جميع النصوص التي تحث على العلم مطلقه ، وهذا مانفهمه منها ، ومافهمه أسلافنا الأوائل ، فقد تعلموا إلى جانب العلوم الدينية كثيرًا من العلوم الدنيوية ، وذلك بسبب اتجاه الحضارة الإسلامية إلى الاهتمام بالعلوم الدقيقة قبل غيرها كالفلك ، والرياضيات وغير ذلك .

وهكذا نرى : أن كل ماتحتاج إليه الجماعة المسلمة في دينها ودنياها من التبحر في علوم الشرع ، والتخصص في علوم الكون ، وكل ماتتطلبه حياة الناس في هذا العصر مدنيًا أو عسكريًا يجب أن تتعلمه ليحقق لها العزة ، والكرامة ، والرفعة كما قال تعالى : " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون به عدوالله وعدوكم" (٢).

كما أباح الإسلام تعلم اللغات عند الحاجة إليها حتى يتمكن الداعي إلى الله من تبليغ دعوته وقد كان عند الرسول صلى الله عليه وسلم من يعرف الفارسية ، والرومية ، والحبشية ولكن لم يكن عنده من يعرف اللغة السريانية التي يكتب بها اليهود فأمر بذلك كاتب وحيه زيد بن ثابت ليتقنها قراءة ، وكتابة ، روى البخاري بسنده عن زيد بن ثابت أن النبي صلى

---

(١) انظر إحياء علوم الدين : ١٦/١ - ٢٤ .
(٢) سورة الأنفال : آية (٦٠) .
وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم القوة في هذه الآية بالرمي روى مسلم بسنده عن عقبة بن عامر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول : " وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي" (صحيح مسلم: كتاب الإمارة ، باب فضل الرمي ، والحث عليه ٥٢/٦) .

الله عليه وسلم " أمره أن يتعلم كتاب اليهود حتى كتبت للنبى صلى الله عليه وسلم وأقرأته كتبهم إذا كتبوا إليه [١] " .

ومن هنا حرص كثير من المسلمين على معرفة اللغات فترجموا منها ، وإليها . [٢]

وقد أقر الرسول صلى الله عليه وسلم مبدأ التجربة فى الأمور الدنيوية كما يتضح ذلك من قصة تأبير النخل ، روى مسلم بسنده عن رافع بن خديج أنه قال لهم : " إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر " وفى رواية عائشة ، وأنس أنه صلى الله عليه وسلم قال : بعد أن خرج التمر شيصاً - بسراً رديئاً - مالنخلكم ؟ قالوا : قلت كذا وكذا قال : " أنتم أعلم بأمر دنياكم " [٣] .

---

(١) صحيح البخارى : كتاب الأحكام ، باب ترجمة الحكام وهل يجوز ترجمان واحد ١٢٠/٨ .
وانظره فى سنن أبى داود : كتاب العلم ، باب رواية حديث أهل الكتاب ٣١٨/٣ ،
وسنن الترمذى : كتاب الاستئذان ، باب ماجاء فى تعليم السريانيه ٦٧/٥ .

(٢) انظر الرسول والعلم : ص ٤٢ .

(٣) صحيح مسلم : كتاب الفضائل باب وجوب امتثال أمره شرعاً دون ماذكره من معايش الدنيا على سبيل الرأى ٩٥/٧ ، ٩٦ ، وانظره فى سنن ابن ماجه : كتاب الرهون ، باب تلقيح النخل ٨٢٥/٢ .

ثمـــرة العلــــــم :-

من أهم ثمار العلم العمل بمقتضاه؛ فإن آفة كثير من الناس أن يعلم ، ولايعمــــل ، أو يعمل بضد مايعلم ، فالعلم النافع هو الذى يرى أثره على صاحبه نوراً فى الوجه ، وخشية فى القلب واستقامة فى السلوك ، وصدقاً مع الله ثم مع الناس ، والنفس ، وأما مجرد الثرثـــرة بالقول من طرف اللسان ، دون أن يصدق القول العمل فهذا شأن المنافقين الذين يقولـــون مالا يفعلون وهو ما أنكره القرآن على بني إسرائيل قال تعالى : " أتأمرون الناس بالــــبر وتنسون أنفسكم ، وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون "(١) ؛ فإن مناقضة العلم للعمل ، والقـــول للفعل ضرب من الجنون .

الحرص على نشـــر العلـــــم :-

إن الشيء الرائع هنا أن الدين الإسلامي كان أول من مجد القلم وعمل على إشاعـة الكتابة ، ومحو الأمية بين أتباعه بكل سبيل ، ولاغرو فإن أول آيات نزلت تضمنت التنـويــــه بالقراءة ، والتعليم قال تعالى : " إقرأ باسم ربك الذى خلق"(٢) .

ونشر التعليم من أهم الأمور التى تهـيء تربية المجتمع لظهور التفكير ، والبحـــث العلمي السليم وقد كانت الأمية منتشرة بين العرب حتى كانوا يعرفون بالأميين من بين الأمم(٣). وهكذا سماهم القرآن قال تعالى : " هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم"(٤) .
روى البخارى بسنده عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إنا أمة لانكتـــب ، ولا نحسب الشهر هكذا .... الحديث"(٥) .

---

(١) سورة البقرة : آية (٤٤) .
(٢) سورة العلق : الآيات (١-٥) .
(٣) انظر الرسول والعلم : ص ٤٠ ومابعدها .
(٤) سورة الجمعة : آية (٢) .
(٥) صحيح البخارى : كتاب الصوم ، باب قول النبى لانكتب ، ولا نحسب ٢/٢٣٠.

ولابد من قيام أهل الرشد فى كل بلد من بلاد المسلمين برسالة التعريف بالإسلام، لاسيما فى البلاد التى يوجد فيها مسلمون ،ولكن ليس لديهم من يعّرفهم بالإسلام وأحكامه وهم فى شوق إليه ، فمثل هوءلاء يسهل على المضللين أن يفسدوا مفهوماتهم(١) .

وفى سبيل التحذير من كتمان العلم هناك نصوص كثيرة تحذر منه فمنها : قوله تعالى : " إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعدما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللّاعنون"(٢) .

فمن سجايا العلماء ، وأخلاقهم الحرص على نشر العلم ، وتبليغه للناس فلا خير فى علم يكتم ، ففى حجة الوداع ألقى صلى الله عليه وسلم بيانه العظيم ثم قال فى ختامه " ألا ليبلّغ الشاهد منكم الغائب"(٣) ، وروى البخارى-أيضاً- بسنده عن عبدالله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " بلّغوا عنى ولوآية"(٤) .

ومن كتمان العلم المحرم أن يمنع الموءلف نشر كتابه ، أو احتكاره ، أو المغالاة فى ثمنه. وأما وسائل نشر العلم فىالوقت الحاضر فلم تقتصر على الكتب وحدها بل هناك وسائل أخرى من وسائل الإعلام المقروء ، والمسموع ، والمشاهد منها فعلى العلماء استغلالها لنشر العلم والدعوة إلى الله .

كما أريد أن أشير إلى حقيقة مهمة وهي : أن يشترط فى الدارسين ، أو الذين يحضّرون شهادات عليا فى الخارج أن يكونوا مسلحين بالعقيدة الإسلامية ، وأن يكونوا من ذوي الاستقامة فى سلوكهم لئلا يكونوا عرضة للانحراف الفكرى والسلوكي .

---

(١) انظر صراع مع الملاحدة : للميداني ، ص ٥٩ ومابعدها .

(٢) سورة البقرة : آية (١٥٩) .

(٣) صحيح البخارى : كتاب العلم ، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب ٣٤/١، ٣٥ .

(٤) صحيح البخارى : كتاب الأنبياء ، باب ماذكر من بنى إسرائيل ١٤٥/٤، وانظره فى سنن الترمذى : كتاب العلم ، باب ماجاء فى الحديث عن بنى إسرائيل ٤٠/٥ .

بل يجب أن يكونوا رجال دعوة إلى الله ينشرون تعليمات دينهم في تلك الأقطار النائية التي ألجأتهم إليها متطلبات الحياة .

مايعتبر الجهل عذراً فيه من الأمور الدينية ومالا يعتبر:-

مع كل ماقدمنا من عناية الإسلام بالعلم والحث على طلبه ، نرى أن من تيسير الإسلام أنه جعل الجهل سبباً من أسباب التخفيف ،والتيسير على المكلفين فى أمور سنتعرض لذكرها ؛ فإن من الأمور المقررة فى الشريعة الإسلامية علم المكلف بطلب الشارع للفعل فى الواقع ، ويكون ذلك حاصلاً من المكلف إما بعلمه حقيقة ، وإما بتمكنه من العلم أو بسؤال أهل الذكر ، على أن وجود المسلم فى دار الإسلام قرينة كافية على اعتبار المكلف عالماً بالحكم .

وخلاصة ماذكره العلماء فى حكم الجهل مما يعذر فيه ، ومالا يعذر يمكن تلخيصه فيما يلى :-

أ - مايعتبر الجهل عذراً فيه : ويتضح ذلك فى الأمور التالية :-

١ - إذا كان المسلم نشأ فى دار الحرب ولم يعلم حكم ما أقدم عليه ، أو امتنع عنه ؛ لأن الأحكام الإسلامية غير شائعه فى مثل تلك الدار.

٢ - إذا كان واقعاً فى أحكام لايعلمها إلا أهل العلم فكل مسألة دقيقة ، ويصعب معرفتها يعذر فيها العامي ، ويدخل فى ذلك مايشق الاحتراز منه .

٣ - إذا كان المسلم حديث عهد بالإسلام ولم يعش فى دار الإسلام حيث تشيع معرفة أحكام الإسلام الضرورية ،والعامة ، ويدخل فى ذلك من نشأ ببادية يخفى فيها مثل تلك الأحكام .

ب - مالا يعتبر الجهل عذراً فيه :- يمكن توضيحه فى الأمور التالية :-

١ - الجهل بأصول الدين .

٢ - الجهل بضروريات الدين الإسلامى من الأركان ، والشروط والواجبات لبعض العبادات، لأن هذه من الأمور الشائعة فى الديار الإسلامية لاتخفى على العامة وكذلك المحرمات المشهورة لدى عامة المسلمين كقتل النفس ، وشرب الخمر ، والزنا ، والسرقه ، وأكل المال بالباطل [١] .

---

(١) انظر رفع الحرج فى الشريعة الإسلامية : د. صالح بن حميد ، ٢٢٩ ، ٢٣٧.

الفصل الثالث

التقليد الأعمى

- تعريف التقليد . والفرق بينه وبين الاتباع .
- أقسام التقليد .
- حكم التقليد المحمود .
- التقليد في العقائد .
- التقليد في الفروع .
- تعريف التقليد الأعمى .
- أسباب التقليد الأعمى .
- موقف الإسلام من التقليد الأعمى .

تعريف التقليد ، والفرق بينه،وبين الاتباع :-

التقليد :لغة : يطلق ويراد به أمور منها :-

١ - لي الشيء على الشيء ، والاحاطة به ، يقال : سوار مقلود : أى ملوي ، والقلادة ماجعل فى العنق خاصة مع الاحاطة به .

٢ - الالزام : يقال : قلده الأمر : أى ألزمه إياه .

٣ - الجمع : يقال : قلد الماء فى الحوض أى جمعه فيه .

٤ - الضم : يقال : أقلد البحر على خلق كثير أى ضم عليهم ، وأغرقهم (١) .

واصطلاحاً : عرف بأنه قبول قول الغير من غير حجة (٢) .

وأما الاتباع : لغة فهو:السير على الأثر ، وأَتْبَعه ، وأَتَّبعه ، وتَتَبَّعه قفاه (٣) .

واصطلاحا : هو السير على الحق بدليل ، وبرهان وحجة واضحة ، فالمتبع هو السائر على الحق بالدليل ،والحجة بخلاف المقلد (٤) ، وبهذا يتضح الفرق بينهما .

أقسام التقليد :

قسمه ابن القيم إلى ثلاثة أقسام ويمكن إرجاعها إلى قسمين :-

١ - **تقليد محمود :-**

وهو التقليد على بصيرة ، ونظر فهو تقليد من بذل جهده فى اتباع ما أنزل الله

---

(١) انظر لسان العرب : ٣٦٥/٣ - ٣٦٨ مادة " قلد " .
(٢) انظر التعريفات : ص ٦٧ ، والمسودة فى أصول الفقه : لآل تيمية ، ص ٤٩٤ .
(٣) انظر لسان العرب : ٢٧/٨ - ٣٢ مادة " تبع " .
(٤) انظر جامع بيان العلم وفضله : ١٤٣/٢ ، ورسالة التقليد : لابن القيم ، ١٢ ، ١٣ ، والبدعة والمصالح المرسلة : ص ٥٤ .

وخفي عليه بعضه فقلد فيه من هو أعلم منه ، وهذا يجب المصير إليه ، وقد يسوغ من غير إيجاب .

٢ - **تقليد مذموم :-**

وهو المحاكاة بلا بصيرة ، ولا نظر فيحرم القول فيه ، والافتاء به وهو أنواع ثلاثة :-

أ - الاعراض عما أنزل الله ، وعدم الالتفات إليه اكتفاء بتقليد الآباء .

ب - تقليد من لايعلم المقلد أنه أهل لأن يؤخذ بقوله .

جـ - التقليد بعد قيام الحجة وظهور الدليل على خلاف قول المقلد [1] .

حكم التقليد المحمود :-

بينا قبل قليل أن التقليد المحمود هو المحاكات ببصيرة ونظر ويمكن هنا تقسيمه من ناحية بيان حكمه إلى قسمين :-

أولاً : التقليد فى العقائد :-

وهو الذى يهمنا هنا ، فأكثر العلماء يمنعونه ، وقال بجوازه العنبرى [2]، وقاسه على التقليد فى المسائل الفرعية .

---

(١) انظر رسالة التقليد : لابن القيم ، ص ٩ ، ١٠ .

(٢) هو عبيد الله بن الحسن بن حصين العنبرى ولد سنة ١٠٥ وقيل : ١٠٦هـ وتوفى سنة ١٦٨هـ روى له مسلم حديثاً واحداً فى ذكر موت أبى سلمة بن عبد الأسد ، وقد نقل عنه القول : بأن كل مجتهد مصيب،ويقول : إن القرآن دل على القدر، والاجبار وكلاهما صحيح ، وكان ابن قتيبة لايقبل أقواله لأجل آرائه (انظر ميزان الاعتدال : ٥/٣ ، وتهذيب التهذيب : ٧/٧، ٨) .

وساق المانعون الأدلة على ذلك(١) .

وجواز التقليد فى العقائد نقله الإسنوى(٢) عن طائفة من الأصوليين(٣) .

وقد مال بعض العلماء إلى تحريم التقليد فى معرفة الله ، وفى التوحيد ، والرسالة وأركان الإسلام الخمسة ونحو ذلك مما تواتر ، واشتهر(٤) .

وذهب الأشاعرة ، والمعتزله على اختلاف بينهم فقالوا : لابد من معرفة ذلك عن طريق دلالة العقل على وجه يمكنه دفع الشبهة(٥) ؛ لأن التقليد فى الشرع حرام.

وهذا مبني على أصلهم الفاسد فى تحكيم العقل فى كل شئ .

وعند الأحناف : أن إيمان المقلد الذى لادليل معه صحيح ، ولكنه عاص بترك الاستدلال(٦) .

والحق الذى لامحيد عنه صحة إيمان المقلد تقليداً جازماً صحيحاً ، وأن النظر، والاستدلال ليسا بواجبين ، وأن التقليد الصحيح محصل للعلم والمعرفه(٧)

---

(١) انظر نهاية السول : ٥٩٥/٢ - ٥٩٧ ، ومختصر المنتهى مع حاشية التفتازانى : ٣٠٥/٢ والوصول إلى الأصول : ٣٣٧/٢-٣٤١ ، والمسودة فى أصول الفقه : ص٤٠٧ ولوامع الأنوار : ٢٦٧/١ .

(٢) هو عبدالرحيم بن الحسن بن علي بن عمر الاسنوى الشافعى ، مؤرخ ، ومفسر ، وفقيه ، وأصولي ولد بإسنا من صعيد مصر ٧٠٤هـ ، وتوفى سنة٧٧٢هـ ، له تصانيف كثيرة منها: التمهيد فى تنزيل الفروع على الأصول (انظر الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة : لابن حجر ٤٦٣/٢ ومابعدها الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ ومعجم المؤلفين : ٢٠٣/٥) .

(٣) منهم الآمدى ، وابن الحاجب ، وتوقف البيضاوى فى ذلك لاستواء الأدلة عنده ولا مرجح (انظر نهاية السول ٥٩٥/٤ - ٥٩٨) .

(٤) انظر المسودة : ص ٤٠٨ - ٤١١ ، ولوامع الأنوار : ٢٦٧/١ .

(٥) انظر أصول الدين : للبغدادى ، ص٢٥٤ ، ٢٥٥ ، والارشاد : ص ٢٩ ، والمواقف : ص ٣٢ ومابعدها . والوصول الى الأصول : لأحمد بن على بن برهان ، ٣٥٨/٢ ومابعدها .

(٦) انظر شرح الفقه الأكبر : لملا على القارئ ، ص ٢١٦ .

(٧) انظر لوامع الأنوار : ٢٦٩/١ .

وقد كان الصحابة يقبلون إسلام العوام ، وإن كانوا تحت السيف، أو تبعاً لكبير منهم أسلم ، ولم يأمروا أحداً منهم بترديد نظر ، ولا سألوه عن دليل تصديقه ، ولا أرجأوا أمره حتى ينظر ، والعقل يجزم بعدم وقوع الاستدلال منهم لاستحالته وحينئذ كان ما أجمعوا عليه دليلاً على صحة إيمان المقلد [١] .

ثانياً : التقليد في الفرع :- **مختلف فيه فهناك اتجاهان :-**

الاتجاه الأول :-

يمنع التقليد بتاتاً ، وعلى رأس هذا الاتجاه ابن حزم الظاهري [٢] حيث يرى أنه لايحل لأحد أن يقلد أحداً لاحياً ، ولاميتاً ، واستدل على ذلك بعدة أدلة ليس محل تفصيلها هنا [٣] ، وقد مال إلى هذا ابن القيم [٤] .

واضطرب النقل عن الشافعي في المنع فروى عنه أربع روايات : رواية تفصل ، وترجح المنع ، وروايتان تمنع التقليد ، ورواية تجيزه [٥] .

---

(١) انظر الوصول إلى الأصول : لابن برهان ٢/٣٦٠، ولوامع الأنوار : ١/٢٦٩ ومابعدها .

(٢) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري ، فيلسوف ، ومؤرخ ، وأديب، وفقيه أندلسي ولد في قرطبة في عام ٣٨٤هـ، وكان والده وزيراً للمنصور بن أبي عامر، وقد بدأ ابن حزم مالكياً ثم تحول إلى الشافعية ، وانتهى إلى الظاهرية، ورفض القياس ، والتقليد ، والتعليل، والاستحسان ، وكان عنيفاً في مناقشة خصومه من كتبه الفصل في الملل والأهواء والنحل ، والمحلى وغيرها توفي سنة ٤٥٥هـ (انظر وفيات الأعيان ٣/٣٢٥ ومابعدها، وموسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين : ٢/٧٩) .

(٣) انظر الأحكام: م ٢/٨٣٧ ومابعدها ، والمصالح المرسله : ص ٥٩ .

(٤) انظر رسالة التقليد : لابن القيم ص ١٢ ومابعدها .

(٥) انظر رسالة التقليد : لابن القيم، ص ٢٥-٣٣، والبدعة،والمصالح المرسلة : ص ٥٨ .

الاتجـاه الثانــــي :-

يقول بجواز التقليد فى الفروع ، وهذا يمكن تقسيمه إلى شقّين :-

أ - منهم من قال يجوز التقليد للعامي دون المجتهد لعدم تكليفهم فـــــى شيء من الأعصار ، وتفويت معايشهم[1] .

ب - منهم من قال يجوز التقليد فى الفروع مطلقاً - أي للعامي ، والمجتهد - وحجتهم فى هذا قالوا : إن قول المجتهد حكم الله تعالى فيجوز للعالـم أن يأخذ به كالذى أداه اجتهاده إليه ؛ لأنه إذا تركه ، ولم يأخذ بـــه كالذى أداه اجتهاده إليه ، فإنما يأخذ باجتهاد وهو على ظن أيضـــاً ، ولا تخيير فى الظنون [2] ثم إن أباحنيفه خيّر فى تقليد من شاء مـــن المجتهدين؛لأن كل واحد منهم على حق ، وصواب [3].

وتعقب ذلك العز بن عبدالسلام [4] بقوله : (وهذا ظاهر متجه إذا قلنا : كل مجتهد مصيب) [5]

وقد فصل الشاطبى[6] فى مسألة التقليد فبين أن المكلف بأحكام الشريعـــة

---

(١) انظر الوصول إلى الأصول : ٣٥٨/٢ ومابعدها ، ونهاية السول : ٥٨٦/٤ ومابعدها ، وقواعد الأحكام : ١٣٦/٢.

(٢) انظر الوصول إلى الأصول : ٣٦٢/٢ ومابعدها ، ونهاية السول : ٥٨٦/٢، وقواعد الأحكام : ١٣٦/٢.

(٣) انظر قواعد الأحكام : ١٣٦/٢.

(٤) هو عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي ، الشافعى المعـــروف بابن عبدالسلام، فقيه مشارك فى الأصول، والعربيه، والتفسير ولد بدمشق سنة٥٧٧هـ ، وبلغ رتبة الاجتهاد ،ولي الخطابة بجامع دمشق، والحكم بمصر توفي بالقاهرة سنة ٦٦٠هـ (انظر الأعلام : ١٤٤/٤ ومعجم المؤلفين : ٢٤٩/٥).

(٥) قواعد الأحكام : ١٣٦/٢.

(٦) هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، محدث، فقيه، أصولي، لغوى، مفسر، توفى سنة ٧٩٠هـ ، من مؤلفاته : الموافقات ، والاعتصام وغيرهما (انظر الأعلام: ٧١/١ ومعجم المؤلفين : ١١٨/١).

لايخلو من أحوال ثلاثة :-

الحالة الأولى :-

أن يكون مجتهداً : فحكمه ما أداه إليه اجتهاده.

الحالة الثانية :-

أن يكون مقلداً صرفاً خالياً من العلم جملة فلابد له من قائد يقوده ، وحاكم يحكم عليه ، وعالم يقتدى به .

الحالة الثالثة :-

أن يكون غير بالغ مبلغ المجتهدين ، ولكنه يفهم الدليل ، ويصلح فهمه للترجيح بالمرجحات المعتبره فى تحقيق المناط[1] ونحوه ، فلايخلو إما أن يعتبر ترجيحه أو نظره أولا ، فإن اعتبرناه صار مثل المجتهدين فى ذلك الوجه ، وإذا لم نعتبره فلابد من رجوعه إلى درجة العامي[2] .

خلاصة الآراء القائلة بجواز التقليد فى الفروع :-

١ - التّحرى عمن يؤخذ منه العلم ، والأحكام حتى يصح التقليد .
٢ - صحة تقليد الأئمة الأربعة .
٣ - جواز تقليد المجتهد .

الراجح :-

أن التقليد فى الفروع جائز ، ولكن ليس على الاطلاق فتقليد الجاهل ، والمبتدع

---

(١) هو النظر فى تعريف تحقق العلة ،وإعلام هذا التحقق فى جزئيات العلة(انظر سلم الوصول ، بهامش نهاية السول : ١٣٨/٤) .

(٢) انظر الاعتصام : ٣٤٢/٢ ، ٣٤٣ ، والموافقات : ٢٢٤/٤ - ٢٣٢ .

ومن لايعرف الدين حرام ، وإنما التقليد يكون للأئمة المجتهدين من أهل الصلاح والتقوى والمعرفة ، ثم إن الذين يقلدون الأئمة ، ويأخذون الأحكام منهم يعرفون أنهم حفظة كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، كما أن الأمة أجمعت على أمانتهم ، وإخلاصهم، وتقواهم ، وعلمهم ، أما مايرد من تحذير من عثرات العلماء فهذا شيء لايمنع الأخذ عنهم إنما يدعو إلى الحذر ، والحيطة ، والتروّي ، والتأكد من المفتي ، والعالم، كما يدعو إلى اليقظة ، وعدم تقليد إلا من يوثق بعلمهم ، وفضلهم ، وإلى جانب هذا يشترط في التقليد عدم التّعصب لمذهب ، أو شخص معيّن .

وأما الأدلة التي استدل بها المانعون من التقليد فهي أدلة في غير محل النزاع؛ لأنها تدل على التقليد المذموم ، أو النهي عن تقليد أهل الأهواء وهذا قدر إتّفق عليه الجميع .

والواقع أن ابن حزم يتمشى قوله مع مذهبه الذى اختاره لنفسه ، وهو الأخذ بظواهر النصوص (١) .

تعريف التقليد الأعمى :-

هو المحاكاة بلا بصيرة ، ولانظر في شيء .

ويشمل كل ماسلكه المسلمون - من غير ادراك ولاوعي ، ولاتمحيص - من اتباع الكفار، والأخذ عنهم ، والتشبه بهم في شتّى أنواع الحياة ، وأنماط السلوك ، والأخلاق وأشكال التبعية في الاعتقاد ، والتصور ، والفكر ، والفلسفة ، والسياسة ، والاقتصاد ، والأدب ، والثقافة، والنظم، والتشريع من غير اعتبار للعقيدة ، والشريعة الإسلامية ، ومن غير التزام للمنهج الإسلامي الأصيل . (٢)

---

(١) انظر البدعة والمصالح المرسلة : ص ٧٠ - ٧٢ .

(٢) انظر التقليد والتبعية ، وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية : لناصر عبدالكريم العقل : ص ٥٦ .

ولايفوتنى التنبيه هنا إلى أنه ينبغى ألا يتبادر إلى ذهن القارئ أننى أمقت الاستفادة من الانتاج البشرى : العلمي ، والتجريبى النافع الذى يخدم البشرية فى مجالات الخير، والبناء ؛ فإن التقليد شئ ، والاستفادة من الانتاج شئ آخر .

أسباب التقليد الأعمى :-

يقلد الشخص غيره عندما يتوهم فيه الكمال ، وعلو المنزلة ، وذلك يعود إلى العامل المؤثر فيه فإذا قوى ذلك العامل نجد داعي التقليد ضعيفاً ، ولهذا كان العهد الأول للإسلام لم يكن المسلمون يقلدون فيه غيرهم بينما تجاورهم أقوى دولتين فى ذلك العهد - هما دولتا الفرس والروم - بل العكس من ذلك؛ لأن المسلمين أقوياء فى إيمانهم ، ولكن لما ضعف الإيمان سرى إليهم التقليد الأعمى رويداً رويداً ، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب نلخص أهمها فيما يلى :-

أولاً : الأسباب الداخلية :-

١ - نقصان العقل وضعفه :-

من المؤكد أن ناقص العقل يقلد غيره فى كل شئ شأنه فى ذلك شأن الطفل؛ إذ ليس عنده آلة العقل كاملة حتى يميز بوساطتها بين الحق والباطل ، والخير ، والشر فهو سهل الانقياد إلى الشر ، والانحراف لاسيما إذا رأى من يظنه أكمل منه ، أو أعلى منه منزلة يعمل تلك الأعمال ، وهذا السبب يظهرعند النساء غالباً ؛ لأنهن ناقصات عقل ودين .

٢ - الجهل بحقيقة الإسلام نظام حياة :-

إن أغلب المسلمين يتوارثون الإسلام توارثاً تقليدياً لما وجدوا عليه آباءهم ، وأجدادهم ، وقد كثرت فيهم الانحرافات ، والمفهومات الخاطئة

حول الإسلام ، وذلك لجهلهم بالحقائق الأساسية له ، فهم يجهلون أنه نظام شامل ، وكامل ، وصالح لكل زمان ومكان ، ولجميع شئون الحياة البشرية ، ومن هنا انحراف المسلمين عن الكتاب ، والسنة ، وترك التمسك بهما فوقعوا في الهزائم الفكرية ، والتفرق ، والتناحر والاختلاف ، ومن ثم وقعوا في التبعية ، والولاء ، والتقليد الأعمى للملحدين وغيرهم ، وقد يظن بعض الجهلة أن الإسلام يقف موقفا معاديًا للانتاج ، والاكتشافات الجديدة ، وانطلاقًا من ذلك المفهوم الخاطئ بنى المسلمون كيانهم ، وحياتهم على النمط الذى يسير عليه أعداؤهم ، واستمدوا منه الأنظمة العلمانية ، وغيرها .

٣ - البيئة :-

ينشأ الإنسان فى بيئته فيكتسب منها معارف ، ومهارات ، وأنواعًا من السلوك ، ومن تلك المكتسبات ماهو حق وصالح ، وماهو باطل ،ويكسبه دافع الأنانية خلق التعصب لجميع مافى تلك البيئة من مفهومات ، وتصورات ، وكثير من الناس ليس لهم حجة فى تقاليدهم الباطله سوى أنها موروثة عن آبائهم وأجدادهم ساروا عليها بلا بصيرة ،ولا نظر ولا تأمل (١) .

ولكن قد يوجد الشخص فى بيئة عفاف وحكمة وتتولاه العناية الربانية ، ثم تتولاه يد التربية الحازمة بالتنبيه لمواقع الهنات ، فتكون سيرته كالسبيكه الخالصة لايجد فيها الناقد محلًا ، لكن ليس على وجه المعمورة أمة استوفت خصال الكمال مهما بلغت فى رقيها وتقدمها أن يفتح الناقد الألمعي عينيه فلا يرى إلا أعمالا مرضية أو عادات مقبولة (٢) .

---

(١) انظر صراع مع الملاحدة : ص ٣٨٨ ، ٣٨٩ .
(٢) انظر رسائل الإصلاح : لمحمد الخضر حسين : ص ٢٠٥ ومابعدها .

٤ - ضعف الإيمان :-

عندما يضعف الإيمان عند الشخص يتجاوز الحدود التى حدها الشرع له ، ويقلد غيره من الملحدين فى كل شئ حتى مع معارضته لشرع الله ، فيفتح له صدره ،ويصغي له سمعه ، ويؤيده بفكره ، وهذا السبب هو الذى أوقع كثيراً ممن ينتسبون فى هذا العصر إلى الإسلام فى التقليد الأعمى .

٥ - اتباع الشهوات :-

قد يجد صاحب الهوى إشباعاً لرغباته ، وإرضاء لنزواته فى التقليد الأعمى ، حيث يفعل الشئ الممنوع منه شرعاً بحجة أن المنحرفين من البشرية يفعلونه. (١)

ولهذا ذم التقليد من أجل اتباع الشهوات والأهواء ، قال الشاطبى : (ولاينجيه من هذا (٢) أن يقول : مافعلت إلا بقول عالم؛ لأنه حيلة من جملة الحيل التى تنصبها النفس وقاية عن القال ، والقيل ، وشبكة لنيل الأغراض الدنيوية ، وتسليط المفتى العامى على تحكيم الهوى بعد أن طلب منه إخراجه عن هواه ، رمي فى عماية ، وجهل بالشريعة، وغش فى النصيحة) (٣).

روى البخارى بسنده عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إن الله لايقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس

---

(١) انظر البدعة والمصالح المرسلة : ص ٧٥ .
(٢) تحكيم الهوى دون الشرع .
(٣) الموافقات : ١٤٣/٤ ، ١٤٤ .

رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا ، وأضلوا"[١] .

٦ - الشعور بالغلبة واعتقاد الكمال في الغالب :-

تعرّض ابن خلدون[٢] لذلك في مقدمته حيث قال : (إن المغلوب مولع أبداً بتقليد الغالب في شعاره ، وزيه ، ونحلته وسائر أحواله وعوائده ، والسبب في ذلك أن النفس تعتقد الكمال فيمن غلبها ، وانقادت إليه إما لنظرة بالكمال فيما وقر عندها من تعظيمه ، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي إنما هو لكمال الغالب)[٣] .

وهذا الذي قرره ابن خلدون يظهر بوضوح في الأمم الضعيفة التي تجاور الأمم القوية؛ فإنها تقلدها في كل شيء ، وكذلك الشعوب المغلوبة ، والعلتان اللتان ذكرهما ابن خلدون إنما تتفشيان في الأمة الملقى حبلها على عاتقها تمشي بلا بصيرة ، ولا هدى ، ولا تقصد إلى غاية نبيلة .

٧ - التعصب ، والثقة بالشخص المقلد :-

يدخل في اتباع الآباء ، والمشائخ وغيرهم قال الشاطبي : (وهذا الوجه هو الذي مال بأكثر المتأخرين من عوام المبتدعة إذا اتفق أن ينضاف إلى شيخ جاهل ، أولم يبلغ مبلغ العلماء ، فيراه يعمل عملاً يظنه عبادة فيقتدي به كائناً ماكان ذلك العمل ، موافقاً للشرع أو مخالفاً ، ويحتج به على من يرشده

---

(١) صحيح البخاري: كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم: ٣٣/١، ٣٤، وانظره في صحيح مسلم :كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه ٦١/٨، وفي سنن الترمذي :كتاب العلم، باب ماجاء في ذهاب العلم : ٣١/٥ .

(٢) هو عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن الحضرمي الإشبيلي المعروف بابن خلدون عالم ، أديب، مؤرخ، اجتماعي، حكيم، ولد بتونس سنة ٧٣٢هـ، توفي بالقاهرة فجأة عام ٨٠٨هـ من مؤلفاته :العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب، والعجم ، والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر(انظر الأعلام : ١٠٦/٤ ومعجم المؤلفين : ١٠٦/٤).

(٣) ص ١٤٧ .

ويقول : كان الشيخ فلان من الأولياء ، وكان يفعله ، وهو أولى أن يقتدى بـه من علماء الظاهر ، فهو فى الحقيقة راجع إلى تقليد حسن ظنه فيه أخطأ وأصاب كالذين قلدوا آباءهم سواء) (١) .

والشخص الذى يقلد إمامه دون بصيرة فى كل خطوة يخطوها يقع فى كل الأخطاء التى وقع فيها إمامه تلقائياً ، ومن هنا يغلط أتباع المذاهب المقلدون بلا بصيرة غلطاً فاحشاً ، إذ يرون أن الحق ، فيما توصل إليه إمامهم ، ويرون ماعداه باطلاً ثقة بمنهجه الذى يسير عليه،ويقول به (٢) .

وقد أنكر العز بن عبدالسلام على الفقهاء المقلدين الذين يدركون مآخذ الضعف على أئمتهم ويتبعونهم فى ذلك تاركين الكتاب والسنة حيث قال : (ومن العجب العجيب أن الفقهاء المقلدين يقف أحدهم على ضعف مآخذ إمامه بحيث لايجد لضعفه مدفعاً ، ومع هذا يقلده فيه ، ويترك من الكتاب والسنة ، والأقيسة الصحيحة لمذهبه جموداً على تقليد إمامه، بل يتحلل لدفع ظواهر الكتاب والسنة ويتأولها بالتأويلات البعيدة الباطله نضالاً عن مقلده) (٣) .

٨ - سوابق الأفكار الباطلة :-

وهو من أهم الأسباب الداعية إلى التقليد الأعمى لما كان عليه الآباء والأجداد سواء فى العقائد ، والمفهومات المخالفة للإسلام ، وقد ذم الله ذلك بقوله:" وإذا قيل لهم: اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا " (٤)

---

(١) الاعتصام : ٢/١٨٢.
(٢) انظر بصائر للمسلم المعاصر : للميدانى، ص ١٢٠ - ١٢٢ ، ١١٧ ، ١١٨ .
(٣) قواعد الأحكام في مصالح الأنام : ٢/١٣٥.
(٤) سورة البقرة : آية (١٧٠) .

وهذا التقليد بلا بصيرة هو الذى دفعهم إلى الإشراك بالله تعالى .

٩ - سوء التربية ، وضعف التوجيه السليم للأجيال الناشئة :-

لاشك أن التربية والتوجيه السليم هما الدعامتان الأساسيتان لإعداد الأجيال الناشئة ، فلذلك تربى الأمم القوية أجيالها على ضوء مبادئها ، وأديانها ، ومعتقداتها ، وكذلك الأمة الإسلامية كانت تربى أجيالها قروناً طويلة على الدين ، والخلق القويم ، والفضيلة وإعدادها للجهاد من أجل إعلاء كلمه الله ، وأعباء الحياة بشتى أشكالها ، فلما جاءت القرون المتأخرة قل التوجيه السليم فدب الضعف فى أبنائها فظهرت أجيال ضعيفة لم تترب على العلم ، والفتوة والقوة ، فلم تستطع توجيه من جاء بعدها من الأجيال ، فأصيبت بالوهن، والتشتت والانهزامية ، فلما برزت نتائج الاكتشافات العلمية الغربية وغيرها من مظاهر الحياة البراقة الخادعة انبهرت الأجيال المسلمة من تلك حيث فقدت التربية والتوجيه السليم اللذين يؤهلانها للموقف الإيجابى أمام تلك المظاهر الخادعة[1] .

١٠- الاحتياج الذاتي فيمجالات التقدم المادى، وانبهار المسلمين بالتقدم المادى لدى الملحدين :-

لما رأى المسلمون الكفار قد سبقوهم فى مضمار التقدم المادى، والصناعي والاكتشافات العلمية أصابهم الانبهار المفاجئ إضافة إلى ماهم عليه من ركود ، وجمود فكرى فأدى ذلك إلى التسليم بكل ماهو وافد عليهم بما يحمله من آثار فكرية ، وسياسية ، ومدنية دون مناقشة ، ولاتحرّى ، ولانظر.[2]

(١) انظر التقليد ، والتبعية ، وأثرهما فى كيان الأمة الإسلامية : ص ١١٥.
(٢) انظر المصدر نفسه : ص ١١٣ - ١١٩ .

١١- الخمول الفكرى عند بعض المسلمين :-

كان الفكر الإسلامى فى العصور الأولى حياً نشيطاً حافلاً بالابداع ، وقد ظل كذلك حتى أخذ المسلمون يستمدون مناهج التفكير من غير الأصول الإسلامية الصافية فأخذوا بالفلسفة[1] ، والجدل ، وغيرهما ، وكثر اعتمادهما على التقليد المذهبى حتى وقع كثير منهم فى التصوف[2] .

١٢- رفقاء السوء :-

من الأمور المسلم بها أن الخلطة الفاسدة من أكبر العوامل فى انحراف الأفراد ، والجماعات فكرياً ، ونفسياً ، وسلوكياً لاسيما إن كان الولد بليد الذكاء، ضعيف العقيدة ، وعنده قابلية للانحراف ، فسرعان ما يتأثر بمصاحبة الأشرار، ومرافقة الفجار ، إذْ هو يقلدهم فى كل شئ ، ويكتسب منهم أحط العادات وأقبح الصفات وأرذلها ، ويسير معهم فى طريق الشقاوة بخطى سريعة ، حتى يصبح الاجرام طبعا من طباعه ، وعادة متأصلة فيه ، فيصعب على المربى رده إلى الجادة المستقيمة وانقاذه من الانحراف.[3]

روى مسلم بسنده عن أبى موسى الأشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إنما مثل الجليس الصالح ، والجليس السوء كحامل المسك ، ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه ، وأما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة"[4]

---

(١) مشتقة من كلمة يونانية هى" فيلاسوفيا" وهى محبة الحكمة فلما أعربت قيل : فيلسوف ثم اشتقت الفلسفة منه ومعناها : علم حقائق الأشياء والعمل بما هو أصلح (انظر مفاتيح العلوم للخوارزمى ،ص ١٥٣، ودائره معارف القرن العشرين :لمحمد فريد وجدى، ٤٠٤/٧) .

(٢) انظر التقليد والتبعية : ص ١٠٧، ١٠٨ .

(٣) انظر تربية الأولاد فى الإسلام : عبدالله علوان : ٩٤٧/٢، ٩٤٨.

(٤) صحيح مسلم:كتاب البر والصلة، باب استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السوء ٣٧/٨.

وروى البخارى بسنده عن سعيد بن المسيب عن أبيه أنه أخبره" أنه لما حضرت أبا طالب الوفاه جاءه النبى صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أباجهل ابن هشام ، وعبدالله بن أبى أمية بن المغيرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى طالب : ياعم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله، فقال أبو جهل ، وعبدالله بن أبى أمية يا أباطالب أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ، ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبدالمطلب وأبى أن يقول : لا إله إلا الله "(١).

فانظر مالقرناء السوء من تأثير على الشخص حتى فى آخر لحظة من حياته.

ثانياً : الأسباب الخارجية :-

وهى كثيرة لايمكن أن نستوعبها فى هذا البحث المختصر لكن نذكر أهمها فيما يلى :-

١ - الاحتلال المباشر :-

وهو الاستعمار بكل أشكاله ، وأساليبه ، ومايتبعه من السيطرة السياسية ، والغزو الفكرى ، والحصار الاقتصادى ، ولاشك أن الاستعمار له أثر سىء فى الشعوب المستعمرة حيث كما قلنا : أن المغلوب يقلد الغالب فى كل شئ .

٢ - الغزو الفكرى :-

يبذل الكفار فى سبيل ذلك جهوداً ضخمة لفرض سيطرتهم على المسلمين ، ومحو العقيدة من قلوبهم ، وقد سلكوا فى سبيل تحقيق ذلك مايلى :-

---

(١) صحيح البخارى: كتاب الجنائز ، باب إذا قال المشرك عند الموت : لا إله إلا الله ٢/٩٨ .

أ - حركتا التنصير " أو مايسمي التبشير (١) " ، والاستشراق :-

هنا سلك أعداء المسلمين كثيراً من الأساليب لهدم كيان الإسلام من الداخل ، واشتمل ذلك عدة أمور منها :-

انتشار آلاف المنصرين فى كل أقطار العالم الإسلامى ، وفتح المدارس الأجنبية ، وإرسال المبتعثين ، والعمل على ترويج الانحراف الخلقى ، والفكرى بشتى الوسائل ، وترويج المسكرات ، ووضع بذور المذاهب، والأحزاب ، وتشويه التاريخ الإسلامى ، كما عمل المستشرقون على تشويه الحقائق لزعزعة عقائد المسلمين .

ب - وسائل الأعلام المختلفه :

وقد قامت بأخطر دور فى حركة التشكيك ،وإبراز الحياة على المظهر غير المتدين ، وتضليل الأجيال عن طريق التقليد الأعمى ، وقد اعتمد المستعمرون المحتلون ، والمبشرون ، والمخططات اليهودية الأعلامية على ذلك اعتماداً كبيراً (٢) .

---

(١) الواقع : أن اطلاق كلمة التنصير أولى من كلمة التبشير،لأن كلمة بشر تطلق على كل خبر صدق يتغير به بشرة الوجه ، ويستعمل فى الخير ، والشر ، وفى الخير أغلب (انظر التعريفات : ص ٤٦) .
ولعل المنصرين أرادوا بإطلاق تلك اللفظة " التبشير" خداع الأجيال ، وحثهم على الدخول فى النصرانية ، ومع الأسف يردد كثير من الكتاب هذه الكلمة دون التنبيه إلى المقصود منها .

(٢) انظر التقليد ، والتبعية : ص ١٢٩ - ١٣٦ .

موقف الإسلام من التقليد الأعمى :-

من أهم الأمور التى اهتم الإسلام بمعالجتها ، والتحذير منها التقليد الأعمى ، لذلك ينبغي أن يهتم المربون بتحذير الأولاد من الانسياق بدون روية ، ولاتفكير ، وتوعيتهم من الانزلاق وراء التشبه بلا بصيرة ، ولانظر لعدة أمور منها :-

١ - أن التقليد الأعمى دليل الهزيمة الروحية ، والنفسية ، وفيه فقدان الشخصية في كيان المقلد ، وفيه قتل للرجولة ، واستئصال فضيلة الشرف .

٢ - أن التقليد الأعمى يدفع بالكثيرين إلى فتنة الحياة الدنيا ، ومظاهرها ، وهذا بدوره يؤدى إلى الغرور ، والكبرياء لكونه معجباً ببريق المظهر ، والألوان البراقة الخادعة .

٣ - أن التقليد الأعمى يفضى بالأمم ، والشعوب إلى الهلاك ، والدمار المحقق لسلوكها طريق الكفر ، والعصيان .

٤ - أن التقليد الأعمى يفقد المنساقين وراء عادات أجنبية عن كثير من الواجبات الدينية والمسئوليات الاجتماعية ، والاقتصادية ونحو ذلك[1] .

ولما كان التقليد الأعمى سبباً للانحراف فى الاعتقاد وغيره فلا غرو أن نرى الإسلام قد نهى عن التشبه بلا بصيرة وحذر منه ، وهناك عدة نصوص تؤكد ذلك نبين منها مايلى :-

أ - من القرآن :- هناك آيات كثيرة تحذر من التقليد الأعمى منها :-

قوله تعالى : " وإذا قيل لهم : اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ماوجدنا

---

(١) انظر تربية الأولاد فى الإسلام : ٢/٩٤٢، ٩٤٣ .

عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير"[١] .

فهذا هو سندهم الوحيد وهو التقليد المتحجر بلا بصيرة الذى لا يقوم على علم ويقين ، ولا يعتمد على تفكير ، فالإسلام يريد أن يحرر أولئك منه ويطلق عقولهم لتتدبر ، ويشع فيها اليقظة التامة ، فالإسلام حرية فى الضمير ، وحركة فى الشعور ، ومنهج جديد للحياة ، لكن الشيطان يدعو جميع التابعين له ، والمتبوعين إلى العذاب فدعاؤه للتابعين بتزيينه لهم الشرك ، ودعاؤه للمتبوعين بتزيينه لهم دين آبائهم.[٢]

يقول تعالى : " وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها : إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون"[٣] .

ويقول تعالى مخبراً عن المشركين من قوم إبراهيم عليه السلام عندما سألهم عن آلهتهم : " قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون "[٤] .

فاعترفوا بأنها لا تنفع ، ولا تضر ، واضطروا إلى إظهار الحقيقة وهي أنه لا سند لهم سوى التقليد الأعمى لآبائهم .

وقوله تعالى : " وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا"[٥].

وقوله تعالى : " إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ، ورأوا العذاب ، وتقطعت بهم الأسباب ، وقال الذين اتبعوا لوأن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم"[٦] .

---

(١) سورة لقمان : اية (٢١) .

(٢) انظر فتح القدير : للشوكانى، ٤/٢٤١، ٢٤٢، وفى ظلال القرآن : لسيد قطب، ٥/٢٧٩٣.

(٣) سورة الزخرف : آية (٢٣) .

(٤) سورة الشعراء : آية (٧٤) .

(٥) سورة الأحزاب : آية (٦٧) .

(٦) سورة البقرة : آيتا (١٦٦، ١٦٧) .

قيل : المراد بهم السادة ، والرؤساء تبرؤوا ممن تبعهم على الكفر .

وقيل : هم الشياطين المضلون تبرؤوا من الإنس ، والحق : أنه عام فى كل متبوع[(١)].

والتقليد الأعمى هو المانع للعقل من التفكير ، فمن ثم أثنى الله على الذين يخلصون للحقائق ، ويميزون بين الأشياء بعد النظر ، والبحث ، والتمحيص فيأخذون ماهو الأحسن ، ويتركون ماسوى ذلك، قال تعالى : " فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولوا الألباب"[(٢)] .

ب - من السنة النبوية :-

وردت أحاديث كثيرة تذم التقليد الأعمى ، والتشبه بلا بصيرة ولانظر منها :-

١ - مارواه البخارى بسنده عن ابن عباس قال : " لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال"[(٣)].

وذكر ابن حجر : أن ظاهر اللفظ الزجر عن التشبه فى كل شيء، لكن عرف من الأدلة الأخرى أن المراد التشبه فى الزي، وبعض الصفات والحركات ونحوها لا التشبه فى أمور الخير .[(٤)]

٢ - مارواه البخارى - أيضاً - بسنده عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم فقلنا : يارسول الله اليهود والنصارى؟ قال : فمن ؟ "[(٥)] .

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن : ٢٠٦/٢ .
(٢) سورة الزمر : آيتا (١٧، ١٨) .
(٣) صحيح البخارى : كتاب اللباس ، باب المتشبهون بالنساء ، والمتشبهات بالرجال ٥٥/٧ .
(٤) انظر فتح البارى : ٣٣٣/١٠ .
(٥) صحيح البخارى : كتاب الاعتصام ، باب قول النبي : " لتتبعن سنن من كان قبلكم " . ١٥١/٨، وانظره فى صحيح مسلم : كتاب العلم ، باب اتباع سنن اليهود والنصارى ٥٧/٨ .

٣ - ماروا ه البخارى - أيضاً - بسنده عن أبى هريرة أن رسول الله صلـى الله عليه وسلم قال : "إن اليهود والنصارى لايصبغون فخالفوهم" (١).

٤ - ماروا ه الترمذى بسنده عن حذيفه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لاتكونوا إمعة تقولون : إن أحسن الناس أحسنا ، وإن ظلموا ظلمنا وطّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساؤا فلا تظلموا" (٢) فهذا الحديث يرشد إلى أن الإنسان يجب عليه أن يستقل بشخصيته ينظر إلى الأمور بمنظار العقل والحكمة لا أن يقلد الآخرين تقليداً أعمى فى كل شئ .

---

(١) صحيح البخارى : كتاب اللباس ، باب الخضاب ٥٧/٧ ، وانظر صحيح مسلم كتاب اللباس والزينة باب فى مخالفة اليهود فى الصبغ ١٥٥/٦ ، وسنن أبى داود : كتاب الترجل ، باب فى الخضاب ٨٥/٤ .

(٢) سنن الترمذى : كتاب البر ، والصلة ، باب ماجاء فى الإحسان والعفو ٣٦٤/٤ .
وقال : حديث حسن غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه ، وقد تتبعت سند هذا الحديث فوجدته لاينزل عن درجة الحسن؛لأن محمد بن يزيد أحد رواته ذكره ابن عدى فى شيوخ البخارى ، وجزم ابن الخطيب أن البخارى روى عنه .
لكن ذكر الذهبى وابن حجر العسقلانى أن البخارى قال :رأيتهم مجمعين على ضعفه (انظر ميزان الاعتدال : ٦٨/٤ ، وتقريب التهذيب: ٢١٩/٢) .
وايضاً محمد بن فضيل بن غزوان الضبى أحد رواته قيل :إنه صدوق عارف ، ووثقه ابن معين لكنه رمي بالتشيع(انظر ميزان الاعتدال : ١٠/٤ ، ٩ ، وتقريب التهذيب: ٢٠١/٢) .
وكذلك : الوليد بن عبد الله أحد رواته :قيل :صدوق يهم ، ورمى بالتشيع ، لكن وثقه بن معين ، وقال أحمد : ليس به بأس ، وقال أبوحاتم :صالح الحديث(انظر ميزان الاعتدال : ٣٣٧/٤) .

ج - مـن الآثـــار :-

وهناك آثار كثيرة تذم ، وتحذر من التقليد

١ - ماروى ابن عبدالبر[1] بسنده عن زياد بن جرير قال :قال عمر: " ثــلاث يهدمن الدين زلة العالم، وجدال منافق بالقرآن ، وأئمة مضلون"[2] .

٢ - مارواه-أيضاً-بسنده عن ابن مسعود أنه كان يقول:" أغد عالماً ، أو متعلماً لاتغد إمعـــة فيما بين ذلك"[3] .

٣ - مارواه-أيضاً-بسنده عن ابن عباس أنه قال : " ويل للأتباع من عثرات العالم، قيل : كيف ذلك ؟ قال : يقول العالم شيئاً برأيه ثم يجد من هو أعلـم برسول الله صلى الله عليه وسلم منه فيترك قوله ذلك ثم تمضى الأتباع "[4] .

٤ - مارواه-أيضاً-بسنده عن علي قال : "إياكم والاستنان بالرجال، فإن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة ثم ينقلب لعلم الله فيه ، فيعمل بعمل أهل النـار فيموت وهو من أهل النار وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فينقلب لعلم الله فيه فيعمل بعمل أهل الجنة فيموت وهو من أهل الجنة ، فإن كنتم لابد فاعلين فبالأموات لا بالأحياء"[5] .

وقد نهى الأئمة الأربعة[6] عن تقليدهم، وقد ذكر ابن القيم أقوالهم فى ذلك[7]

---

(١) هو ابوعمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمرى القرطبي امام عصره فى الحديث والأثر توفى سنة ٤٦٣هـ بمدينة شاطبة بالأندلس(انظر وفيات الأعيان :٧/٦٦-٧٢).

(٢) جامع بيان العلم وفضله : باب فساد التقليد ، ونفيه، ١٣٥/٢ ورواه اللالكائي عن معاذ ابن جبل وهو منقطع؛لأن عمرو بن مرة لم يسمع من معاذ (انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : ١١٦/١ ومابعدها).

(٣) انظر جامع بيان العلم وفضله:١٣٦/٢ ،ورواه وكيع فى كتاب الزهد : ٨٢٩/٣ ،وقال المحقق اسناده ضعيف لعنعنة الأعمش ، وانقطاع السند بين عبيده وأبيه عبدالله بن مسعود ، اخرجه ابن أبى شيبة ٩٦/٢ ،والطبرانى فى الكبير ١٦٣/٩ عن طريق عبدالملك بن عمير عن عبدالله لكن قال الهيثمى رجاله رجال الصحيح إلا أن عبدالملك لم يذرك ابن مسعود مجمع الزوائد ١٢٢/١ .

(٤) انظر جامع بيان العلم وفضله : ١٣٧/٢.

(٥) انظر المصدر نفسه : ٣٩/٢ .

(٦) وهم : الإمام أحمد ، والشافعى، والإمام مالك ، وأبو حنيفة .

(٧) انظر رسالة التقليد : ٤-٢٦.

وهذا التقليد الأعمى الذى صرّحت به النصوص يدخل فيه تقليد الكفار ، والتشبه بهم فيما يخالف الإسلام ، وهديه سواء فى السلوك ، أو العادات وغير ذلك .

أما التقليد فى كل ماينفع الأمة الإسلامية وينهض بها ماديًا ، وحضاريًا ، ولايتعارض مع هدي الإسلام كالانتفاع بعلوم الطب ، والهندسة ، وأسرار الذرة ، ووسائل الحرب الحديثه وغيرها مما لايتعارض مع الدين الإسلامى فهو جائز .

هذا وللقدوة أثر كبير فى الاصلاح ، والافساد ، فإن كان المربى صادقًا وأمينًا نشأ الشخص على الصدق ، وإن كان كاذبًا خائنًا نشأ كذلك ، ولذلك بعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم ليكون للمسلمين على مدار التاريخ القدوة الصالحة قال تعالى :" لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا "(١) .

وقد أمر الله رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يقتدى بهدى الرسل السابقين له فقال تعالى :" أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده "(٢) .

وقال تعالى :" قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه "(٣) . فحين تكون القدوة أسوة حسنة؛ فإن تأثير التقليد ، والمحاكاة يكون تأثيرًا

---

(١) سورة الآحزاب : آية (٢١) .
(٢) سورة الأنعام : آية (٩٠) .
(٣) سورة الممتحنه : آية (٤) .

نافعاً ، وطريقاً ميسوراً لوصول المقتدين إلى مراتب الكمال ، ولذلك اهتمت التربية الربانية بالتوحيد للاقتداء بالأسوة الحسنة التى جعلها الله نماذج بشرية حية كاملة وهم أنبياء الله ورسله ، وهذا واضح من الآيات السابقة ، وحين تكون القدوة سيئة ؛ فإن تأثير التقليد ، والمحاكاة يكون تأثيراً ضاراً ، وطريقاً موصلاً للمقلدين إلى دركات النقص ،قال تعالى : " الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين"(١).

(١) سورة الزخرف : آية (٦٧) .

الفصل الرابع

المؤثرات الأجنبية الملحدة

- أسباب اتباع المؤثرات الأجنبية الملحدة .
- وسائل المضللين في نشر ضلالهم .
- موقف الإسلام من المؤثرات الأجنبية الملحدة .

كثير من الانحراف فى الاعتقاد يأتى عن طريق اتباع الدعاة المضلين من ذوي السلطان، والجبروت فى الأرض وغيرهم .

والملاحدة يبذلون أقصى طاقاتهم لتنفير النفوس عن التدين ، فمن طرقهم التى يسلكونها لذلك إلصاقهم بالدين أشياء لاتطابق الحكمة ؛ لأن غاية الملحد أن يطعن فى الدين بأى وسيلة ، ويصد عن سبيله بقلمه ، ولسانه ، ويده لكن قد لايكون الحال مناسباً لأن يفعل فى علانية فيلجأ إلى الحيل فيبالغ فى الدعوة إلى حرية الرأي فى الدين ليكون مطلق العنان فيقول ، ويكتب ماشاء من آراء يشوه بها الدين الإسلامى ، فمن ملك من هوءلاء الملحدين قوة استخدمها فى اضطهاد المستقيمين .(١)

أسباب اتباع المؤثرات الأجنبية الملحدة :-

يرجع ذلك إلى عدة أسباب أهمها :-

١ - الجهل :-

لاشك أن الجاهل ينساق وراء كل ناعق ، لعدم تمييزه بين الحق والباطل ، فهو يتبع كل ضال ، فيكفر بربه ، ويرد دعوته التى بعث بها رسله لهداية الناس ، ويصفها بالضلال ، كما أن الجاهل سهل التلقين فهو يأخذ الأفكار دون روية، ومن غير فهم لمعناها وأهدافها .

---

(١) انظر رسائل الإصلاح : ص ١٩.

٢ - التقليد الأعمى ، والتعصب الذميم :-

لاينكر ما لهذا السبب من تأثير فى اتباع دعاة الضلال ، فقد يعجب الشخص بالألفاظ المنمقة ، ويغتر بالشعارات المزخرفة ، والوسائل التى يستخدمها دعاة الضلال فينساق وراء ذلك من غير روية ، ولانظر ، وكذلك التعصب قد يكون دافعاً قوياً لاتباعهم . (١)

٣ - البيئة :-

وهي من أهم الأسباب فى اتباع المضلين ؛ لأنه قد ينشأ الشخص فى بيت خال من آداب الإسلام ، ومبادئه ، وأحكامه ، فلا يرى من يقوم بتربيته من نحو والد ، أو قريب على الاستقامة ، ولايتلقى عنه بطبعه على حب الدين ويجعله على بصيرة من أمره فأقل شبهة تحمّس ذهن ذلك الناشئ تنحدر به فى هاوية الضلال ، وأيضاً قد يتصل الفتى الضعيف الشخصية بملحد ، ويكون أقوى منه نفساً ، وأبرع لساناً ، فيسوقه ببراعته إلى الضلال فيفسد عليه أمر دينه فكل قرين بالمقارن يقتدى. (٢)

٤ - اتباع الشهوات :-

إن من طبائع البشر اتباع الشهوات والانطلاق فى تلبية الرغبات إذا تخلّف الوزاع الدينى فيصبح لايحافظ على عرض أحد فمتى ساعدته الفرصة عاث فى الأعراض، والأموال بل عاث فى الأرض فساداً غير متحرج من انتهاك تلك المفسدات ، فمن أسباب الالحاد إذاً أن تغلب الشهوات على نفس الشخص فتريه أن المصلحة فى إباحة المحرمات ، وأن تحريم الشارع لها خال من كل حكمة فيخرج من هذاالباب إلى الاباحية والجحود (٣) .

---

(١) ولذلك قال أتباع مسيلمة الكذاب :" كذاب ربيعه أحب إلينا من صادق مضر " (انظر البداية والنهاية : ٣٢٧/٦) .

(٢) انظر رسائل الإصلاح : ص ١٥ .

(٣) انظر رسائل الاصلاح : ص ١٦ .

ولقد استطاع الذين يحملون نفوساً مجرمة ، ومطامع استبدادية ، ورغبات تسلط وعدوان أن يجدوا في الشيوعية مناخاً ملائماً لهم ، وأفكاراً يتخذون منها قناعاً لتبرير جرائمهم ، وإفسادهم في الأرض .(١)

فدعاة الضلال قد يغرون أصحاب المطامع ، والشهوات بالأموال ، وحطام الدنيا إذا تابعوهم على باطلهم ، وضلالهم.(٢)

ويشير إلى ذلك قوله تعالى : " قال نوح : ربي إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً "(٣)

فإن هؤلاء الضالين اتبعوا سادلتهم وكبراءهم أصحاب الرئاسة ، والأموال على أمل الحصول على شيء من ذلك ، ولذلك أغرى فرعون قومه بالنواحي المادية حتى يستمروا على اتباعه ويشير إلى ذلك قوله تعالى مخبراً عنه : " ونادى فرعون في قومه قال: ياقوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون"(٤) .

٥ - الخديعة بمبادئ الملحدين ووسائلهم :-

إن أي مضلل بفكرة ما ، أومذهب فاسد ، أو طريقة باطلة لايستطيع التأثير في مجموعة الناس ، ولا يكون لآرائه مسار في الأفكار مالم يدسّ ضلالاته ضمن مجموعة من الأفكار الصحيحة ، وذلك ليغطي الباطل ، ويزخرف الأقوال ، والشعارات البراقة حتى لاينكشف باطله فالجماهير من الناس ترفض بمنطقها ماتراه باطلاً ، ولهذا يلجأ

---

(١) انظر الكيد الأحمر : ص ٣٠ .
(٢) انظر أصول الدعوة : د . عبدالكريم زيدان ، ٣٧٩ - ٣٨١.
(٣) سورة نوح : آية (٢١).
(٤) سورة الزخرف : آية (٥١) .

المضللون إلى حشد كبير من الأكاذيب ، والأغاليط التعميمية ، فكم يسقط أناس في شرك الدعاة المضلين بسبب حيلهم الخفيه وهم لايشعرون .

ويشهد لذلك ماصرح به اليهود في عدة قرارات ومن ذلك ماجاء في البروتوكول [(١)] التاسع من قولهم : (ولقد خدعنا الجيل الناشئ من الأمميين [(٢)] ، وجعلناه فاسداً متعفناً بما علمناه من مبادئ ونظريات معروف لدينا زيفها التام، ولكننا نحن أنفسنا الملقنون لها ، ولقد حصلنا على نتائج مفيدة خارقه من غير تعديل فعلي للقوانين السارية من قبل بل بتحريفها في بساطة وبوضع تفسيرات لم يقصد إليها مشترعوها) [(٣)] .

وأسلوب الخداع صرح به قادة الشيوعيين ومن ذلك قول لينين : (يجب على المناضل الشيوعي أن يتمرس بشتى ضروب الخداع ، والغش ، والتضليل فالكفاح من أجل الشيوعية يبارك كل وسيلة تحقق الشيوعية) . [(٤)]

وقد يصبغ المضللون حركاتهم السياسية بصيغة دينية حتى يكون لها تأثير قوي على أكثرية الأتباع .

---

(١) لفظ يطلق على الوثائق الرسمية ، أو الاتفاقات التي تقرر قواعد سياسية عامة، صيغتها موجزة غالباً ، تعقد الوثيقة السياسية بإجراء مفاوضات يجتمع لها مندوبو الدول المتعاقدة ، كما أنها تعقد بالمراسلة ، ومثل هذه الاتفاقات لاتكون طويلة الأجل ، بل نافذة لمدة معينة (انظر الموسوعة العربية الميسرة: ٣٥٧/١) .

(٢) الأمومية : يعنون بها غير اليهود .

(٣) الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون : ص ١٩٩ .

(٤) نقلاً عن الكيد الأحمر : ص ٤٠ .

٦ - الخـوف الشـديد :-

مـن بيده القـوة ، والمـال يستطيـع أن يرهـب الجمهـور من الناس ، ويخوفهم أن خرجوا عن الكفر الذى هم فيه ، فالخوف يثبط الهمم ويثنى العزائم عند الأكثرين طلباً للسلامة من الأذى.[1]

يشير إلى هذا قوله تعالى : " فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم وإن فرعون لعال فى الأرض وإنه لمن المسرفين"[2] .

ومما يشير إلى أثر الخوف فى منع الجمهور من الاستجابة للحق،قوله تعالى :"وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم ، وعصوا رسله ، واتبعوا أمر كل جبار عنيد"[3] .

ولهذا نجد قادة الشيوعيين[4] يؤكدون على أتباعهم باستعمال القوة ، والعنف للمخالفين لمبادئهم ومن ذلك قولهم : (إن من الواجب عليكم ألا تقفوا عند حدود فى إنزال أشد العقاب بالخونه)[5] .

٧ - قراءة مؤلفات الملحديـن :-

إن قراءة الناشئين كتب الالحاد ، والتى قد ملئت شبهات تحت ألفاظ منمقة سواء فيما يتعلق ببلغة القرآن ، أومصادر التشريع الإسلامى كرميها بالقصور،والتحجـر، والتشكيك فى حوادث التاريخ التى أخبرالقرآن عنها،والناشئ ليس لديه الحصانه الفكرية الكافية فتضعف نفسه أمام تلك المغريات فيدخل فى زمرتهم.[6]

---

(١) انظر أصول الدعوة : ص ٣٧٩.
(٢) سورة يونس : آية (٨٣).
(٣) سورة هود : آية (٥٩) .
(٤) ليست الشيوعية مذهباً اقتصادياً بحتاً ، وإن كان لها ولاشك مذهب اقتصادى محدد متميز، لكنها تصور شامل للكون والحياة و الإنسان ، وأمر الألوهية فهي مذهب اقتصـادى واجتماعي، وسياسي، وفكرى مترابط (انظر مذاهب فكرية معاصرة : ص ٢٥٩).
(٥) نقلاً عن الكيد الأحمر : ص ٤٥.
(٦) انظر رسائل الإصـلاح : ص ١٦.

وسائل المضللين فى نشر ضلالهم :-

استخدم المضللون جميع وسائل الغزو الفكرى وسلكوا لتحقيق ذلك ثلاث طرق :

الطريق الأول : التنصير[1] :-

ويقصد منه تحويل المسلمين عن عقيدتهم ، وعن مبادئهم الإسلامية ولو إلى الالحاد ، والكفر بكل دين ، وقد انتشرت ارساليات التنصير فى أغلب أنحاء العالم ، ففى آسيا نجد التنصير قائماً على أشده ، ففى الملايو[2] نجد أن أهلها اقتبسوا أشياء كثيرة من المنصرين ، كما انتشرت ارساليات التنصير فى الهند عقب ارسالية " جمعية لندن التبشيرية " ، وقد قرر مؤتمر التنصير الذى عقد فى " شيكاغو"[3] أن ينظر فى وسائل تعميم التنصير فى الهند ، ويرجع تاريخ ارساليات التنصير إلى الصين إلى سنة (١٨١٣م) ، وأما إفريقيا فقد دخلها التنصير منذ القرن الخامس عشر الميلادى.

ويصرح بعض المنصرين[4] : بأن الدين الإسلامى هو العقبة القائمة فى طريق تقدم

---

(١) ويسمى التبشير ، أو الارساليات وهو اسم يطلق على منظمات دينية تستهدف تعليم الدين المسيحى ، ونشره فى دولة ما أوخارجها ، كان تاريخ الكنيسة منذ البداية تاريخاً لتلك الارساليات التى قامت بنشر المسيحية فى أوروبا عبر آسيا الصغرى ، وعن طريق بلاد اليونان وروما ، وشهدت القرون الأخيره جهوداً عظيمة بذلها المنصرون فى معظم بلاد العالم (انظر الموسوعه العربية الميسرة : ١١٦/١).

(٢) شبه جزيرة بالطرف الجنوبى الشرقي لآسيا تطل على غربى،وجنوبى بحر الصين (انظر الموسوعة العربية الميسرة : ١٧٣٩/٢).

(٣) مدينة بشمال شرق ولاية الينوى الأمريكية ثانى مدينة بالولايات المتحدة بعد نيويورك من حيث الأهمية ، والاتساع ، وعدد السكان (انظر الموسوعة العربية الميسرة : ١١٠٧/٢)

(٤) هو أدوين بلس فى كتابه" ملخص تاريخ التبشير " (انظر أجنحة المكر الثلاثة : ص ٢٨ ومابعدها) .

التنصير في إفريقيا (١) .

وتنحصر أهداف التعليم عند المنصرين إلى استخدام العلم وسيلة لأغراضهم من جهة ، ولأغراض الدول الاستعمارية من جهة أخرى ، وبمقدار مايحقق التعليم لهم من تلك الأغراض يوجهون مناهجه وخططه الدراسية ، والكتب المصنفة له ، والوسائل المستخدمه فيه ، والعناصر التعليمية التي تمارسه وتشرف عليه .

وقد فتن بعض المسلمين مع الأسف بمظاهر العناية التعليمية ، والتربوية التي تقدمها المدارس الأجنبية للتلاميذ الذين يتعلمون فيها ، وفتنوا بما فيها من تعليم للتكلم باللغات الأجنبية فصاروا يتسابقون إلى دفع أولادهم إليها ، ويعيش أولئك الأولاد ضمن تلك المدارس غرباء في كل شيء ثم تلجئهم الضرورة إلى التكيف مع الواقع الذي يعيشون فيه ، وبعد فترة تصبح تلك الأمور التي أخذوها منهم جزءاً من حياتهم .

وقد عرف المنصرون ماللمرأة من تأثير على الأسرة ، وعلى المجتمع كله بوجه عام ، فوجهوا شطراً كبيراً من أعمالهم إليها ، فقد أسسوا مدارس للبنات على نسق المدارس التي للذكور ، ووجهوا العناية لفتح المدارس الداخلية؛ لأن فرصة التأثير فيها أكثر ، كما شجعوا التعليم المختلط. (٢)

---

(١) انظر أجنحة المكر الثلاثة : ص ٢٧ ومابعدها .

(٢) انظر أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي : د . صابر طعيمة : ص ١٧١ -١٩٤ ، وأساليب الغزو الفكري : د . علي محمد جريشه ومحمد شريف ، ص ٣٠-٣٥ ، وأجنحة المكر الثلاثة : ص ٦٣ - ٨٠ .

والتعليم الخليط : يقصد به جمع الجنسين في قاعة درس واحدة ، وتعليمهما معاً وهو منتشر في كثير من بلدان العالم بجميع مراحل التعليم ، وقد لاقى معارضة منذ بدء انتشاره قبل قرن (انظر الموسوعة العربية الميسرة : ١/٥٣٤) .

الطريق الثاني : الاستشـراق :

تطلق هذه الكلمة على الدراسات التى يقوم بها غير الشرقيين لعلوم الشرقيين ولغاتهم ، وأديانهم ، وتاريخهم ، وأوضاعهم الاجتماعية ونحو ذلك .

وقد بدأ الاستشراق حين دقت جيوش الفتح الإسلامى أبواب أوروبا ، فأخذت أوروبا الغارقة فى الجهل يومئذ تبحث عن أسباب نهضة المسلمين ، فأخذ بعض رجال الكنيسة الأوروبيين يدرسون علوم أولئك الفاتحين ولغاتهم وفى أعقاب الحروب الصليبية وضعت خطة لغزو المسلمين عن طريق التوسع فى الدراسات الاستشراقية لتكون تمهيداً للغزو الفكرى للمسلمين ، وأسست للاستشراق معاهد [1] ، وتألفت جمعيات منهم للتعاون فى الأعمال المتعلقة بالدراسات ، والعلوم الشرقية كنشر بعض المخطوطات العربية ، ووضع الفهارس الشاملة لبعض الكتب الإسلامية ، وقد أخذ فريق من المستشرقين يؤلف المؤلفات المتعلقة بالعلوم الإسلامية لخدمة أهداف الاستشراق الأساسية الرامية إلى تشويه الإسلام ، ووضع الشبهات ، وتوجيه الانتقادات إلى أحكام الشريعة متبعين فى ذلك الأخبار الساقطة ، والأقوال الضعيفة المردودة ، ويفسرون الظواهر تفسيراً مادياً ، وشرح النصوص القرآنية على أساس أن القرآن ليس من كلام الله ويشرحون الأحاديث النبوية على أساس أن محمداً عبقرياً [2] من الناس ، وليس برسول له معجزات تؤيد صدقه ، وتعليل الفتح الإسلامى بالرغبة الاستعمارية [3] البحتة ويلجئون إلى المغالطات عند مناقشة الموضوعات الإسلامية ، والتشكيك بصحة الأحاديث النبوية الصحيحة بتوجيه المطاعن إلى رواة الحديث .

---

(١) ومن تلك المدارس : ١ - المدرسة النصرانية وتنقسم إلى فرعين : أ) الكاثولكيه. ب) البروتستانتية . ٢ - المدرسة اليهودية . ٣ - المدرسة الالحادية العامة. ٤ - المدرسة الالحادية الشيوعية (انظر أجنحة المكر الثلاثة : ٨٥، ٨٦) .

(٢) العبقرى نسبة إلى عبقر موضع بالبادية كثير الجن يقال فى المثل : كأنهم جن عبقر (انظر لسان العرب : ٥٣٤/٤، مادة " عبقر ") .

(٣) الاستعمار بمعناه العام سيطرة شعب أو نفوذ على شعب آخر، وهو ليس بالحديث العهد ، فقد بلغ الاستعمار فى الامبراطوريات القديمة ذروته (انظر الموسوعة العربية الميسرة : ١٤٣/١) .

وقد رأى اليهود الاستشراق منفذاً مهمّاً من منافذ التسلل إلى البلاد التي يحلمون بالسيطرة عليها وفق طريقتهم .

وقد تأثر بالفعل كثير من الذين درسوا فى الجامعات الغربية من أبناء المسلمين بدراسات المستشرقين ، وانخدعوا بأساليبهم ،وأخذوا يرددون شبهاتهم ويعتبرونها حقائق علمية مسلماً بها ، ويضاف إلى ذلك انحرافهم فى السلوك خلال فترة التحصيل (١) .

الطريق الثالث : الاستعمار :

يعتبر التنصير ، والاستشراق تمهيداً للطريق الثالث وهو الاستعمار ، وهو الاستيلاء بالقوة بقصد الاستعباد ، والذل ، وعدم الحرية لمن وقع عليهم ، وتأثيره فى الانحراف الاعتقادى ، والسلوكي مشاهد بوضوح فى البلاد التى وقع عليها ، وتأثرها بأفكارهم ، وعاداتهم ، وتقاليدهم ، وحتى فى لغاتهم ، ويبقى ذلك التأثر ولوزال الاستعمار عنها (٢) .

والتضليل الفكرى من أهم وسائل دعاة الضلال لبث مفهوماتهم الفاسدة عن الدين ، والحياة ، والوجود كله ، وعن الأخلاق والسلوك ، ومن تلك الضلالات الفكرية التى تبثها الأجهزة التنصيرية ،والاستشراقيه ، والاستعمارية مايكون الغرض منه النفود إلى أسس العقائد والتشريعات الربانية واقتلاعها من عقول أبناء المسلمين بقصد تكوين جيل مرتد عن الإسلام ، ومن تلك التضليلات مايكون الغرض منه إيجاد فريق ممن يتحلون باسم الإسلام ، ويتعصبون له تعصباً شديداً ، لكن المفهومات التى يتمسكون بها على أنها جزء من الإسلام تكون فاسدة مدسوسة ليست من الإسلام فى شئ ، ويرافق ذلك تضليلات تعتمد على عنصر الاغراء المادى ، ومن أمثلة ذلك الأفكار الدعائية التى توهم المسلمين أن من شرط التقدم المادى ترك التمسك بقيم الإسلام ، ومبادئه على اعتبار أنها رجعية .

---

(١) انظر أخطار الغزو الفكرى على العالم الإسلامى : ص ٧٣-٨٩، وأساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامي : ص ١٨ - ٣٠، وأجنحة المكر الثلاثة : ص ٨٣ - ٩٨.

(٢) انظر أخطار الغزو الفكرى على العالم الإسلامى : ص ٥٠ - ٦٩ .

والحقول الفكرية التى دخلت كتائب الغزاة لبث تضليلاتهم الفكرية بين المسلمين كثيرة منها :-

١ - المدارس ، والمعاهد ، والكليات على اختلاف مستوياتها ، وتخصصاتها .
٢ - الأندية ، وقاعات المحاضرات ، وسائر مراكز التوجيه الثقافي الخاصة ، والعامة .
٣ - الجمعيات العلمية ، والثقافية ، والأدبية ونحو ذلك .
٤ - الكتب ، والمجلات ، والصحف الدورية .
٥ - وسائل الأعلام المختلفة .
٦ - الأحزاب ، والهيئات السياسية ، والاجتماعية .
٧ - المراكز الصحية على اختلاف مستوياتها .
٨ - المعامل ، والمؤسسات التجارية ، والصناعية ، والادارية ، وغير ذلك(١) .

موقف الإسلام من المؤثرات الأجنبية الملحدة :-

بعد أن استعرضنا مدى الفساد ، والانحراف الذى قام به دعاة الضلال ، ومدى الخطورة الناتجة عن أعمالهم أصبح الواجب تدارك الأمر قبل استفحاله ، والوقوف فى وجه الضلال بكل الوسائل القولية ، والفعلية على السواء ، كما أنه لابد من اتخاذ التدابير الوقائية ، والحصانة الفكرية القائمة على أساس العقيدة الإسلامية السليمة ، والإيمان الكامل ؛ لأن ضعف الإيمان خلل يستطيع منه أعداء الإسلام التسلل ، والنفوذ فالواجب على المسلم تجاه دعاة الضلال ، ومذاهبهم المنحرفة مايلى :

١ - الحذر من التأثر بالأقوال المزخرفة ، والحذر من قبول كل المذهب تأثراً بكثرة الصحيح فيه ، فربما دس فيه فكرة باطلة تبطله من أساسه .

---

(١) انظر أجنحة المكر الثلاثة : ص ١٦٤ - ١٦٨ ، وغزو فى الصميم : للميدانى : ص ١٤٩ - ١٩٠ .

٢ - التنبه للمغالطات التى تشتمل عليها الشبه المقدمة لإثبات تلك الفكرة الوافدة .
٣ - اليقظه التامة لدى فحص الأفكار ، ومناقشتها ، وتحليلها .
٤ - عدم قبول الأحكام التقريرية التى تقدمها المذاهب ، والنظريات على أنها حقائق علمية مسلمة ، وإن تسترت باسم العلم ، ومناهج البحث المنطقي [١] .
٥ - الحصانة الفكرية المبنية على العقيدة الصحيحة ، والإيمان الكامل ، وخاصة مع أولئك الذين يدرسون فى بلدان لاتدين بالإسلام ، ولاتعترف به ؛ فإن عامة الانحراف الفكرى يأتى من هذا الطريق فوجب الحذر قبل الوقوع فيه .
٦ - وجوب النظر ، والتحرى فى تلك الأفكار التى يدعيها أعداء الإسلام ، فما وافق الحق قبلناه وماخالفه تركناه ، روى البخارى بسنده عن أبى هريرة قال : كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانيه [٢] ، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لاتصدقوا أهل الكتاب ، ولاتكذبوهم" [٣] ، وهذا النهي إنما هو فى سؤالهم عما لانص فيه؛ لأن شرعنا مكتف بنفسه ، فإذا لم يوجد فيه نص ففى النظر، والاستدلال غنى عن سؤالهم. [٤]

وقد حذر الله من اتباع دعاة الضلال بقوله تعالى: " قال: قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولاتتبعان سبيل الذين لايعلمون" [٥] ، فهذا أمر لموسى ، وهارون عليهما السلام بالاستقامة على أمرهما والثبات عليه ، ونهي لهما عن سلوك طريقة من لايعلم بأن الله يجرى الأمور على ماتقتضيه عاجلاً ، وآجلاً . [٦]

---

(١) انظر الكيد الأحمر : ص ٣٤٣ ومابعدها .
(٢) لغة سامية من المجموعة الكنعانية (انظر الموسوعة العربية الميسرة : ١١٨٦/٢) .
(٣) صحيح البخارى: كتاب الاعتصام : باب قول النبى صلى الله عليه وسلم:" لاتسألوا أهل الكتاب"، ١٦٠/٨ .
(٤) انظر فتح البارى : ٣٣٤/١٣ .
(٥) سورة يونس : آية (٨٩) .
(٦) انظر فتح القدير : للشوكاني ، ٤٦٩/٢ .

وقال تعالى : " ولن ترضى عنك اليهود .ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل : إن هدى الله هو الهدى،ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولـــي ، ولا نصير "(١) .

فالمعنى : ليس غرضهم بما يقترحون أن يوءمنوا ، بل لو آتيتهم بكل مايسألون لـــم يرضوا عنك،وإنما يرضيهم ترك ما أنت عليه من الإسلام واتباعهم.(٢)

وهكذا دعاة الضلال فى كل عصر لايرضون بالحق بل يأتون بالتلبيســات، والمغالطات لإضلال الناس عن طريق الاستقامة .

وقد توعد الله اتباع الشيطان بأشد العقوبة فى عدة آيات منها :-
قوله تعالى : " لأملأن جهنم منك ، وممن تبعك منهم أجمعين"(٣)
ودعاة الضلال لايقفون عند حدود الرغبة بتكفير الموءمنين بل يدعونهم لاتباع سبيلهم مع تزييـــن تلك الدعوى الباطلة وإلى هذا يشير قوله تعالى : " وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعـــوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ، وماهم بحاملين من خطاياهم من شىء إنهم لكاذبون "(٤) .
وإلى جانب ذلك حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من اتباع دعاة الضلال فى أحاديث كثيرة منهـــا :-

١ - ماروى البخارى بسنده عن حذيفة بن اليمان يقول : كان الناس يسألون رسول الله صلـــى الله عليه وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى فقلت : يارسول الله إنا كنا فى جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شـــــر ؟

---

(١) سورة البقرة : آية (١٢٠) .
(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن : ٩٣/٢، ٩٤ ، والتفسير الكبير : ٣١/٤ ومابعدها .
(٣) سورة ص : آية (٨٥) .
(٤) سورة العنكبوت : آية (١٢).

قال : نعم ، قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم وفيه دخن ، قلت : وما دخنه ؟ قال : قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر، قلت ، فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم قذفوه فيها ، قلت : يارسول الله صفهم لنا قال : هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا ، قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعضّ على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك "(١) .

٢ - ماروى مسلم بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لاينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لاينقص ذلك من آثامهم شيئاً "(٢) .

٣ - ماروى الترمذي بسنده عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين "(٣) .

وغير ذلك من الأحاديث الدالة على ذم أهل الضلال ، والتحذير من اتباعهم . وقد قيض الله لهذه الأمة الإسلامية علماء أجلاء ردوا على أهل الضلال ، وفنّدوا أقوالهم كالإمام أحمد بن حنبل ، وعثمان بن سعيد الدارمي ، والإمام أبو الحسن الأشعري ، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وغيرهم .

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الفتن ، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ٨/٩٢، ٩٣ ، وانظره في سنن أبي داود :كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها ٤/٩٥، ٩٦.

(٢) صحيح مسلم: كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أوسيئة، أودعا إلى ضلالة ٨/٦٢، وانظره في سنن أبي داود : كتاب السنة، باب لزوم السنة ٤/٢٠١.

(٣) سنن الترمذي: كتاب الفتن ، باب ماجاء في الأئمة المضلين ٤/٥٠٤، وقال حديث حسن صحيح ، وانظره في سنن أبي داود : كتاب الفتن والملاحم، باب الفتن ودلائلها ٤/٩٧، ٩٨ وفي سنن ابن ماجه : كتاب الفتن ، باب ما يكون من الفتن ٢/١٣٠٤.

وفى العصر الحديث قامت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لمحاربة البدع، والضلالات الموجودة حينذاك فى شبه الجزيرة العربية حتى قضى على معالم الشرك. كما قام غيره أيضاً بمحاربة الفساد ، والضلال ، والالحاد [١].

وهناك اتجاهات إسلامية لمحاربة الانحراف ، والضلال ودعاتهما وتلك تبدأ من العقيدة على اعتبار أنها الأساس ،وقد كلف الله بها أكرم خلقه وهو الإنسان ، على أن الذين أقاموا مايسمى بالحضارات غير الإسلامية أخطأوا نقطة البدء بل أخطأوا مكان البناء نفسه فأقاموا بناء الحضارة من الآلة والمصنع ، ونظروا إلى أحط شىء فى الإنسان وهي غرائزه فكانت حضارتهم إشباعا لتلك الغرائز ، وإلى جانب الاهتمام بالعقيدة يجب الاهتمام بالأخلاق وهذا جانب يغفله كثير من المصلحين والدعاة مع أنه أمر له أهميته فى ميزان الإسلام ، ثم يأتى بعد ذلك جانب الشعائر، فإن صلتها بالعقيدة والأخلاق وثيقة ، ثم تأتى بعد ذلك بقية جوانب الحياة بالتدريج ابتداء من الفرد ثم الأسرة ، ثم المجتمع ، ولتنفيذ ذلك لابد من سلطة تحمى الحق ، وتقاوم الضلال ولابد أن تقوم على أمرين :

١ - إقامتها شريعة الله قولاً ، وعملاً ، واعتقاداً ، وتطبيقاً .

٢ - قيامها على رضا المسلمين بها .

ومع ذلك لابد من الجهاد لأهل الضلال بكل وسائله ، وأنواعه؛ لأن البشرية المعادية للدين فى العصر الحاضر لن تترك المسلمين ينفذون تلك الأمور فسوف تحاربهم حرب الإبادة بجميع وسائلها المادية ، والمعنوية بإفساد الأخلاق ، والانحراف عن الجادة ، فلابد من اتحاد كلمة المسلمين لمواجهة ذلك التيار الالحادى. [٢]

---

(١) انظر الفكر الإسلامى الحديث ، وصلته بالاستعمار الغربى د . محمد البهي، ص ٤٢١-٥٠٨، وجهود المفكرين المسلمين المحدثين فى مقاومة الالحاد :د.محمود عبدالحليم عثمان بكامل الكتاب .

(٢) انظر التطور والثبات فى حياة البشرية : لمحمد قطب، ص ٣٠٧ - ٣١٣، وأخطار الغزو الفكرى على العالم الإسلامى ، ص ٦٥ - ٧٠ ، وأساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى ص ١٨٧ - ٢٤٨ .

الفصل الخامس

اتباع الخرافات

تعريف الخرافة .

أسباب اتباع الخرافات .

موقف الإسلام من الخرافات .

سادت المجتمعات البدائية الأولى نظم دينية قامت على أساس من الخرافة والأساطير[1]، ولعبت دورها الفعال فى حياتها ، وأثرت تأثيراً كبيراً فى بنائها الاجتماعي والسياسـي ، والفكرى ، والاقتصادى مما أدى إلى ظهور تصرفات عند تلك الجماعات أصدق ماتوصف به أنها انعكاسات لمعتقداتهم الفاسدة ،ويتمثل ذلك عند الأمم البدائية عامة ، وعند أمم الشرق القديمة كقدماء المصريين ، والهنود ، والفرس ، والصين وغيرهم .

تعريف الخرافـة :-

لغة مأخوذة من الخرف وهو فساد العقل من الكِبر ، والأنثى : خَـرِفـة ، والخُرافة : هي الحديثالمستملح من الكذب ، وأصل هذه الكلمة تنسب إلى رجل اسمه خرافة اختطفته الجن ، ثم رجع إلى قومه فكان يحدث بأحاديث مما رأى يعجب منها الناس فكذبوه فجرى على ألسن الناس[2] .

واصطلاحاً :

هى الاعتقادات الباطلة ،والأوهام التى لا أساس لها من الصحة .
فالعقائد إن لم تكن مستوحاه من الله كانت أقرب إلى الخرافة منها إلى الحقيقة .

---

(١) الأساطير الأباطيل ، وهي الأحاديث التى لانظام لها (انظر لسان العرب : ٣٦٣/٤ مادة " سطر ") .
(٢) انظر لسان العرب : ٦٢/٩ - ٦٦ مادة " خرف " .

أسباب اتباع الخرافات :-

هناك أسباب كثيرة باعثة على اتباع الخرافات منها :-

١ - ضعف العقل :-

من أهم الأسباب الدافعة إلى ذلك ؛ لأن ضعيف العقل محل لقبول مايلقى إليه من أوهام وخرافات ، وأساطير وتصديقها ؛ ذلك لأن العقل السليم سياج متين مانع من نفوذ الخرافات إليه فإذا ضعف سهل نفوذها إلى ذلك الشخص، وانعكست آثارها على تصرفاته وسلوكه وهذا أمر يؤيده الواقع .

٢ - الجهل :-

وهو مرتع خصيب لتصديق الخرافات ؛ فإن الجاهل لايميز بين الأشياء ، بل هو فى الغالب يأخذها عن تقليد أعمى دون روية ، ولا نظر فهو محروم من مناقشة مايلقى إليه من أخبار ؛لأنه لايملك آلة المناقشة ، والتحرى والنظر فيضطر إلى تصديق كل مايسمعه ، ولهذا نجد الخرافات تكثر حيثما يكثر الجهل والتخلف ، ويدخل فى ذلك نشأة الخرافات من الخوف ، والتمويه .

٣ - التقليد الأعمى :-

وهو سبب جوهرى لتلقى الخرافات من السابقين دون مناقشة أونظر ويظهر ذلك واضحاً فى عبادة المشركين للأصنام ، والأوثان بحجة أنها دين آبائهم وأجدادهم ، قال تعالى مخبراً عنهم : " إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون"[1] .

---

(١) سورة الزخرف : آية (٢٣) .

٤ - ساعد على ذلك ظهور القصّاص ، والوعاظ :

وقد ظهر ذلك في عهد عثمان بن عفان ، وكره ذلك علي بن أبي طالب حتى أخرجهم من المساجد لما كانوا يضعونه في أذهان الناس من خرافات بعضها مأخوذة من الديانات السابقة بعد أن دخلها التحريف ، وربما كان هذا هو السبب في دخول كثير من الاسرائيليات في كتب التفسير ، والتاريخ (١) .

موقف الإسلام من الخرافات :-

لاشك أن الخرافات تنافى الشرع أولاً ، وتناقض العقل السليم ثانياً ؛ لأنها قائمة على الظن ، والتخمين ، والإسلام قائم على الحجة الواضحة ، والبرهان القاطع اللذان يتفقان مع العقل السليم ، فهو يطالب بالدليل فى حالتيْ : النفي ، والإثبات معاً قال تعالى : " وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين" (٢) .

وقد أبطل الإسلام كثيراً من الخرافات السائدة فى الجاهلية كالشرك ونحوه ، ولم يكتف بابطالها بل طالبهم بالحجة ، والبرهان على ذلك ، وبين لهم أن تلك الأمور مناقضة للعقل أيضاً،قال تعالى : "إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وماتهوى الأنفس " (٣)

---

(١) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية : لمحمد أبي زهرة ، ص ١٥ .
(٢) سورة البقرة : آية (١١١) .
(٣) سورة النجم : آية (٢٣) .

فبين تعالى أنها مجرد أسماء محضه لاتبصر ، ولاتسمع ، ولاتنفع ولاتضر فلماذا يعبدونها ؟
ثم بين أنه ليس لهم مستند إلا مجرد التخمين والتخرص بقوله تعالى: "إن يتبعون إلا الظن"
وأيضاً اتباع الأهواء ، والشهوات ، وتقليد الآباء تقليداً أعمى ، أوقع المشركين في عبادة
الأصنام والأوثان من دون الله .(١)

وقال تعالى : " ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له إلى يوم القيامة
وهم عن دعائهم غافلون ، وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء ، وكانوا بعبادتهم كافرين"(٢) .

فأبطل عبادة الأصنام والأوثان في هذه الآية بأربعة براهين هي :-

١ - نفي القدرة عن إجابة دعاء معبوديها من دون الله،لقوله تعالى: " من لايستجيب له
إلى يوم القيامة " .

٢ - الغفله وعدم الشعور بدعاء عابديهم،لأنهم إما جمادات ، أو أموات ، أو ملائكه
مشغولون بعبادة ربهم لقوله تعالى : " وهم عن دعائهم غافلون " .

٣ - إظهار العداوة لهم يوم القيامة، والتبرئ منهم وذلك بأن يحي الله الأصنام يوم القيامه
على قول الأكثرين .

وقال بعضهم : بل المراد عباد الملائكة ، وعيسى بن مريم .

ويدل على ذلك البرهان قوله تعالى : " وإذا حشر الناس كانوالهم أعداء" .

٤ - جحد الآلهه المعبودة من دون الله يوم القيامة لعبادة عابديها لقوله تعالى: " وكانوا
بعبادتهم كافرين " .

فالقول بعبادة الآلهة من دون الله باطل من حيث إنها لاقدرة لها البته على الخلق ،
والإيجاد من العدم ، وعدم النفع ، والضر ، فالبرهان الأول يدل على نفي العلم من
كل الوجوه عن الآلهة المعبودة من دون الله ، وإذا انتفى العلم والقدرة عنها لم تبق
عبادة معلومة من دون الله ببديهة العقل .(٣)

---

(١) انظر التفسير الكبير : ٢٩٨/٢٨ - ٣٠٣ ، وفتح القدير : ١٠٨/٥ - ١١١ .
(٢) سورة الأحقاف : آيتا (٥ ، ٦) .
(٣) انظر التفسير الكبير : ٥/٢٨ - ٧ .

الفصل السادس

المبالغة والغلو في الدين وفي تقديس العظماء من الناس

- تعريف الغلو .
- أسباب الغلو .
- موقف الإسلام من الغلو .
- أنواع التخفيف فى الشريعة الإسلامية .

الغلو من أهم أسباب الانحراف فى الاعتقاد ، فقد يظهر فى كل أمة أفذاذ منها يبلغون درجة كبيرة فى التقوى ، والاستقامة ، أو فى العلم وغير ذلك ، وقد يكتب الله على أيديهم الظفر ، والنصر ، والنجاح والتوفيق وما إلى ذلك من رغائب مما يكون له الأثر البالغ فى تعظيم الناس لهم ، وتمجيدهم ، ولكن قد يبالغ بعضهم فى ذلك حتى يصل تقديسهم لهم إلى درجة عبادتهم من دون الله فيعتقدون فيهم الألوهية ، وينحرفون بسبب ذلك عن منهج التفكير السليم .(١)

ومن الذين ضلوا بهذا السبب معظم الوثنيين ، وعباد الأصنام الذين اتخذوهم آلهة من دون الله ، بل إن الغلو فى الصالحين كان هو السبب المباشر فى حدوث الشرك الأكبر فى الأرض كما حدث فى قوم نوح ، كما أن من البشر من ألّه الذوات البشرية كما فعل النصارى فى عيسى ، واليهود فى عزير .(٢)

تعريف الغلـو :-

لغة : أصل الغلاء الارتفاع ، ومجاوزة القدر فى كل شئ ، وغَلَوت فى الأمر غلوًّا ، وغَلَانِيَة وغَلَانِيا إذا جاوز فيه الحد ، وأفرط فيه ، والغلو فى الدين التشدد فيه، ومجاوزة الحد . وقيل معناه : البحث عن بواطن الأشياء، والكشف عن عللها ، وغوامض متعبداتها (٣) .

واصطلاحا :- هو الزيادة على الحدالمشروع .(٤)

---

(١) انظر العقيدة الإسلامية ، وأسسها للميدانى : ص ٦٨٦ ، ٦٨٧ .

(٢) حيث قال النصارى المسيح ابن الله ، واليهود عزيرين الله ، ويدل على ذلك قوله تعالى : "وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله " (سورة التوبة : آية (٣٠) .

(٣) انظر لسان العرب: ١٥/١٣١- ١٣٤ مادة " غلا" ، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن : ٣٧٧.

(٤) انظر اقتضاء الصراط المستقيم : لابن تيمية ، ص ١٠٥.

وعرف : بأنــه الافراط[1] فى التعظيم بالقول ، والاعتقاد . [2]

---

(١) الافراط يستعمل فى تجاوز الحد من جانب الزيادة والكمال ، والتفريط : يستعمــل فى تجاوز الحد من جانب النقصان والتقصير (انظر التعريفات : ص ٣٣) .

(٢) انظر فتح المجيد : ص ٢١٨.

أسـباب الغلـو :-

للغلو أسباب كثيرة منها هنا مايلى :-

١ - ضعـف العقـل :-

وهو دافع قوى للغلو ، ويبرز ذلك واضحاً فى حال عباد الأصنام ، والأوثـان ، والذوات البشرية ؛ فإن العقول البشرية السوية تأبى أن تعبد صنماً ، أو حجـراً ، أو شجراً ، أو ذاتاً بشرية لا تدفع الضر ، ولاتجلب النفع لنفسها لكونها عاجزة عـن ذلك ، وفاقد الشيء لايعطيه ، ومادامت عاجزة عن ذلك فهي لاتصلح للألوهيـة ؛ لأنها مفتقرة إلى موجد وهو الله تعالى .

٢ - الجهـل :-

وهو السبب الثانى الدافع للغلو ويظهر ذلك واضحاً لدى أتباع كثير مـن اعتقادات الشيعة ، وأهل التصوف وغيرهـم .

ويشمل ذلك القول فى الدين بلا علم ، والجهل بالسنة ، وعدم التمييز بيـن الأحاديث الصحيحة وغيرها ، والجهل بقواعد الحديث التى يتم على أساسها الحكـم عليه بالقبول ، أو الـرد .

وكان من أثر الوضع فى الحديث تفرق المسلمين إلى شيعة ، وخوارج وغـيرها من الفرق الضالـة .

ويتبع ذلك أيضاً الجهل بمكانة السنة الصحيحة من التشريع فهي الأصل الثانـي بعد القرآن الكريم ، ولهذا انقسم المبتدعة فى موقفهم من السنة كأساس تشريعى إلـى قسمين :-

أ - قسم أنكر أخبار الآحـاد .

ب - قسم أنكر ماعدا القرآن جملةً ، وتفصيلاً . (١)

٣ - تقديم العقل على النص الصحيح الصريح :-

من أظهر المواقف الشائعة عند الفرق الضالة - وخاصة المعتزلة - فيما يتصل بهذا السبب انكار مايثبت بالنص صريحاً ، وواضحاً تحت زعم موافقة العقل ، والسير تبعاً لما يقتضيه ، مما يترتب على ذلك انكار كثير من الأمور القطعية كانكار أسماء الله، وصفاته ، وانكار الجن ، ومايتعلق باليوم الآخر من جزئيات ، فكان موقفهم من النصوص الصحيحة إما التأويل ، أو التحريف إخضاعاً لها للمعقول فى زعمهم ، فهم بهذا كأنهم ألهوا العقل وجعلوه أساسياً للتشريع .

٤ - التعصب ، والتقليد الأعمى :

وهذا السبب جعل الشيعة يغلون فى آل بيت النبى حتى أخرجوهم من دائرة البشرية ، مما أدى بهم تبعاً لذلك إلى التعرض لأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بالسب ، والشتم ، والوقيعة فيهم ، فهم جمعوا بين الافراط ، والتفريط .

٥ - اتباع الأهواء ، والشهوات :

إن كثيراً من الفرق الضالة أدت بهم الأهواء إلى الغلو فى الدين كما هو ملاحظ بوضوح عند الخوارج ، والشيعة وغيرهم ، ولا شك أن الشهوات ،والشبهات من أكبر الأبواب التى ينفذ الشيطان منها .

---

(١) انظر البدعة تحديدها ، وموقف الإسلام منها : د . عزت عطيه ، ص ٢٥٧ .

٦ - الأخذ بجانب من النصوص ، وترك الجانب الآخر :

وهذا واضح فى مذهب الخوارج والمعتزلة ، والمرجئة فى حكم مرتكب الكبيرة التى دون الشرك حيث أخذ المعتزلة ، والخوارج بنصوص الوعيد ، وأهملوا نصوص الوعد ، والمرجئة عكسوا الأمر تماماً فأخذوا بنصوص الوعد ، وأهملوا نصوص الوعيد .

موقف الإسلام من الغلـو :-

دين الله بين الغالي والجافي ، وهو وسط بين الافراط ، والتفريط ، لذا نهـى الإسلام عن الغلو فى الدين بوجه عام ، وحذر من مشابهة اليهود والنصارى فى ذلـك ، قال تعالى : " يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ، ولاتقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولاتقولوا : ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد"(١) الآية .

وقال تعالى:"قل ياأهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم غير الحق ، ولاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيراً ، وضلوا عن سواء السبيل " (٢) .

والنصارى أكثر غلواً فى الاعتقادات ، والأعمال من سائر الطوائف. (٣)

وقد ابتدعوا الرهبانية فما رعوها حق رعايتها قال تعالى :" ورهبانية ابتدعوها ماكتبناهـا عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها"(٤) .

وقد ذكر الرازى : أن مذهب النصارى مجهول جداً ، والذى يتحصل منهم : أنهم أثبتـوا ذاتاً موصومة بصفات ثلاثة ، إلا أنهم وإن سموها صفات فهي فى الحقيقة ذوات بدليل أنهـم يجوزون عليها الحلول فى عيسى بن مريم. (٥)

وذكر القرطبى : أن النصارى كانوا على دين الإسلام إحدى وثمانين سنة بعد مارفع عيسـى يصلون إلى القبلة ، ويصومون شهر رمضان حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب ، وكان فيهـم بولس فغير ديانتهم. (٦)

---

(١) سورة النساء : آية (١٧١) .
(٢) سورة المائدة : آية (٧٧) .
(٣) انظر اقتضاء الصراط المستقيم : ص ١٠٥ .
(٤) سورة الحديد : آية (٢٧) .
(٥) انظر التفسير الكبير : ١١٦/١١ .
(٦) انظر الجامع لأحكام القرآن : ٢٤/٦ .

هذا وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن اطرائه والمبالغة فى مدحه زيادة على الحد المشروع ، لما روى البخارى بسنده عن ابن عباس أنه سمع عمر يقول على المنبر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " لا تطرونى [١] كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ، ورسوله " [٢] .

كما حذر صلى الله عليه وسلم أمته عن الغلو فى الدين؛ لأنه سبب للوقوع فى الشرك، والخروج من الدين بالكلية ، روى النسائى بسنده عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ": إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو فى الدين " [٣] .

كما نهى عن التشدد فى الدين؛ لأن ذلك خروج عن حد الاعتدال ، والاستقامة روى أبو داود بسنده عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : " لاتشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم فى الصوامع [٤] ، والديار [٥] رهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم" [٦] .

وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة قال : " نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال [٧] فى الصوم ، فقال له رجل من المسلمين: إنك تواصل يارسول الله قال : وأيكم مثلى

(١) هو مجاوزة الحد فى المدح والكذب فيه (انظر لسان العرب: ١٥/٦ مادة"طرأ") .
(٢) صحيح البخارى :كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قوله تعالى :"واذكر فى الكتاب مريم" ٤/١٤٢ .
(٣) سنن النسائى : كتاب المناسك ، باب التقاط الحصى ٥/٢٦٨ ، وانظره فى سنن ابن ماجه كتاب المناسك ، باب قدر حصى الرمى ٢/١٠٠٨ .
قال الألبانى :"حديث صحيح " (انظر صحيح الجامع: ٢/٣٨٥) .
(٤) هى منار الراهب، وسميت لتلطيف أعلاها (انظر لسان العرب: ٨/٢٠٨ ، مادة"صمع") .
(٥) هي خان النصارى قاله ابن سيده (انظر لسان العرب: ٤/٣٠٠ ، ٣٠١ مادة"دير") .
(٦) سنن أبى داود : كتاب الأدب ، باب فى الحسد ٤/٢٧٧ ، وذكر الهيثمي أنه رواه الطبرانى فى الأوسط ، والكبير ، وفيه عبدالله بن صالح كاتب الليث وثقه جماعة وضعفه آخرون (انظر مجمع الزوائد : ٢/٦٢) .
(٧) هو عدم الإفطار فى الصوم أياماً تباعاً (انظر لسان العرب : ١١/٧٢٧ ، ٧٢٨ مادة " وصل ") .

إني أبيت يطعمني ربي ويسقين ، فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال ، واصل بهم يوماً ، ثم يوماً ، ثم رأوا الهلال فقال : لوتأخر لزدتكم كالتنكيل لهم حين أبوا أن ينتهوا"(١) .

وروى البخاري-أيضاً-بسنده عن أنس بن مالك قال : " دخل النبي صلى الله عليه وسلم فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال : " ماهذا الحبل؟ قالوا : لزينب، فإذا فترت تعلقت ، فقال : النبي صلى الله عليه وسلم : لاحلّوه ، ليصل أحدكم نشاطه ، فإذا فتر فليقعد"(٢) .

وروى البخاري-أيضاً-بسنده عن عائشة قالت : " كانت عندي امرأة من بني أسد ، فدخل علي رسول الله فقال : من هذه ؟ قلت : فلانه لاتنام الليل - تذكر من صلاتها - فقال : مه عليكم ماتطيقون من الأعمال ، فإن الله لايمل حتى تملوا"(٣) .

وروى البخاري - أيضاً - بسنده عن أنس بن مالك قال : " جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا : وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قد غفر له ماتقدم من ذنبه ، وماتأخر ، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ، ولا أفطر، وقال آخر : أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً فجاء رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم لكني أصوم ، وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني"(٤) .

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الصوم : باب التنكيل لمن أكثر الوصال ، ٢٤٢/٢، ٢٤٣ .
(٢) صحيح البخاري : كتاب التهجد ،باب مايكره من التشديد في العبادة ، ٤٨/٢ .
(٣) صحيح البخاري : كتاب الإيمان ، باب أحب الدين إلى الله أدومه ، ١٦/١ .
(٤) صحيح البخاري : كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح ١١٦/٦ .

والتشدد في الدين يكون بالزيادة على الحد المشروع ، فتارة يكون باتخاذ ماليس بواجب ولا مستحب بمنزلتهما في العبادات ، وتارة باتخاذ ماليس بمحرم ، ولامكروه بمنزلة المحرم ، والمكروه في الطيبات ، فالذين شددوا على أنفسهم من النصارى شدد الله عليهم لذلك حتى آل الأمر بهم إلى ماهم عليه من الرهبانية ، وفي هذا نهي من النبي صلى الله عليه وسلم لمثل ماعليه النصارى من الرهبانية ، وإن كان كثير من عباد الصوفية المنتسبين إلى الإسلام وقعوا في ذلك متأولين وغير متأولين ، على أن التشديد على النفس ابتداء يكون سبباً لتشديد آخر يفعله الله إما بشرع ، وإما بقدر :-

أ - فأما مايكون بالشرع : فمثل ماكان النبي صلى الله عليه وسلم يخافه في زمانه من زيادة إيجاب ، أو تحريم كنحو ماخافه لما اجتمعوا لصلاة التراويح معه ، وما كانوا يسألونه عن أشياء لم تحرم .

ب - أما مايكون بالقدر : فكثير ماشوهد من كان يتنطع في أشياء فيبتلى بأسباب تشدد الأمور عليه في الإيجاب ، والتحريم مثل : كثير من الموسوسين في الطهارات إذا زادوا على الحد المشروع أبتلوا بأسباب توجب حقيقة عليهم أشياء فيها عظيم مشقة ، ومضرة[1].

وفي المقابل أمر الإسلام بالتخفيف ، والتيسير على الناس والأدلة على ذلك كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر :-

أ - <u>من القرآن :-</u>

قوله تعالى : " يريد الله أن يخفف عنكم ، وخلق الإنسان ضعيفاً "[2] .

وقوله تعالى : " يريد الله بكم اليسر ، ولايريد بكم العسر "[3] .

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم : ص ١٠٢ .

(٢) سورة النساء : آية (٢٨) .

(٣) سورة البقرة : آية (١٨٥) .

وقوله تعالى : " هو اجتباكم وماجعل عليكم فى الدين من حرج "(١) .

وقوله تعالى : " مايريد الله ليجعل عليكم من حرج "(٢) .

ب - من السنة :-

ماروى البخارى بسنده عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إن الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا ، وقاربوا ، واستعينوا بالغدوة والروحة، وشيء من الدلجة "(٣) .

والمعنى : لايتعمق أحد فى الأعمال الدينية ، ويترك الرفق إلا عجز، وانقطع فيغلب، وليس المراد منع طلب الأكمل فى العبادة ، بل منع الافراط والمبالغة فى التطوع المؤدية إلى ترك الأفضل .(٤)

وماروى البخارى بسنده عن أبى بردة عن أبيه عن جده قال : " لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاذ بن جبل قال لهما : يسرا ، ولاتعسرا ، وبشرا ، ولاتنفرا وتطاوعا .... الحديث"(٥) .

وماروى البخارى - أيضاً - بسنده عن عائشة أنها قالت : ماخير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ أيسرهما مالم يكن إثماً فإن كان إثما كان أبعد الناس عنه.. الحديث"(٦)

---

(١) سورة الحج : آية (٧٨) .

(٢) سورة المائدة : آية (٦) .

(٣) صحيح البخارى: كتاب الإيمان ،باب الدين يسر ١/١٥.
والدلجة : سير السحر، وقيل: سير الليل كله(انظر لسان العرب : ٢٧٢/٢ ومابعدها مادة " دلج ") .

(٤) انظر فتح البارى : ٩٤/١.

(٥) صحيح البخارى : كتاب الأدب ،باب قول النبى صلى الله عليه وسلم :" يسرا ولاتعسرا" ١٠١/٧.

(٦) صحيح البخارى : كتاب الأدب ، باب قول النبى " يسرا ، ولاتعسرا" ١٠١/٧.

وروى البخارى - أيضاً - بسنده عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمرهم أمرهم من الأعمال بما يطيقون قالوا: إنا لسنا كهيئتك يارسول الله إن الله قد غفر لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر فيغضب حتى يعرف الغضب فى وجهه ثم يقول : إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا "(١) .

أنواع التخفيف في الشريعة الإسلامية :-

يمكن تقسيم التخفيف فى الشريعة الإسلامية إلى قسمين :-

١ - ماخفف عن هذه الأمة المحمدية مما كلفت به الأمم السابقة :-

امتن الله على هذه الأمة المحمدية بأن وضع عنها الإصر ، والأغلال التى كانت على من قبلها من الأمم يقول تعالى فى وصف نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في كلامه عز وجل مع قوم موسى : "ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم ، والأغلال التى كانت عليهم"(٢) .

فالإصر : هو العهد الثقيل الذى فى تحمله مشقة ، والأغلال : هي الشدائد التى كانت فى عبادتهم ، والمراد ما أخذه الله على بنى إسرائيل من إقامة التوراة والعمل بما فيها من الأعمال الشديدة ، والتكاليف الشاقة كما قرره الطبرى ، وغيره من المفسرين . (٣)

ومن أمثلة الآصار ، والأغلال التى كانت على الأمم السابقة : قطع موضع النجاسة من الثوب ، أو منه ومن البدن ، وإحراق الغنائم ، وتحريم السبت ، وقطع الأعضاء

---

(١) صحيح البخارى : كتاب الإيمان ، باب أنا أعلمكم بالله ١/١٠ .

(٢) سورة الأعراف : آية (١٥٧) .

(٣) انظر تفسير الطبرى: ٦٨/١١ . لكن ابن تيمية يرى أن الآصار : هي الايجابات الشديدة والأغلال: التحريمات الشديدة، فإن الاصر : هو الثقل والشدة وهذا شأن ماوجب والغل: يمنع المغلول من الانطلاق وهذا شأن المحظور(انظر اقتضاء الصراط المستقيم : ص ١٠٣) .

الخاطئة ، وقتل أنفسهم علامة على التوبة وغير ذلك. [١]

٢ - أما التخفيف فى الشريعة المحمدية فيمكن تقسيمه إلى قسمين :-

أ - تخفيف في مجال الأحكام الأصلية :

الملاحظ هنا أن التخفيف ، والتيسير يتضح من حيث إن الشارع لم يجعل المطلوب ركناً ، أوشرطاً ، أو مطلوباً طلباً جازماً كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صلاة التراويح حيث قال فى الليلة الرابعة" أما بعد فإنه لم يخف على مكانكم ولكنى خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمر على ذلك [٢] " .

وقديكون جانب التخفيف بأن تكون الطاعة متمشية مع نفسية الشخص وجلب السرور لها ، فيأتى المكلف بالمطلوب الشرعي منشرح الصدر ، ويتضح ذلك جلياً فى الجمعة ، والعيدين ومايطلب فيهما من تجمل ، وتطيب ؛ فإن التجمل فى الاجتماعات الكبيرة من طبائع النفوس . [٣]

ب - تخفيف في مجال الأحكام الطارئة :

والتخفيف هنا لعارض من سفر ، أو مرض ونحوهما ويتضح ذلك فيما يلي :-

١ - تخفيف إسقاط:

كإسقاط الجمعة ، والحج ، والعمرة ، والجهاد للأعذار المسقطة لذلك.

---

(١) انظر رفع الحرج فى الشريعة الإسلامية : ص ١٦٠.
(٢) صحيح البخارى : كتاب التراويح ، باب فضل من قام رمضان ٢/ ٢٥٢.
(٣) انظر رفع الحرج فى الشريعة الإسلامية : ص ١٦٤.

٢ - تخفيف تنقيص :

وذلك كقصر الرباعية إلى ركعتين فى السفر.

٣ - تخفيف ابدال :

كابدال الوضوء ، والغسل بالتيمم ، والقيام فى الصلاة بالقعود ، والاضطجاع والايماء ، والصيام بالاطعام .

٤ - تخفيف تقديم :

كجمع التقديم فى الظهرين ، والعشاءين ، وتقديم الزكاة على الحول .

٥ - تخفيف تأخير :

كجمع التأخير ، وتأخير الصلاة فى حق من اشتغل بانقاذ غريق ونحوه .

٦ - تخفيف ترخيص :

كصلاة المستجمر مع بقية أثر النجو الذى لايزول إلا بالماء ، والتلفظ بالكفر عند الإكراه ونحوذلك .

٧ - تخفيف تغيير :

كتغيير نظم صلاة الخوف .[1]

---

(١) انظر قواعد الأحكام : للعز بن عبدالسلام ، ٢/٦ ، ٧ ، والأشباه والنظائر : للسيوطى ، ص ٩٠ ، ٩١ ، ورفع الحرج فى الشريعة الإسلامية : ص ١٦٤ ، ١٦٥ .

الفصل السابع

اتباع الشهوات والأهواء والشبهات

- تعريف الشهوات . والأهواء .
- " الشبهات .
- أسباب اتباع الشهوات . والأهواء .
- " " الشبهات .
- حكم الإسلام في اتباع الشهوات والأهواء .
- " " " " " الشبهات .

اتباع الشهوات ، والشبهات من أهم أسباب الانحراف فى الاعتقاد ؛ فإن صاحب الشهوة ، والشبهة يتبع نفسه هواها فيسعى وراء مطمع دنيوى ، أوغرض شخصي ، أومال ، أو منصب فيقدم ما اشتهته نفسه على ماشرعه الله ، ويعرض عن الشرع إما تأويلاً للحكم الشرعى ، أو أغضاء عنه ، وعن اتباعه .(١)

والشبه كثيراً ما تعرض للعقل ، وقد كانت الشبهات تعرض للصحابة ويحدثون بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهديهم إلى الطريق المستقيم ، روى البخارى بسنده عن أنس بن مالك يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا : هذا الله خالق كل شئ فمن خلق الله ؟ "(٢) .

التعريف :-

أ - تعريف الشهوات ، والأهواء :-

لغة :-

الشهوات جمع شهوة يقال : شَهِيت الشئ ، وشَهِيه ، وتَشَهَّاه : أحبه ورغب فيه .(٣)
وأما الهوى : فيقال : هَوَى بالفتح ، يَهْوِى ، هَوْيًا ، وهَوَيانًا ، وانْهَوَى : سقط من فوق إلى أسفل ، ويقال : أهْوَيته إذا ألقيته من فوق .
والهوى : مقصور هوى النفس ، وإذا أضفته إليك قلت : هواى ، وهوى النفس إرادتها ، والجمع الأهواء .

---

(١) انظر أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم : لمحمد العبد ، وطارق عبدالحكيم، ص ٥١ .
(٢) صحيح البخارى: كتاب الاعتصام ، باب مايكره من كثرة السؤال ١٤٣/٨، ١٤٤ .
(٣) انظر لسان العرب : ٤٤٥/١٤ مادة " شها " .

قال اللغويون : الهوى محبة الإنسان الشيء ، وغلبته على قلبه .(١)

فمادة " هوى " وردت بمعنيين أصليين يتفرع عنهما معان أخر :-

أولهما : " هوى " منكر يعنى : السقوط من فوق ، ومنه قال تعالى : " والنجم إذا هوى "(٢) .

ثانيهما : الهوى مقصور " بتعريف الألف، واللام " يعنى : ميل النفس إلى الشيء محبة ، ورغبة وإرادة ، ومنه قوله تعالى :" أرأيت من اتخذ إلهه هواه"(٣) .

وعرف الهوى ، والشهوة اصطلاحاً : بأنهما عبارة عن ميلان النفس إلى نيل شهوة أو اتباع شبهة توافق الطبع ، من غير اعتبار لجانب الشرع.(٤)

ب - تعريف الشبهات :

لغة :

الشبه ، والشَّبَه ، والشِّبْه : المثيل ، والمُشْتَبِهَات من الأمور : المشكلات، والمُتَشابِهَات: المتماثلات ، والشُّبْهة : الالتباس.(٥)

واصطلاحاً : قيل : هى مالم يتيقن كونه حراماً أو حلالاً .(٦)

وعرفها الغزالى بقوله : (وإنما الشبهة نعنى بها مااشتبه علينا أمره بأن تعارض لنا فيه اعتقادان صدرا عن سببين مقتضيين للاعتقادين)(٧) .

التعريف المختار: أن الشُّبهة - بالضم - فهم غير جلي لحكم شرعي ونحوه.(٨)

---

(١) انظر لسان العرب : ١٥/٣٧٠ - ٣٧٥ مادة " هوا" .
(٢) سورة النجم : آية (١) .
(٣) سورة الفرقان : آية (٤٣) .
(٤) انظر ذم الهوى: لابن الجوزى، ص ١٢، والتعريفات : ص ١٣٥، ٢٧٨، وأسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم : ص ٥.
(٥) انظر لسان العرب: ١٣/٥٠٣ - ٥٠٦ مادة " شبه " .
(٦) انظر التعريفات : ص ١٣٩.
(٧) احياء علوم الدين : ٢/٩٩.
(٨) وهذا التعريف يؤديه المعنى اللغوى؛ لأن الشبهة هي : الالتباس فالمتشابه يرجع إلى عدم وضوح اللفظ بخلاف المحكم .

أسباب اتباع الشهوات ،والأهواء :-

هناك عدة أسباب لاتباع الشهوات ،والأهواء تذكر أهمها هنا :-

١ - **ضعف العقل :-**

قد يندفع المرء وراء شهواته ، وملذاته بلا حدود ، ولا قيود بسبب ضعف عقله ، لأن الإنسان إما أن يغلب عقله على شهواته ، وأهوائه فهذا أعلى منزلة ، وإما أن يتساويا ولابد من مرجح لذلك ، وإما أن تغلب شهواته وأهواؤه على عقله فهذا ينزل إلى أحط دركة من الحيوان ؛لأنه ليس همه فى الحياة إلا اشباع تلك الشهوات ، والأهواء .

والعقل هو الميزان الذى يميز الإنسان بوساطته بين النافع ، والضار ، والخير والشر .

٢ - **الجهل :-**

وهو عامل قوى للإنسان بحيث يجعله يتبع شهواته ، وملذاته دون حدود ، ولا قيود لعدم تفكيره فى العواقب ، ومن هنا نجد أن الأمم التى يكثر فيها الجهل تكون غارقة فى شهواتها ، وملذاتها .

والجهل من أسباب التفرق الذى حذرنا الله منه عندما ذكر صفة أهل الكتاب وبين أن سبب العداوة بينهم هو نسيان العلم بقوله تعالى :"فنسوا حظاً مما ذكروا به[1]".
وقد نبه شيخ الإسلام ابن تيمية إلى بعض أنواع الجهل الذى ينشأ عنه الاختلاف والضلال بقوله : (ويكون سببه تارة جهل المختلفين بحقيقة الأمر الذى يتنازعان فيه ،أو الجهل بالدليل الذى يرشد به أحدهما الآخر ، أو جهل أحدهما بما مع الآخر من الحق فى الحكم أو فى الدليل)[2].

---

(١) سورة المائدة : اية (١٤) .
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم : ص ٣٤ .

٣ - **التقليد الأعمى ، والتعصب الذميم :-**

وهذا هو الذى مال بأكثر المتأخرين من عوام المبتدعة إذا اتفق أن ينحاز إلى شيخ جاهل فيراه يعمل عملاً فيظنه عباده فيقتدى به فيه سواء كان موافقاً للشـرع ، أو مخالفاً له ، ويجعله حجة على من يرشده إلى الاستقامة فيقول : كان الشيخ فلان من الأولياء يعمل كذا وهو أولى أن يقتدى به فيه .(١)

وأما التعصب الذميم فيجرّ إلى تلفيق الأدلة من أجل تأييد مذهب فاسد أوفكرة خاطئة تميل النفس إليها ، وهذا مشاهد بوضوح عند أصحاب الفرق الضالة المنحرفة ، والمبادىء الهدامـة .

فمنشأ الهوى فى النفس : دافع خفي باطن يسبق الدليل ، ويدفع العقـل إلى اتخاذ خط معين فى الاحتجاج بالأدلة موجهًا إياها لخدمة غرض ذلك الشخص، وهواه ، ولما كان دافعه أمر باطنى فلا يستدل عليه إلا بدليل خارجى كأن يعرض على من يظن بهالهوى الأدلة الدالة على فساد مذهبه فإن أصر على ماهو عليه، وأخذ فى المراوغة ، والتأويل فهو صاحب هوى(٢) .

فأهل البدع يسمون بأهل الأهواء؛ لأنهم اتبعوها فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها بل قدموا أهواءهم ، واعتمدوا على مجرد عقولهم القاصرة ثم جعلوا الأدلة الشرعية بعد ذلك ، وأكثر هوءلاء أهل التحسين والتقبيح - من المعتزلة وغيرهم- فصيروا العقل شارعاً ، وقدموه على النص.(٣)

---

(١) انظر الاعتصام : ١٨٢/٢ ومابعدها .

(٢) انظر الاعتصام : ٢٣٥/٢، ومقدمة أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم : ص ٦١ ومابعدها .

(٣) انظر الاعتصام : ١٧٦/٢ ومابعدها .

٤ - **ضعـف الإيمـان :-**

ضعيف الإيمان يطلق العنان لشهواته ، وملذاته الروحية ، والجسدية ، ويكون نسبة ذلك بقدر مانقص من إيمانه ، ويشهد لذلك ماروى البخارى بسنده عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن "(١) .

٥ - **النزعات النفسية الشـاذة :-**

ويدخل فى ذلك الكبر ، والغرور ، والتقرب إلى الولاة ونحو ذلك .

---

(١) صحيح البخارى : كتاب الحدود ، باب لا يشرب الخمر ٨/١٣.

أسباب اتباع الشبهـــات :-

هى نفس أسباب اتباع الشهوات والأهواء السابقة ، ولهذا نجد ابن القيم يقرن بيـــن فتنة الشهوات ، والشبهات ، ثم يوضح أسبابها بقوله : (والفتنة نوعان : فتنة الشبهـــات وهي أعظم الفتنتين وفتنة الشهوات ، وقد يجتمعان للعبد ، وقد ينفرد بإحداهما ، ففتنـــة الشبهات :

من ضعف البصيرة ، وقلة العلم ، ولاسيما إذا اقترن بذلك فساد القصد ، وحصـــول الهـــوى) (١) .

وقال فى موضع آخر : (وهذه الفتنة تنشأ تارة من فهم فاسد ، وتارة من نقل كـــــاذب، وتارة من حق ثابت خفي على الرجل فلم يظفر به ، وتارة من غرض فاسد ، وهوى متبـــــع، فهي من عمى فى البصيرة ، وفساد فى الإرادة) (٢) .

وإلى جانب هذا أرجع البطليوسي (٣) الخلاف العارض لأهل الملة إلى ثمانية أوجه كل ضـــــرب من الخلاف متولد عنها وهي :-

١ - اشتراك الألفاظ ، والمعاني .

٢ - الحقيقة ، والمجاز .

٣ - الافراد ،والتركيب .

٤ - الخصوص ، والعموم .

٥ - الرواية ، والنقل .

---

(١) إغاثة اللهفان : ١٦٥/٢.

(٢) المصدر نفسه : ١٦٦/٢.

(٣) هو عبدالله بن محمد البطليوسي ، أديب نحوى ، لغوى ، مشارك فى أنواع العلوم ولد فى مدينة بطليوس بالأندلس سنة ٤٤٤هـ، وتوفى سنة ٥٢١هـ من تصانيفـــه الاقتضاب فى شرح أدب الكاتب ، والانصاف فى التنبيه على الأسباب التىأوجبـــت الاختلاف بين المسلمين فى آرائهم(انظر وفيات الأعيان ٩٦/٣-٩٩، ومعجم المؤلفين : ١٢١/٦).

٦ - الاجتهاد فيما لا نص فيه .

٧ - الناسخ ، والمنسوخ .

٨ - الإباحة ، والتوسع [1]

ومثال الشبهة في الاعتقاد :-

ما ادعاه المعطلة نقاة الصفات عن الله من أن إثباتها له يستلزم التشبيه والتجسيم فوجب نفيها عنه تنزيهاً وهذه شبهة باطلة لأن ذات الله لاندركها فكذلك أسماؤه وصفاته،لأن الصفة فرع عن الموصوف وصفات كل شيء تناسب ذاته ولا يلزم من الاتفاق في الأسماء الاتفاق في المسميات فمن قال : جسم النملة كجسم الفيل عد غير عاقل .

---

(١) انظر الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين : ص ١١ ، ومناهل العرفان : ٢/١٧٤ - ١٧٨ .

حكم الإسلام في اتباع الشهوات ، والأهواء ، والشبهات :-

لما كانت الشبهات لاتنفك عن الشهوات ،والأهواء الفاسدة غالباً رأيت أن أدمج بيان حكم الإسلام فيهما ويتضح ذلك فيما يلي :-

أ - حكم الإسلام في اتباع الشهوات والأهواء :-

دين الإسلام مبناه على التوقيف لاعلى الهوى ، والشهوة فليس للرأي فيه مجال ؛ لأن المشرع هو الله وحده لاشريك له،قال تعالى : " قل : إني أمرت، أن أكون أول من أسلم ، ولاتكونن من المشركين"(١) . والمعنى : أي استسلم لأمر الله(٢).

وقال تعالى : " قل إن صلاتي ، ونسكي ، ومحياي ، ومماتي لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت ، وأنا أول المسلمين"(٣) .

فقوله " وبذلك أمرت" دليل واضح على أن دين الله مبني على التوقيف .

وأمرنا عند الاختلاف أن نرد ذلك الشيء المختلف فيه إلى كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا إلى مجرد الهوى ، والشهوة،قال تعالى :" يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله ، واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً"(٤) .

أي إذا تجادلتم واختلفتم في شيء من أمر دينكم ، فردوا ذلك الحكم إلى كتاب الله ، أو إلى رسوله بالسؤال في حياته ، أو بالنظر في سنته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ورجح القرطبي هذا القول .

وقيل المعنى : قولوا الله أعلم .(٥)

---

(١) سورة الأنعام : آية (١٤).
(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن : ٣٩٧/٦.
(٣) سورة الأنعام : آيتا (١٦٢، ١٦٣).
(٤) سورة النساء : آية (٥٩) .
(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن : ٢٦١/٥ ومابعدها .

وإلى جانب هذا وردت آيات كثيرة تحذر من اتباع الأهواء منها :-

قوله تعالى : " أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ، وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعله على بصره غشاوه فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون"(١) .
وقوله تعالى : " ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات ، والأرض ومن فيهن"(٢) .
بل صور تعالى من يتبع هواه بأقبح صورة ، وأقبح حال - كما ورد فى شأن بلعام بن باعورا (٣) - فى قوله :" واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ، ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث . . . .الآية"(٤) .
بل جعل تعالى اتباع الهوى سبب الطبع والختم على القلوب فى قوله : " أولئك الذين طبع الله على قلوبهم ، واتبعوا أهواءهم "(٥) .
وقد وعد الله من نهى نفسه عن الهوى بأن مأواه الجنة فى قوله تعالى : " وأما من خاف مقام ربه ، ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى "(٦) .

كما وردت أحاديث كثيرة صحيحة تحذر من اتباع الأهواء منها :-

ماروى مسلم بسنده عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء ،وأى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض

---

(١) سورة الجاثية : آية (٢٣).
(٢) سورة المؤمنون : آية (٧١) .
(٣) انظر أسباب النزول : للواحدى ، ص ١٦٩ ومابعدها ، والجامع لأحكام القرآن: ٧/٣١٩
(٤) سورة الأعراف : آيتا (١٧٥، ١٧٦) .
(٥) سورة محمد : آية (١٦).
(٦) سورة النازعات : آيتا (٤٠ ، ٤١).

مثل الصفا فلا تضره فتنة مادامت السموات، والأرض ، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لايعرف معروفاً ولاينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه"(١) .

وما روى أبوداود بسنده عن المقدام بن معد يكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ألا وأني أوتيت الكتاب ومثله معه لايوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتموه من حلال فأحلوه ، وماوجدتم فيه من حرام فحرموه"(٢) .

ومارواه-أيضاً-بسنده عن عامر بن سعد عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن أعظم المسلمين جرماً من سأل عن أمر لم يحرم فحرم على الناس من أجل مسألته"(٣) .

وروى الترمذي بسنده عن شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ثم تمنى على الله " (٤)

وغير ذلك من الأحاديث . (٥)

وهناك آثار تحذر من اتباع الأهواء منها :-

قول ابن عباس : كل هوى ضلالة. (٦)

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب بيان الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود غريباً ١/٨٩.

(٢) سنن أبي داود : كتاب السنة ، باب في لزوم السنة ٤/٢٠٠، قال الألباني : "حديث صحيح " (انظر صحيح الجامع : ٢/٣٧٥).

(٣) سنن أبي داود : كتاب السنة ، باب لزوم السنة ٤/٢٠١، ٢٠٢ ، قال الألباني " حديث صحيح " (انظر صحيح الجامع : ٢/٥٠) .

(٤) تقدم تخريجه : ص ١٢٣.

(٥) انظر سنن أبي داود : كتاب السنة ، باب شرح السنة ٤/١٩٨.

(٦) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : للالكائي ، ١/١٣٠، ورواه عبدالرازق عن معمر ... المصنف : رقم ٢٠١٠٢.

وقال ابن عمر : مافرحت بشيء من الإسلام أشد فرحاً بأن قلبي لم يدخله شيء من هذه الأهواء .[1]

وقال الشعبي : إنما سميت الأهواء لأنها تهوى بصاحبها في النار.[2]

وقال طاوس : ماذكر الله هوى في القرآن إلا عابه .[3]

وقال الحسن : لاتجالسوا أهل الأهواء ، ولاتجادلوهم ، ولاتسمعوا منهم.[4]

وغير ذلك من الآثار الدالة على ذم اتباع الهوى .[5]

وقد بين ابن الجوزي السبب في ذم الهوى حيث قال : (ولما كان الغالب من موافق الهوى أنه لايقف منه على حد المنتفع أطلق ذم الهوى والشهوات لعموم غلبة الضرر لأنه يبعد أن يفهم المقصود من وضع الهوى في النفس ، وإذا فهم تعذر وجود العمل به وندر) .[6]

ويمكن التخلص من اتباع الهوى بعدة أمور منها :-

١ - التفكر في أن الإنسان لم يخلق للهوى ، وإنما هيء للنظر في العواقب ، والعمل للآجل .

٢ - التفكير في عواقب الهوى إذ يتسبب في فوات كثير من الفضائل ،ويوقع في كثير من الرذائل .

٣ - التفكير في فائدة مخالفة الهوى من اكتساب الذكر الجميل في الدنيا ، وسلامة النفس والعرض ، والأجر في الآخرة .

---

(١) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : ١٣٠/١ .
(٢) انظر المصدر نفسه : ١٣٠/١ .
(٣) انظر المصدر نفسه : ١٣٠/١ .
(٤) انظر المصدر نفسه : ١٣٣/١ .
(٥) انظر الشرح والإبانه : ١٢١/١ ومابعدها ، وذم الهوى : لابن الجوزى ، ص ٢٠-٥٧
(٦) ذم الهوى : ص ١٢ .

٤ - العزم القوى على مخالفة الهوى ، والشهوة .
٥ - الصبر ، ومجاهدة النفس على ذلك. (١)

ب - **حكم الإسلام في اتباع الشبهـــات :-**

أمر الإسلام باتقاء الشبهات ، لأن الشبهات ، والشهوات مرضان من أمــراض القلوب ، قال تعالى : " فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخـلاقهــم وخضتم كالذى خاضوا "(٢) .

قال ابن تيمية : (.... جمع سبحانه بين الاستمتاع بالخلاق ، وبين الخــوض؛ لأن فساد الدين إما أن يقع بالاعتقاد الباطل والتكلم به ، أو يقع العمل بخــــلاف الاعتقاد الحق ،والأول : هو البدع ونحوها ، والثاني : هو فسق الأعمال ونحوهـــا والأول : من جهة الشبهات ، والثاني : من جهة الشهوات)(٣) .
وقد حذر تعالى من اتباع الشبهات بقوله : " فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعـــون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله ، ومايعلم تأويله إلا الله، والراسخون فـــى العلم يقولون : آمنا به كل من عند ربنا ومايذكر إلا أولوا الألباب " (٤) .
روى البخارى بسنده عن عائشة قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيـــة " هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأمـــا الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة ،وابتغاء تأويله ومايعلم تأويلــه الا الله والراسخون فى العلم يقولون : آمنا به كل من عند ربنا ومايذكر إلا أولوا الألباب"

---

(١) انظر المصدر نفسه : ص ١٤ ومابعدها .
وقد ذكر ابن القيم أنه بكمال العقل، والصبر تدفع فتنة الشهوة ، وبكمال البصيرة واليقين تدفع فتنة الشبهة (انظر اغاثة اللهفان : ٢/١٦٧).
(٢) سورة التوبة :آية (٦٩).
(٣) اقتضاء الصراط المستقيم : ص ٢٤.
(٤) سورة آل عمران : آية (٧) .

قالت :قال رسول الله صلى الله عليهوسلم فإذا رأيت الذين يتبعون ماتشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذرهم "(١) .

وقال تعالى : "إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شيء" . (٢)

قيل : هم أهل البدع ، والشبهات ، وأهل الضلالة من هذه الأمة . (٣)

كما حذر رسول الله صلى الله عليهوسلم مناتباع الشبهات فى عدة أحاديث منها :-

ماروى البخارى بسنده عن النعمان بن بشير يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " الحلال بين ،والحرام بين ، وبينهما مشتبهات لايعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه ، وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلحالجسد كله ألا وهي القلب "(٤) .

وغيره من الأحاديث. (٥)

وموقفنا من المتشابه أن نرده إلى المحكم فإن فهم المراد منه ، وإلا توقفنا فيه .

---

(١) صحيح البخارى : كتاب التفسير ، باب منه آيات محكمات ١٦٦/٥.

(٢) سورة الانعام : آية (١٥٩) .

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن : ١٤٩/٧، ١٥٠، وفتح القدير:١٨٣/٢، ١٨٤.

(٤) صحيح البخارى : كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه ١٩/١ ، وانظره فى صحيح مسلم : كتاب البيوع ، باب أخذ الحلال ،وترك الشبهات ٥٠/٥، ٥١، وفى سنن أبى داود : كتاب البيوع ،باب فى اجتناب الشبهات ٢٤٣/٣، وفى سنن النسائى: كتاب البيوع ، باب فى اجتناب الشبهات فى الكسب ٢٤٢/٧، ٢٤٣.

(٥) ومنها ماروى الترمذى بسنده عن أسماء بنت عميس - وفيه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بئس العبد عبد يختل الدين بالشبهات"(انظر سنن الترمذى : كتاب القيامة ،باب ٦٣٢/٤،١٧ وقال:حديث غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده ليس بالقوى) .

الفصل الثامن

الثقة بأعداء الدين

تعريف النظرية.

★ الأسباب المؤدية إلى الثقة بأعداء الدين.

★ موقف المسلم من النظريات التي يروجها أعداء الدين.

الثقة بأعداء الدين من أهم أسباب الانحراف فى الاعتقاد ، إذ أن أغلب النظريات التى يروجها أعداءالدين تقوم على أساس الالحاد ، من انكار وجود الله أصلاً ، وانكار اليوم الآخر بتاتاً ، بل انكار جميع الأمور الغيبية ، وانكار أصل الإنسان ذاته ، والقصد من تلك النظريات الالحادية أيضاً هدم الدين من أساسه ، وهدم القيم ، والأخلاق الفاضلة ، ونشر الإباحية بين الأفراد والجماعات وكل فريق من الملحدين سلك طريقاً للالحاد ، فالماركسية[1] ترى:أن المادة هي الأساس وماسوى المادة لايصدق فالغرض من ذلك انكار وجود الله ، وانكار الرسالات وماتتضمنه أصلاً ، ونظرية دارون : أخذت تشكك فى أصل الإنسان ، ثم بالتالي انكار وجود الله تعالى .

---

(١) هى مذهب اقتصادى ، وسياسي ، واجتماعي سمي باسم صاحبه كارل ماركس وقد أطلق عليه اسم الاشتراكية العلمية ، وضع ماركس أسس مذهبه الالحادى فى المنشور الشيوعي ، ثم شرحه فى كتابه رأس المال ، وساهم صديقه انجلز فى توضيحها ، وعند ماركس أن تاريخ المجتمعات إنما هو تاريخ الصراع بين الطبقات .
(انظر الموسوعة العربية الميسره : ١٦١٦/٢) .

وتأتى نظرية الميكافلية(١) ، والنظرية الفرويدية (٢) لهدم الأخلاق والقيم، وهكذا بقية النظريات الأخرى الالحادية .

تعريف النظرية :-

لغة مأخوذة من نَظَرَ يَنْظُر نَظَراً ، ومَنْظَراً ، ونَظَر إليه ، والنَّظَر فى الشيء الفكر تقدره وتقيسه منك. (٣)

واصطلاحاً : هى التى يطلق عليها أهل المنطق قضية ، وهي قول يصح أن يقال لقائله : إنه صادق فيه أو كاذب(٤) .

ويمكن تعريف النظرية اصطلاحاً بأنها : قضية محتاجة إلى برهان لإثباتصحتها .

---

(١) الميكافلية : تنسب إلى ماكيا فللى نيكولو : عاش مابين (١٤٦٩ - ١٥٢٧م) سياسى، ومؤرخ ايطالى ، شارك فى الحياة السياسية فى إيطاليا ، واعتزل السياسة متفرغاً للتأليف عند عودة ميدتش للحكم ١٥١٢ عرف فى تاريخ الفكر السياسى بمؤلفه الشهير " الأمير " الذى كتبه عام ١٥١٢، وأهداه إلى حاكم فلورنسا أيد فيه نظام الحكم المطلق ، وأحل فيه للحاكم اتخاذ كل وسيلة تكفل استقرار حكمه ، واستمراره، ولوكانت منافيه للدين والأخلاق ومن هنا صار لفظ الميكافلية وضعاً لكل مذهب : أن الغاية تبرر الوسيله (انظر الموسوعة العربية الميسرة : ١٦٢٨/٢) .

(٢) اسمه فرويد سيجموند : عاش مابين (١٨٥٦ - ١٩٣٩م) طبيب نمساوى مؤسس مدرسة التحليل النفسى أشترك مع جوزيف بروير فى علاج الهستيريا بالنوم ، مفسراً أعراضها بأنها تعبيرات عضوية عن صدمات مكبوته، وصراعات نفسية غير شعورية ترجع إلى الطفولة ، ثم عمل بمفرده وترك النوم مستعيضاً عنه بالتداعى الحر ، مؤكداً أن الطاقة المسببة لأعراض الهستيريا التحولية طاقة جنسية بحته ، وقد أثارت نظريته سخط أطباء الأمراض العقلية من أهم كتبه : تفسير الأحلام ، ومدخل إلى التحليل النفسى (انظر الموسوعة العربية الميسرة : ١٢٩٧/٢) .

(٣) انظر لسان العرب : ٢١٥/٥ - ٢٢٠ ، مادة (نظر) .

(٤) انظر التعريفات : ص ١٨٣.

الأسباب المؤدية إلى الثقة بأعداء الدين :-

١ - الجهـــــل :-

إن جهل المسلمين بأمور دينهم ، جعلهم يصدقون تلك النظريات الالحاديــة التى يدعى أصحابها أنها مدعومة بالبراهين والحجج ، تمويهاً على الجهال ليستغلــوا السذّج ويرموا بهم فى بوتقه الالحاد تحت ستار التقدم العلمي المتجسد فى تلــك النظريات الملحدة .

٢ - التقليد الأعمـى :-

يندفع كثير من ضعاف العقول إلى السير خلف كل ناعق دون روءية أو فكر غــير مبالين بالحقائق ، وغير مستعملين عقولهم فى التميز بين الأشياء ، وبين كونها ضارة ، أو نافعة والدافع لهذا التقليد الأعمى هو الشعور بالغلبة ؛ فإن المغلوب مولع بتقليد الغالب فى كل شيء ، فتقليد المسلمين الأعمى أدى بهم إلى تصديقهم النظريـــات الملحدة المنافيه للدين .

٣ - الانبهار بالتقدم المادى والعلمي للملحدين :-

إن هذا الدافع غرس الثقة العمياء فى نفوس المنحرفين عن الاستقامة ، فما يملكـه الماديون من وسائل ، وطاقات ، وغزو للفضاء ، مغريات للفت الأنظار لأولئك الـذيــن تخدعهم الشعارات البراقة متنكرين ، ومسقطين للواقع المعنوى فى نفوسهم .

٤ - الدعايـات الكاذبــة :-

التى يروجها الملحدون لتلك النظريات من أجل تقبلها فى أوساط الناس ، كأن يظهروا بأن المقصد منها خدمة الإنسانية ، والتعرف على أسرار الكون ، وقيامها علـى المنهج العلمى السليم .

٥ - واقـع المسلميـن الحالـي :-

ومافيه من جمود فكرى جعلهم يتقبلون تلك النظريات الملحدة دون مناقشة، أو تأمل .

موقف المسلم من النظريات التي يروجها أعداء الدين :-

ينبغى للمسلم أخذ الحذر والحيطة مما يروجه الملاحدة من نظريات، فإن كثيراً من نظرياتهم التى يدعون أنها علمية ، ويلفقون لها من الشبهات التى هي أوهى من بيت العنكبوت تكون منافيه للعقيدة الإسلامية وقد حذر الله من خبر الفاسق بقوله :" ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا"(١)

هذا فى شأن الفاسق ، فكيف إذ كان ذلك الشخص ملحداً ؟.

لذا يجب عرض تلك الأمور على الكتاب ، والسنة الصحيحة فما وافقهما قبلناه ، وماخالفهما رفضناه ، ورددنا تلك الشبه بالبراهين القاطعة .

---

(١) سورة الحجرات : آية (٦).

الباب الثاني

مظاهر الانحراف في الاعتقاد وعلاجها في الإسلام

ليس بالامكان حصر مظاهر الانحراف فى الاعتقاد ، إذْ كل زمان يستجد فيه اعتقادات فاسدة ، وتصورات باطله ، ولست أريد هنا أن أوضح ذلك بصورة تفصيلية فى مختلف العصور ، وعلى مر الدهور ؛ لأن سبيل ذلك دراسة واسعة مستفيضة لايسمح بها وقت هذه الرسالة .

وإنما أريد هنا أن استعرض نماذج لذلك الانحراف ثم أعالجها على ضوء الإسلام، وتتضح أهم تلك المظاهر فى الفصول ، والمباحث التالية :-

الفصل الأول

الانحراف في مفهوم أركان الإيمان الستة وعلاجه في الإسلام

المبحث الأول : الانحراف في مفهوم الإيمان بالله وعلاجه في الإسلام -

المطلب الأول : الانحراف في مفهوم توحيد الربوبية -

〃 الثاني : 〃 〃 〃 〃 الألوهية -

〃 الثالث : 〃 〃 〃 〃 الأسماء والصفات -

المبحث الثاني : الانحراف في مفهوم الإيمان بالملائكة والجن وعلاجه في الإسلام -

〃 الثالث : 〃 〃 〃 〃 بالكتب المنزلة من السماء 〃 〃 〃 -

〃 الرابع : 〃 〃 〃 〃 بالرسل والأنبياء 〃 〃 〃 -

〃 الخامس : 〃 〃 〃 〃 باليوم الآخر وما يكون فيه وعلاجه في الإسلام.

〃 السادس : 〃 〃 〃 〃 بالقدر خيره وشره 〃 〃 〃 -

الانحـــراف فـــــي مفهوم أركان الإيمان الستة :-

من أخطـــر أنواع الانحراف ؛ لأنه يتعلق بصميـم العقيدة ، والإيمـان بالله تعالى وهذا يتضح فى المباحـث التاليـــة :-

المبحث الأول : الانحراف في مفهوم الإيمان بالله تعالى ، وعلاجه في الإسلام :-

لما كان الإيمان بالله تعالى لايتم إلا بأنواع التوحيد الثلاثة مجتمعة كان لابـد هنـا أن نتحدث عن مفهوم الانحراف فى كلٍ فيما يلى :-

المطلب الأول : الانحراف في مفهوم توحيد الربوبية :-

توحيد الربوبية لم ينكره إلا مكابر ، أو معاند ، وأشهر المنكرين له :-

أ - الدهريـــــة :-

ينكرون وجود الخالق بتاتاً فيقولون : المحي هو الدهر ، وهو المفنـي ، وأنـه لا إله ، ولا صانع[1] ، وليس هناك بعث ولانشور ، ومن البراهمة من يميل إلى هـــذا المذهب[2] ، وكذلك بعض أهل الجاهلية ، وهؤلاء هم الذين أخبر الله عنهم فـــى كتابه بقوله : " وقالوا ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ، ونحيا ومايهلكنا إلا الدهر"[3] . حكى القرطبى عن سفيان بن عيينة : أن أهل الجاهلية يقولون : الدهر هو الـــذى يهلكنا وهو الذى يحيينا فنزلت الآية .[4]

---

(١) انظر الملل والنحل : للشهرستاني : ٢٣٥/٢ ،وتلبيس إبليس :لابن الجوزى ، ص ٥٢ .
(٢) ،، ،، ،، ،، ،، : ٢٥٠/٢ .
(٣) سورة الجاثية : آية (٢٤) .
(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن : ١٧٠/١٦ .

وهؤلاء الدهرية فرقتان :-

١ - فرقة قالت : لما خلق الخالق الأفلاك متحركة أعظم حركة دارت عليه فأحرقته، ولم يقدر على ضبطها .

٢ - فرقة أخرى قالت : إن الأشياء ليس لها قوة ، وإنما تخرج من القوة إلى الفعل بذاتها [1] .

وحكى ابن الجوزى أن بعض الفلاسفة يقول بقول الدهرية إنه لا خالق للعالم ومن أولئك ارسطاطاليس وأصحابه ، حيث زعموا : أن الأرض كوكب فى جوف هذا الفلك ، وأن فى كل كوكب عوالم كما فى هذه الأرض ، وأنهاراً ،وأشجاراً، وأنكروا الخالق ، وأكثرهم أثبت علة قديمة للعالم ثم قال : بقدم العالم ، وأنه لم يزل موجوداً مع الله تعالى ، ومعلولاً له ، ومساوياً متأخراً عنه بالزمان مساواة المعلول للعلة ، والنور للشمس بالذات ، والرتبة لا بالزمان . [2]

ب - الطبائعيون ، والملاحدة الشيوعيون :-

وهؤلاء ينكرون وجود الخالق ، وينسبون وجود المخلوقات إلى فعل الطبيعة وحدها ، ويقولون : ما من شئ يوجد إلا من اجتماع العناصر الأربع[3] وأنها الفاعلة فيه. [4]

أما الشيوعيون فى العصر الحاضر فيمثلون القمة فى الالحاد حيث ينكرون وجود الخالق بتاتاً، ويقولون : إن المادة أساس الوجود ، فكل الموجودات التى

---

(١) انظر إغاثة اللهفان : لابن القيم ، ٢/٢٥٦.
(٢) انظر تلبيس إبليس : ص ٥٦، ٥٧ ومابعدها .
(٣) العناصر الأربعة هى : التراب ، والماء ، والنار ، والهواء .
(٤) انظر تلبيس إبليس : ص ٥٣.

ظهرت بعد ذلك نتيجة ، وثمرة للمادة كالروح ، والفكر ، والاحساس ونحو ذلك فالمادة قديمة أزلية [1] ، وهي تتحرك ، وتتطور ، فالجديد من ذلك هو أشكالها وأطوارها ، وظاهراتها ، وأنها سر مدية الذات[2] .

يقول لينين : (إننا لانوءمن بإله ، ونحن نعرف كل المعرفة أن أرباب الكنيسه والاقطاعيين ، والبرجوازيين لايخاطبوننا باسم الإله إلا استقلالاً) [3] .

ويقول أيضاً : (إن البحث عن الله لا فائدة فيه ، ومن العبث البحث عن شيء لم يخبأ) [4] .

وهكذا يزعم الشيوعيون : أن المادة أساس الوجود ،وينبوع الحقائق وهذا التصور يمكن تلخيصه فى ثلاث نقاط هي :-

١ - أن المادة أقدم الموجودات ، والموجودات اللاحقه كلها داخله فى ماهيتها ، أو نتيجة لها .

٢ - ان المادة مستقلة فى الوجود عن وعي الإنسان ، وإدراكه .

٣ - لاتقف المادة عند حدود ضيقة من الخصائص ، والظواهر ، بل لها ظواهر غير متناهية[5] .

جـ - تظاهر فرعون بانكار وجود الخالق :-

أشهر من عرف تجاهله لوجود الخالق فرعون مع أنه مستيقناً به فى الباطن ، وقد أخبر الله عنه بقوله لموسى عليه السلام :"قال فرعون :ومارب العالمين ؟قال رب السموات،والأرض،

---

(١) الأزلي هو : مالايكون مسبوقاً بالعدم ، وهو استمرار الوجود فى أزمنة مقدرة غير متناهية (انظر التعريفات : ص ١٩) .

(٢) انظر نقص أوهام المادية الجدلية : د .محمدسعيد رمضان البوطي : ص ٣٨ ومابعدها .

(٣) نقلاً عن الكيد الأحمر : ص ٤٠ .

(٤) نقلاً عن المرجع نفسه : ص ٤١ .

(٥) انظر نقض أوهام المادية الجدلية : ص ٩٧ .

ومابينهما إن كنتم موقنين ، قال لمن حوله ألا تستمعون ، قال : ربكم ورب آبائكم الأولين ، قال : إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون قال رب المشرق ،والمغرب ومابينهما إن كنتم تعقلون "(١)

والواقع أن فرعون يعلم فى قرارة نفسه أن الله موجود ، وأنه ربه ويدل على هذا قوله تعالى : فيما حكاه عن موسى عليه السلام " قال لقد علمت ما أنزل هوءلاء إلا رب السموات والأرض بصائر " .(٢)

وقوله تعالى : " وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً ، وعلواً "(٣) .

لكنه أنكر وجود الله تعالى ليظهر أمام قومه الذين ادعى ربوبيته لهم أنه ليس هناك رب سواه ، ولذلك قال فيما أخبر الله تعالى عنه :" فقال أنا ربكم الأعلى "(٤) .

كما ادعى النمرود بن كنعان بن قوش الربوبية، وهو المشار إليه فى قوله تعالى : " ألم تر إلى الذى حاجّ إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذى يحي ويميت قال : أنا أحي وأميت. . . . الآية "(٥) .

غلو الصوفية ، وكثير من أهل الكلام والنظر فى توحيد الربوبية :-

غلا الصوفيه وكثير من أهل الكلام والنظر فى هذا النوع من التوحيد - وهو توحيد الربوبية - حتى جعلوه غاية السالكين ،وقد ذكر الهروي فى منازل السائرين كثيراً من اصطلاحات الصوفيه كما حكاه ابن القيم فى شرحه مدارج السالكين(٦)، ومن اصطلاحاتهم

---

(١) سورة الشعراء : الآيات (٢٣ - ٢٨) .
(٢) سورة الإسراء : الآية (١٠٢) .
(٣) سورة النمل : آية (١٤) .
(٤) سورة النازعات : آية (٢٤) .
(٥) سورة البقرة : آية (٢٥٨) .
(٦) انظر شرح العقيدة الطحاوية :ص٢٠، واقتضاء الصراط المستقيم: ص ٤٥٩، ٤٦٠.

في ذلك :-

١ - الطوالع :-

وهي أنواع التوحيد يطلع على قلوب أهل المعرفة شعاعها ، ونورها ، وهي أول تجلّيات الأسماء الإلهية على باطن العبد .(١)

٢ - الفناء :-

وهو اسم لاضمحلال مادون الحق علماً : أي يضمحل عن القلب ، والشهود علماً ، وإن لم تكن ذاته في الحال مضمحله ، فتغيب صورة الموجودات في شهود العبد فتكون بمنزلة العدم ، ويبقى الحق وحده في قلب الشاهد .(٢)

وهو عندهم على ثلاث درجات :

أ - فناء المعرفة في المعروف ، وهو الفناء علماً .(٣)

ب - فناء العيان في المعاين وهو : الفناء جحداً ، فإن المعرفة عندهم مرتبة فوق العلم ، ودون العيان .(٤)

ج - فناء الطلب في الوجود وهو : أن لايبقى لصاحب الفناء طلب لظفره بالمطلوب الشاهد .(٥)

وغير ذلك من الاصطلاحات .(٦)

---

(١) انظر التعريفات : ص ١٣٦.

(٢) انظر مدارج السالكين : لابن القيم، ٣٨٨/٣، وعوارف المعارف : للسهروردي ، ص ٢٤٧ ، والتعريفات : ص ١٧٦.

(٣) وهو عند الصوفيه غيبة العارف بمعروفه عن شعوره بمعرفته ومعاينتها فيفنى به عن وصفه هنا وماقام به (انظر مدارج السالكين : ٣٨٩/٣ ومابعدها) .

(٤) وعند أهل الاستقامة يقابل هذا مرتبة الإحسان وهي أعلى مراتب الدين .

(٥) انظر مدارج السالكين :٣٨٩/٣، والتعريفات : ص ٢٨٧.

(٦) انظر مدارج السالكين : ٣١٩/٣ ، ٣٢١ - ٣٢٨ ، ٣٩٠، ٤٤٤، وعوارف المعارف: ص ٢٤٩ ، والتعريفات : ص ٢٨٤ - ٢٩٨.

علاج الانحراف في مفهوم توحيد الربوبية :-

رأينا فيما مضى أن الانحراف فى مفهوم الربوبية انحصر فى أمرين :-

أولاً : إنكار الربوبية : وهذا يمثل جانب التفريط ؛ لإن إثبات الربوبية أدلته أشهر من أن تذكر ، وهو من الوضوح بمكان بحيث إن الإنسان لو تأمل فى خلقه هو حيث إن الله أوجده فى أحسن تقويم ، وفى أبدع صورة لكفى دليلاً على وجود الله ، فكيف وهناك آلاف الأدلة على ذلك ؟

أما المنكرون لوجود الخالق فليس عندهم دليل واحد على ذلك الانكار فهي دعوى بلا دليل ، وكل دعوى خلت من الدليل فهي باطلة،قال تعالى فى الرد على الدهريين :"ومالهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون"(١) .

وقد ذكر ابن الجوزى فى مجمل الرد عليهم : أنه لايشك عاقل فى وجود الخالق ؛ فإن الإنسان لو مر بقاع ليس فيه بنيان ، ثم عاد فرأى حائطاً مبنياً علم أنه لابدله من بانٍ بناه ، فهذه المهاد ، والسقف المرفوع ، والقوانين العجيبه الجارية على وجه الحكمة،والاتقان أفلا تدل على خالق؟.

وإنما يخبط الجاحد؛لأنه طلبه من حيث الحس ، ومن الناس من جحده لأنه لما أثبت وجوده من حيث الجملة لم يدركه من حيث التفصيل فجحد أصل الوجوب ولو أعمل ذلك المنكر فكره لعلم أن لنا أشياء لاتدرك إلا جملة كالنفس ، والعقل ، ولم يمتنع أحد بإثبات وجودهما ، ومن الأدلة القطعية على وجوده تعالى أن العالم حادث بدليل أنه لايخلو من الحوادث ، وكل مالاينفك عن الحوادث حادث ، ولابد لحدوث هذا الحادث من مسبب وهو الخالق.(٢)

---

(١) سورة الجاثية : آية (٢٤) .

(٢) انظر تلبيس إبليس : ص ٥٢، ٥٣ .

وقد لخص ابن تيمية كلام النظّار فى علة الافتقار إلى الصانع وحصرها فى ثلاثة أمور :-

أ - أنها " الامكان " ، وهذا قول الفلاسفة المتأخرين، ومن وافقهم كالرازى ومقصودهم بهذا أن الامكان بدون الحدوث يوجب الافتقار إلى الصانع فيمكن كون الممكن قديماً لامحدثاً مع كونه مفتقراً إلى المؤثر ، وهذا القول فاسد باتفاق جماهير العقلاء فكلهم يقولون : إن ما أمكن وجوده ، وأمكن عدمه الايكون محدثاً .

ب - قيل : إنها " الحدوث " ، وإن المحدث يفتقر إلى الفاعل حال حدوثه لاحال بقائه ، وهذا قول طائفة من المتكلمين - من المعتزله وغيرهم - وهو قول فاسد أيضاً .

جـ - قيل : إنها " الامكان ، والحدوث معاً " ولم يجعل أحدهما شرطاً فى الآخر ، وقد أختار شيخ الإسلام هذا القول ، ثم بين أن افتقار المخلوقات إلى الرب أمر ذاتى .[1]

وأيضاً لايعرف أحد من الطوائف أنه قال : إن العالم له خالقان متكافئان فى الصفات ، والأفعال ؛ فإن الثنوية[2] من المجوس ، والمانوية[3] القائلين بالأصلين :

---

(١) انظر الرد على المنطقيين : ص ٣٤٥ ومابعدها .

(٢) هم أصحاب الاثنين الأزليين : يزعمون أن النور، والظلمة أزليان قديمان بخلاف المجوس فإنهم قالوا : بحدوث الظلام وذكروا سبب ذلك ، وهؤلاء قالوا بتساويهما فى القدم ، واختلافهما فى الجوهر، والطبع، والعقل، والحيز ، والمكان والأجناس، والأبدان، والأرواح (انظر الملل والنحل : ١/ ٢٤٤) .

(٣) هم أصحاب ماني بن فاتك الحكيم ظهر فى زمن سابور بن أردشر ، وقتله بهرام ابن هرمز بن سابور، وذلك بعد عيسى بن مريم أحدث ديناً بين المجوسية، والنصرانية وكان يقول بنبوة المسيح ، ولايقول بنبوة موسى، وزعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين : أحدهما: النور والآخر: الظلمة، وأنهما أزليان لم يزالا ، ولن يزالا وأنكر وجود شيء إلا من أصل قديم .
(انظر الملل و النحل : ١/ ٢٤٤، والإنسان فى ظل الأديان : د. عمارة نجيب ، ص ٢٤٩) .

النور، والظلمة ، وأن العالم صدر عنهما متفقون على أن النور خير من الظلمة وهو الإله المحمود ، وأن الظلمة شريره مذمومة ، وهم متنازعون فى الظلمة هل هي قديمة أو محدثة فلم يثبتوا ربين متماثلين فى صفاتهما ، وأفعالهما .

والنصارى القائلون بالتثليث : لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب ينفصل بعضهم عن بعض ، بل متفقون على أن خالق العالم واحد . (١)

والمشهور عند أهل النظر(٢) إثبات الربوبية بدليل التمانع وهو:-

أنه لو كان للعالم صانعان فعند اختلافهما - مثل : أن يريد أحدهما تحريك جسم، والآخر تسكينه - فإما أن يحصل مرادهما ، أو مراد أحدهما ، أولا يحصل مراد واحد منهما، والأول ممتنع؛لأنه يستلزم الجمع بين الضدين (٣) ، والثالث ممتنع؛لأنه يلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون ، ويستلزم عجز كل منهما، والعاجز لايكون إلها، وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر كان ذلك هو الإله القادر، والآخر عاجز فلا يصلح للألوهية . (٤)

وأهل السنة والجماعة ليسوا بحاجة إلى دليل التمانع ؛ فإن الاقرار بالخالق مركوز فى الفطر السليمة التى لم تشوبها شائبة الانحراف ، ففى كل شئ له آية تدل على وجوده ، ووحدانيته ، و الأدلة على وجوده تعالى، وأنه رب كل شئ

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية : ص ٢١ - ٢٤ .

(٢) أهل النظر هم أهل الكلام،والنظرى هو الذى يتوقف حصوله على نظر وكسب كتصور النفس، وكالتصديق بأن العالم حادث (انظر التعريفات : ص ٢٦٠).

(٣) صفتان وجوديتان يتعاقبان فى موضع واحد يستحيل اجتماعهما كالسواد، والبياض (انظر التعريفات : ص ١٤٢).

(٤) انظر شرح العقيدة الطحاوية : ص ٢١ ، ٢٢ .

أكثر من أن تحصر ، وحسبنا أن نذكر منها مايلى :-

أ - الفطـــــــرة :-

هذا الدليل لابد من تقديمه على غيره ؛ لأن الجبلة لها السبق طبعـــاً فتقدم وضعاً ، فالشعور بوجود الله ، والاذعان لخالق قادر فوق المادة محيـط بكل شيء أمر غريزى فى الإنسان مفطور عليه لاتزلزله ريب المشككين . (١)

قال تعالى :" فطرت الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ،ولكن أكثر الناس لايعلمون" (٢) .

وقد كان المشركون مقرين بتوحيد الربوبية بفطرتهم ، وأن الله هو الخالق الرازق ويدل على ذلك قوله تعالى مخبراً عنهم " ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله" (٣) .

ب - نظام الكون ومافيه من الاحكام،والاتقان :-

إن هذا الكون بمافيه دلالة واضحة على وجود الله تعالى ، ولايمكـــن أن يكون وجد على سبيل الصدفة؛لأنه غاية فى الاتقان ، والاحكام ، وهـــذا يستلزم بداهة وجود مدبر عالم بديع الصنع ، وإلى هذا لفت الله العقول لتتدبر مافى هذا الكون من الاحكام لتستدل بوساطته على موجده فدعا إلى النظـــر، والتفكـــر (٤) .

---

(١) انظر دلائل التوحيد : لجمال الدين القاسمي ، ص ٢٣ - ٣٢ .

(٢) سورة الروم : آية (٣٠) .

(٣) سورة لقمان : آية (٢٥) ، وسورة الزمر : آية (٣٨) .

(٤) انظر دلائل التوحيد : ص ٥١ ، ٥٢ .

والأدلة على ذلك كثيرة منها :-

قوله تعالى : " قل انظروا ماذا في السموات ، والأرض " (١)

وقال تعالى : " قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق "(٢) .

جـ - اخبار الأنبياء والرسل بوجوده تعالى ويؤيد ذلك ماظهر على أيديهم من المعجزات الدالة على صدقهم فلم يكن أشفى ولا أنفع من النظر في كتبهم وآياتهم ومعجزاتهم ؛ فإنه من أعظم مايستشهد به على وجود الإله الحقيقى ؛ فإن المصطفيْن من الناس نادوا من عهد آدم عليه السلام إلى عهد محمد صلى الله عليه وسلم بأن لهذا الكون إلهًا حكيمًا ، وقد قامت الشواهد على صدقهم وتأييد الله لهم ، وخذلان أعدائهم فهم عاضدون لفطرة الله التى فطر الناس عليها ويعضد ذلك مايناسبه من كرامات الصالحين (٣) .

د - <u>المعرفة بوجوده تعالى عن طريق أسمائه وصفاته :-</u>

وتلك الأسماء هي التى ذكرها الله في قوله تعالى : " قل ادعو الله ، أوادعو الرحمن أيًّاما تدعو فله الأسماء الحسنى ". (٤)

وقال تعالى : " ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ماكانوا يعملون" (٥)

وذلك؛لأن الاسم يدل على المسمى .

وغير ذلك من الأدلة القاطعة على وجودة تعالى . (٦)

وقد تقرر من ناحية العقل ، والعلم أنه لم يثبت أي دليل يعتمد عليه في نفي

---

(١) سورة يونس : اية (١٠١) .

(٢) سورة العنكبوت : اية (٢٠) .

(٣) انظر دلائل التوحيد : ص ٦٥ - ٦٨ نقلاً عن كتاب إيثار الحق : لابن المرتضي اليمانى ومنهاج المسلم: لأبي بكر الجزائرى ، ص ١٩ ومابعدها .

(٤) سورة الإسراء : اية (١١٠) .

(٥) سورة الأعراف : اية (١٨٠) .

(٦) انظر الإرشاد : للجوينى ، ص ٤٩ ، والمواقف : للإيجى ، ص ٢٦٦ ومابعدها ، ودلائل التوحيد : ص ٢٣ - ٨٠ ، ومنهاج المسلم : ص ١٤-٢٨ ، والعقائد الإسلامية : لسيد سابق ، ص ١٩ - ٥٠ ، وروح الدين الإسلامي : لعفيف طباره ، ص ٦٥-٨٩ .

وجوده تعالى وكل ماذكره الملحدون ، ماهو إلا وهم وخيال لايستند إلى منطق سليم ، أو علم يقين على أن هذا لعصر الذى بلغ فيه العلم شوطاً لم يصل إليه من قبل لم يستطع معظم علمائه أن ينكروا وجود الله ، بل إن كثيراً منهم صاروا من أشد الناس إيماناً بالله ومما يؤيد هذا مانشره الدكتور " ديرت " من بحث حلل فيه الآراء الفلسفية لأكابر العلماء بقصد أن يعرف عقائدهم فتبين له من دراسة (٢٩٠) عالماً أنهم بالنسبة للعقيدة الدينية كما يلى :-

١ - ٢٤٢ من هؤلاء أعلنوا إقرارهم بوجود الله .

٢ - ٢٨ لم يصلوا إلى عقيدة .

٣ - ٢٠ لم يهتموا بالتفكير الدينى[1] .

وهكذا نجد الأغلبية الكثيرة يعلنون إيمانهم باللهعن طريق أبحاثهم العلمية،وأن البقية القلة مترددون ، وأنهم سيصلون يوما ما - بمشيئة الله - إلى الإيمان بوجوده تعالى

ولهذا فإن العلم الحقيقى يهدى إلى الإيمان بالله تعالى،يقول الدكتور " أدوارد لوثر كيسيل " : (أضاف البحث العلمي خلال السنوات الأخيرة أدلة جديدة على وجود الله زيادة على الأدلة الفلسفية التقليدية ، ونحن لانقصد من ذلك أن الأدلة الجديدة لازمه ، أو لاغنى عنها ، فقد كان فى الإثباتات القديمة مايكفى لاقناع أي إنسان يستطيع أن ينظر إلى الموضوع نظرة مجردة عن الميل ، أو التحيّز وأنا بوصفي ممن يؤمنون بالله أرحب بهذه الأدلة الجديدة لسببين : أولاً : تزيد معرفتنا بآيات الله وضوحاً ، وهي ثانياً : تساعد على كشف الغطاء عن أعين كثير من صرحاء الشكيين حتى يسلموا بوجود الله ، لقد عمت أمريكا فى السنوات الأخيرة موجة من العودة إلى الدين ..... ولاشك أن الكشوف العلمية الحديثه التى تشير إلى ضرورة وجود

---

(١) انظر العقائد الإسلامية : لسيد سابق ، ص ٤٨ ومابعدها ، نقلاً عن مجلة الأزهر مجلد /٢٩ .

إله لهذا الكون قد لعبت دوراً كبيراً فى هذه العودة إلى رحاب الله والاتجـــاه إليه) [١] .

وقد ذكر الدكتور " جورج هربرت بلونت " أن الاستدلال على وجود الله يقوم علـــى أنواع من الأدلة منها :-

١ - الأدلة الكونية : وهي تقوم على أساس أن الكون متغيّر ، وعلى ذلك ، فانـــه لايمكن أن يكون أبديًا ، ولابد من البحث عن حقيقة أبدية عليا .

٢ - الأدلة التى تقوم على ادراك الحكمة : تقوم على أساس أن هناك غرضاً معينـــاً ،أو غاية وراء هذا الكون ، ولابد لذلك من حكيم مدبر .

٣ - الأدلة التى تكتشف عنها الدراسات الإنسانية : وهي تكمن وراء طبيعة الإنســان الخلقية ، فالشعور الإنساني فى نفوس البشر إنما هو اتجاه إلى مشرع أعظم [٢] .

وغير ذلك مما شهد به الذين هداهم إلى معرفته ، ووجوده ثـم الإيمان به [٣] .

ثانياً : الغلو فى توحيد الربوبية حتى جعل الغاية - بمفرده - دون الالتفات إلى غيره وهــذا يمثل جانب الافراط ، ومعلوم أن المشركين فى الجاهلية مقرون بتوحيد الربوبية بدليـــل قوله تعالى : " ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله". [٤]

ومع هـذا فهـم باقــون على شركهـم ولـم يدخلهـم ذلك - بمفرده - فى الإسلام بل لابـد من إفراد الله بالعباده .

---

(١) الله يتجلى فى عصر العلم : تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين ، ص ٣٢ .
(٢) انظر الله يتجلى فى عصر العلم : ص ٨٦ .
(٣) انظر المرجع السابق بكامله .
(٤) سورة لقمان : آية (٢٥) ، وسورة الزمر : آية (٣٨) .

فهؤلاء الصوفيه ومن سار على نهجهم من جنس أولئك المشركين ، وما أحدثـــوه
من اصطلاحاتهم الخرافيه لا أساس لها فى الدين الإسلامى بل هي منالبدع المحدثة.

المطلب الثاني : الانحراف في مفهوم توحيد الألوهية

هنا الانحراف أشد ، وأفظع ، حيث عبدالمشركون إلهاً آخر مع الله - بزعمهم - لظنهم الفاسد أنه لابد من اتخاذ وسائط بينهم وبين الرب، واعتقدوا فيها النفع ، والضر من دون الله وهذا ماحكاه الله عنهم بقوله تعالى: " مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى"[١] .

القوادح في توحيد الألوهيـــــة :-

تلك القوادح إما أن تكون فى أصل التوحيد فتخرج عن الملة ، أو فى كماله فتنقصه ويتضح ذلك فيما يلى :-

أولاً : الشـــرك باللـــــه :-

قسم الإمام ابن تيمية الشرك إلى قسمين باعتبار وقوعه فى الأمم :-

١ - شرك فى الربوبية ، بأن يجعل لغيره معه تدبير .

٢ - شرك فى الألوهية بأن يدعو غيره دعاء عباده، أو دعاء مسألة .

ثم نجده يقسم الشرك فى الألوهية إلى قسمين : أكبر، وأصغر[٢]، وتابعه تلميذه ابن القيم على هذا التقسيـم.[٣]

---

(١) سورة الزمر : آية (٣).

(٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم : ص ٣٣٣، ٣٥٥، وتلخيص كتاب الاستغاثة : ص ١٤٦، ١٤٧ ، والدين الخالص : للغنوجي ، ١/٦٩.

(٣) انظر إغاثة اللهفان : ١/١٨٤، والداء والدواء : ص ١٧٦ - ١٨٧، ومدارج السالكين : ١/٣٦٨.

الشـــرك الأكـــبر :-

هـــو صـــرف أيّ نـــوع مـــن أنـواع العبـادة لغـير اللـــه ، أو هـــو عبـــادة غـــير الله معـــه .

ومبدأ الشرك الأكبر هو الغلو فى الصالحين وتعظيمهم ، ورفعهم إلى مرتبـــة الألوهيـــة ، ثم عبادتهم من دون الله ، روى البخارى بسنده عن ابن‌عباس قـــال : " صارت الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعد ، أما ود فكان لكلب بدومـــة الجندل ، وأما سواع فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمراد ، ثم لبنى غطيـــف بالجرف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمدان ، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذى الكلاع أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن نصبـــوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصاباً ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلـــك أولئك ونسخ العلم عبدت "(١) .

فهذا النص مفاده : أن تلك الأصنام كانت آلهـــة تعبدهـــا قـــوم نـــوح ، ثم عبدتهـــا العـــرب بعد ذلـــك .

---

(١) صحيح البخارى : كتاب التفسير، باب ود ولاسواع، وقد تكلم ابن حجر على هذا السنـــد وحكى القول بأنه منقطع؛ لأن عطاء المذكور هو الخرسانى ولم يلق ابن عباس، ثم ذكر ابن حجر أن هذا مما استعظم على البخارى أن يخفى عليه، لكن الذى قوى عندى أن هذا الحديث بخصوصه عند ابن جريج عن عطاء الخراسانى، وعن عطاء بن أبى رباح جميعاً ، ولا يلزم من امتناع عطاء ابن أبى رباح من التحديث بالتفسير أن لايحدث بهذا الحديـث فى باب آخر من الأبواب ، أو فى المذاكرة، والا فكيف يخفى على البخارى مع تشـددده فى شرط الاتصال ، واعتماده غالبا فى العلل على ابن المدينى شيخه ، وهو الذى نبه على هذه القصة ، ومما يؤيد ذلك أنه لم يكثر من تخريج هذه النسخة وإنما ذكر بهذا الإسناد فى موضعين هذا وآخر فى النكاح ، ولو كان خفي عليه لأكثر من اخراجها ؛ لأن ظاهرها أنها على شرطه (انظر فتح البارى : ٨/٦٦٧، ٦٦٨) .

لكن ابن الجوزى ذكر : أن الشرك حدث قبل ذلك ، وساق الرواية فى ذلك عن محمد بن السائب الحلبى قال : أخبرنى أبى قال : أول ماعبدت الأصنام كان آدم عليه السلام لما مات جعله بنو شيث بن آدم فى مغارة فى الجبل الذى أهبط عليه آدم بأرض الهند ، ويقال للجبل بوذا ، قال هشام : فأخبرنى أبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال : فكان بنوشيث ابن آدم يأتون جسد آدم فى المغارة فيعظمونه ، ويترحمون عليه ، فقال رجل من بنى قابيل : يابنى قابيل إن لبنى شيث دواراً يدورون حوله ، ويعظمونه ، وليس لكم شىء فنحت لهم صنماً فكان أول من عملها .(١)
وذكر ابن حجر عن السهيلى فى التعريف نحو هذا .(٢)

ومفاد هذا الخبر : أن عهد بنى آدم على التوحيد لم يستمر زمناً طويلاً ، وأنهم لم يلبثوا أن غيّروا ذلك بعد موت آدم مباشره، وهذا يخالف ماروى عن ابن عباس أيضاً أنه كان بين آدم ، ونوح عشرة قرون كلهم على التوحيد .(٣)
وأقول : إن الجزم فى مثل هذه الأمور البعيدة العهد يحتاج إلى نص صريح ، ولا يقال فيه بمجرد الظن ، والتخمين ، وأن الرواية القائلة بأن بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على التوحيد مايرجحها ، وهو أن الفترة الطويلة بين آدم ونوح عليهما السلام التى لم يبعث فيها رسل يرجّح خلوها من الشرك والله أعلم .

حدوث الشرك بعد إهلاك قوم نوح :-

بعدأن تم إهلاك قوم نوح بالطوفان ، ونجى الله نوحاً ، ومن معه من المؤمنين زالت بذلك عبادة الأصنام ، ولم يبق فى الأرض إلا مؤمن موحد ، ويقال : إن نوح

---

(١) انظر تلبيس إبليس : ص ٦٣ - ٦٥.
(٢) انظر فتح البارى : ٦٦٨/٨.
(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن : ٣٠/٣ ومابعدها ، وفتح القدير : ٢١٣/١.

ترك ثلاثة أولاد: سام ، وحام ، ويافث ، وأن أهل الأرض جميعاً بعد الطوفان كانوا من نسل هؤلاء الثلاثه.[1]

ومما يدل على هذا قوله تعالى : " وجعلنا ذريته هم الباقين"[2].

ثم حدث الشرك فى قوم عاد[3] بعد ذلك ، لكن لايُدرى كم من القرون بين نوح وعاد ؟ لكن نجد أنه يأتى دائماً فى القرآن ذكر قصة عاد بعد قصة نوح مايدل على أن عاد خلفت قوم نوح قال تعالى : " واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بصطة "[4].

مظاهر الشرك الأكبر :-

اختلفت تصورات الناس لمعبوداتهم ، فكل واحد يتصور معبوده بصورة غير مايتصورها الآخر ، وليس قصدى فى هذا البحث المختصر التاريخ للجانب المنحرف فى العقيدة فكثرته مانعة من استيعابه ، والفائدة من التاريخ للجانب المنحرف هو الحذر من الوقوع فيه وسأذكر هنا نماذج لذلك فيما يلى :-

تصوّرات اليونانيين للرب :-

يزعم اليونانيون أن " جوبيتر " هو رب الأرباب عندهم ، وكانت صورته أقرب إلى صورة الشيطان منها إلى صورة الأرباب المنزهين فقد كان حقوداً لدوداً مشغولاً بشهوات

---

(١) انظر دعوة التوحيد : للهراس ، ص ١٣٦ ومابعدها .

(٢) سورة الصافات : آية (٧٧).

(٣) وكان قوم عاد يسكنون الأحقاف ، وقد بلغوا من القوة ، والشدة درجة عظيمة ، وكانوا يتفننون فى بناء القصور الشامخه، قال تعالى : " أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ، وإذا بطشتم بطشتم جبارين" (سورة الشعراء : الآيات (١٢٨-١٣٠) وكانوا يعبدون الأصنام فأرسل الله إليهم هودا فدعاهم إلى عبادة الله وحده لكنهم أصروا على الشرك فأهلكهم الله .

(٤) سورة الأعراف : آية (٦٩).

الطعام والغرام ، لايبالى من شؤون الأرباب والمخلوقات إلا مايعنيه على حفظ سلطانه، والتمادى فى طغيانه ، وكان يغضب على " أسقولاب " إله الطب، لأنه يداوى المرضى فيحرمه جباية الضريبة على أرواح الموتى ، وكان يغضب على " بروميثيوس " إله المعرفة والصناعة ؛ لأنه يعلم الإنسان على استخدام النار فى الصناعة ، وقد حكم عليه بالعقاب الدائم. (١)

بعض الآلهة عند اليونانيين :-

١ - " زيوس " : هو آلهة الزمن ، " ولترا" آلهة الأرض .

٢ - أثينا : آلهة الحكمة والعلوم والفنون ، وكانت مقربة إلى كبير الآلهة"زيوس" .

٣ - هستيا : آلهة النار عندهم .

٤ - أبولو : وهو أحد أبناء " زيوس " وقد خصه أبوه بالضوء. (٢)

٥ - " أرتيميز " : وهي ابنة " زيوس " ، وكانت توأما لأخيها "أبولو" وهي فى الأرض آلهة الغابات والصيد .

٦ - " تميس " : وهو عندهم إله العداله والقانون والسلام .

٧ - " ايروس ": كان رمز الحب ، وقد علمه أبوه أنه سيكون مبعث المتاعب والشقاء.

٨ - " جوفيتس" : ساقية الإله، ورمزوا لها بامرأة توجت رأسها بالأزهار، وفى يدها قدح . (٣)

وغير ذلك من المزاعم الخرافية ، وإنما ذكرت اليونان كنموذج لتصورهم الخرافي للإله ؛ لأن اليونان تعتبر مهداً للحضارات القديمه فى الفلسفة ، وجميع فروع العلوم

---

(١) انظر كتاب العقيدة فى الله : ص ٢٥٤ - ٢٥٥.

(٢) انظر كتاب الإنسان فى ظل الأديان : د. عمارة نجيب : ص ٢٧٠ ومابعدها .

(٣) انظر المصدر نفسه : ص ٢٧١ ومابعدها .

الأخرى ، إلا أن هذه البلاد رغم مابلغته من رقي فى ذلك ، لم تصل من ناحية العقيدة إلى الإله الحقيقى الذى يستحق أن يعبد ، وذلك بسبب اعتمادها على العقل الإنسانى وحده .

ومن هذا المنطلق وهو التصور الخاطئ للرب . تعددت الآلهة عند المشركين:

فهناك من عبد الأصنام ، والأوثان [1] :

أول شرك حدث فى الأرض كان بين آدم ونوح بعد القرون العشرة الذين كانوا على الإسلام كما ذكر ذلك ابن عباس وقد سبق بيانه. [2]

وقد ذكر ابن الجوزى : أن جماعة من القدماء بنوا بيوتاً للأصنام ،منها : بيت على رأس جبل بأصبهان [3] كانت فيه أصنام أخرجها كوشتاسب لما تمجس وجعله بيت نار ، والثانى ، والثالث : فى أرض الهند ، فقد كانت شريعة الهند وضعها لهم رجل برهمى ، ووضع لهم أصناماً ، وجعل أعظم بيوتهم بالملتان - مدينه من مدائن السند - وجعل فيه صنمهم الأعظم ، فالهنود يحجون إليه ، ويطوفون بالصنم .

والرابع: بمدينة بلخ بناه بنو شهر [4] فلما ظهر الإسلام هدمه أهل بلخ. [5]

---

(١) جمع صنم، يقال : إنه معرب شمن ، وهو الوثن ، قال ابن سيدة: ينحت من خشب ويصاغ من فضة، ونحاس، وهو مايعبد من دون الله ، وقيل : ماكان له جسم أوصورة فإن لم يكن له جسم أوصورة فهو وثن (انظر لسان العرب:٢/٣٤٩ مادة "صنم".) .

(٢) انظر ص ٢٤٨ من هذا البحث .

(٣) مدينة عظيمة مشهورة ، وهى اسم للإقليم بأسره، واختلف فى سبب تسميتها فقيل: نسبة إلى أصبهان بن فلوح ، وقيل: هى اسم مركب" أصب" اسم البلد ، " هان" الفارس أى بلاد الفرسان بلغة الفرس (انظر معجم البلدان ١/٢٠٦ ومابعدها) .

(٤) نسبة إلى شهر بن باذان (انظر جمهرة أنساب العرب:لابن حزم، ص ٥١٢) .

(٥) انظر تلبيس إبليس : ص ٧١ ، وإغاثة اللهفان: ٢/٢٢٢، ٢٢٣ .

وغير ذلـــك .[1]

بعض مظاهر الشرك عند الهنـود :-

أكثر الهنود على مذهب الصابئة[2] ، ومناهجها ، وهم أشد الأمم فى هـــذا النوع من الشرك ، فالهند اشتهرت بكثرة الأديان،والمعتقدات الباطله التى تضاهـــي فى كثرتها لغاتها تقريباً وأشهر عقائد الهند الخرافيه مايلى :-

أ - الهندوسيـــة :-

أو " البرهمية"[3] وهي ديانة الجمهرة العظمى فى الوقت الحاضر،وهـــي مجموعة من التقاليد ، والأوضاع ، تولدت من تنظيم الآريين[4] لحياتهم جيـــلاً بعد آخر عندما وفدوا إلى الهند ، وليس لها صيغ محدودة المعالم وهي تشمل من العقائد مايهبط إلى عبادة الأحجار ،والأشجار ،ومايرتفع إلى التجريدات الفلسفية ومن كتبهم " الويدا" وهو ليس له واضع معيّن ، كما يعتقدون أنـه أزلى[5] .

---

(١) انظر تلبيس إبليس : ص ٧٢، وإغاثة اللهفان : ٢٢٢/٢، والملل والنحل : للشهرستاني ، ٢٣٤/٢.

(٢) أصل هذه الكلمة من قولهم: صبأت إذا خرجت من شئ إلى شئ، وصبأت النجـــوم إذا ظهرت .
والصائبون الخارجون من دين إلى دين وللعلماء فى مذاهبهم عشرة أقوال: أحدها : أنهم بين النصارى،والمجوس، وثانيهـا : أنهم بين اليهود والمجوس، وثالثها : أنهم بين اليهود والنصارى(انظر بقية الأقوال فى كتاب تلبيس إبليس : ص ٨٦ ومابعدها) .

(٣) ينتسبون إلى رجل منهم اسمه براهم ، وليس كما يظن الناس أنهم ينتسبون إلى إبراهيم الخليل،فإن ذلك خطأ لأنهم ينفون النبوات أصلاً(انظر الملل والنحل: للشهرستانـــى : ٢٥٠/٢).

(٤) لقب أصله سنسكريتي ومعناه : نبيل استخدمه الهندوس لتمييز أنفسهم عن غيرهم(انظـــر الموسوعة العربية الميسرة : ١٢٦/١).

(٥) انظر كتاب أديان الهند الكبرى : د.أحمد شلبى، ص ٣٩ ومابعدها، ط٥، ١٩٧٩م نشر مكتبة النهضة المصرية، وفى ذيل الملل والنحل: لمحمد سيد كيلانى، ص ٩-١٣، ط ١٤٠٢هـ ، تشر دار المعرفة بيروت، وفى كتاب الإنسان فى ظل الأديان: د.عمارة نجيب ، ص ١٧٦ - ٢٠٦ ، ط ١٤٠٠، نشر مكتبة المعارف ، الرياض .

ب - البوذيـــة :-

وهى نشأت كرد فعل لاستبداد البراهمة ، ثم امتزجت فيما بعـد بالهندوسية ، ولكن الجيل الجديد فى الهند بين البوذية ، والفراغ،والمسيحية[1]

أصحـاب الروحانيـات :-

وهم الذين يعتقدون أن هنـاك وسائط روحانية يأتون بالرسالة مـن عنـد الله فى صورة البشر من غير كتاب فمـن هوءلاء :-

١ - الباسنويـة :-

زعموا أن رسولهم روحاني نزل من السماء على صورة بشر فأمرهم بتعظيم النار ، والتقرب إليها بالطيب والذبائح ، وأمرهم أن يتخذوا على مثاله صنمـاً يعبدونه،ويطوفون حوله كل يوم ثلاث مرات بالمعازف والغناء، وأمرهم بتعظيم البقرة والسجود لها حيث رأوها ، وأن يفزعوا فـى التوبة إلى التمسح بها .[2] وقد حظيت البقرة عند الهنود بقدسيتها الخاصة بقيت لها حديثاً كما كانـت قديماً حتى قال عنها الماهاتما غاندى[3] : عندما أرى بقرة لا أعدنى أرى حيواناً

---

(١) انظر أديان الهند الكبرى : ص ١٣٧ - ٢٠٤، وذيل الملل ، والنحل :ص١٣-١٨، وكتاب الإنسان فى ظل الأديان : ص ٢٠٦.

(٢) انظر الملل والنحل : ٢٥٦/٢.

(٣) هو غاندى موهانداس كرشمند ولد سنة ١٨٦٩م وهو أكبر زعيم سياسي أنجبته الهند فى العصر الحديث تعلم بالهند ، ولندن بدأ يمارس المحاماة١٨٨٩م، ثم ذهب إلى جنوب إفريقيا للدفاع عن حقوق الهنود هناك، ثم عاد إلىالهند سنة ١٩١٥م حيث طرح وراء ظهره العادات الأوروبية ، واتبع نظاما شديد التقشف فى معيشته ، نادى بوحدة الجنس البشرى، ولكنه نشط فى معاونة الانجليز إبان الحرب العالمية الأولى، وتنكروا له بعـد انتهاء القتال، واضطهدوه، انتخب عدة مرات للموءتمر الوطنى الهندىولقب بالمهاتما (أى الروح العظيمه) توفى سنه ١٩٤٨م(انظر الموسوعة العربية الميسرة:١٢٥١/٢).

؛لأنى أعبد البقرة، وسأدافع عن عبادتها أمام العالم أجمع[١]. ولهم كيفيـــه خرافية فى الصلاة إليها . [٢]

٢ - الباهوديـــة :-

زعموا أن رسولهم على صورة بشر راكب على ثور على رأسه إكليل من عظـام الموتى ، يأمرهم بعبادة الخالق عز وجل، وبعبادته معه، وأن يتخذوا على مثالـه صنماً يعبدونه . [٣]

٣ - البهادونيـــة :-

يزعمون أن « بها دون " كان ملكاً عظيماً جاء فى صورة إنسان عظيـــم راكب على دابة ، أمرهم أن يحجوا إلى جبل " جورعن " وعليه بيت عظيم فيـــه صورته ،فإذا فتحوا الباب سدوا أفواههم حتى لاتصل أنفاسهم إلى الصنم. [٤]

عبدة الأصنام، والكواكـــــب :-

ذكر الشهرستاني أنه لم ينقل للهند مذهب فى عبادة الكواكب إلا فرقتان توجهتا إلى الشمس والقمر ومذهبهم فى ذلك مذهب الصابئه، وزعموا : أنهما ملكان من الملائكـــة يستحق كل منهما التعظيم والعبادة بالسجود والدعاء. [٥]

---

(١) انظر ذيل الملل والنحل : ص ١٧٦.
(٢) انظر أديان الهند الكبرى : ص ٣٠.
(٣) انظر الملل والنحل : ٢/٢٥٧.
(٤) انظر المرجع نفسه : ٢/٢٥٧.
(٥) انظـر المرجـع نفسه: ٢/٢٥٨ ومابعدها .

أما عباد الأصنام منهم فهم فرق :-

١ - المها كاليـــة :-

لهم صنم يدعى " مها كال " له أربع أيد ، يزعمون أنه عفريت يستحـق العبادة لعظمة قدره ، ويعتقدون أنه المفزع لهم فى حاجاتهم وله بيوت عظـــام فى أرض الهند يأتون إليه كل يوم ثلاث مرات يسجدون له ، ويطوفون به. (١)

٢ - الدهكينيـــة :-

يتخذون صنماً على صورة امرأة ، وفوق رأسه تاج ، ولهم عيد فى يـــوم من أيام السنة عند استواء الليل والنهار ، فيقربون للصنم الذبائح فيضربـــون أعناقها بالسيوف ، ويقتلون من أصابوا من الناس قرباناً بالغيلة. (٢)

٣ - البركسهيكيـــه :-

هؤلاء يتخذون صنماً يعبدونه ، ويقربون له الهدايا ، وموضع متعبدهم أن ينظروا إلى باسق الشجر وملتفه ، فيلتمسون منها أحسنها وأطولها فيجعلون ذلك الموضع ، موضع متعبدهم ، ثم يأخذون ذلك الصنم فيأتون شجرة عظيمـــة فينقبون فيها موضعاً فيركبونه فيها فيكون سجودهم وطوافهم نحو تلك الشجرة (٣).

معبودات أخــــرى :-

ولهم معبودات أخرى غير ماذكرنا منهـــا :-

---

(١) انظر الملل والنحل : ٢/ ٢٦٠.
(٢) انظر المرجع نفسه : ٢/ ٢٦١.
(٣) انظر المرجع نفسه : ٢/ ٢٦٠.

عبّاد الماء :-

ويسمون " الجلهكية " ، و " الحلبانية " ، ومن شريعتهم فى عبادته: أن الشخص منهم يتجرد ، ويستر عورته ، ثم يدخل فى الماء ، حتى يصير إلى وسطه فيقيم فيه ساعتين ، أو أكثر بقدر مايمكنه ؛ فإذا أراد الانصراف حرك الماء بيديه ، ثم يسجد وينصرف.(١)

بعض مظاهر الشرك عند أهل الصين :-

إن الصين على اتساع رقعتها،وكثرة شعوبها لم يصل إلى علمنا معرفة رسالة دينية واحدة نشأت فيها ، ولكنها وردت إليها معتقدات فاسدة ومنحرفة من الخارج ورضيت بها كديانة وذلك كعقائد البوذية ، والمجوسية، والمسيحية ، وكانت تدفع رسوماً اقطاعية لنظام كاهن واحد اسمه " ابن السماء" الكاهن الأعظم عندهم ، وكل ماستطاع أن يصل إليه الإنسان الصينى هو إقامة الهياكل لـ " كنفشيوس"(٢) ، ثم عبدوه، وهم يتقربون إليه بالذبائح ، ويبلغونه صلواتهم بإشعال النار على قمم الجبال ، فيعلم الإله فحوى الرسالة التى يرفها إليه عباده مما يودعه الكاهن فى دخانها ، ويداول تركيب الوجود من عنصرين هما:عنصر السكون "ين" والحركة " ينج" ، وهناك ديانات أخرى فى الصين تركنا تفصيلها هنا خشية الإطالة.(٣)

---

(١) انظر الملل والنحل : ٢/٢٦١، وإغاثة اللهفان : ٢/٢٣٥.

(٢) يتألف من شقين "كونج" اسم القبيلة التى ينتمى إليها ، وتوتس ومعناه: الرئيس والفيلسوف فاسمه يعنى رئيس كونج ، أوفيلسوفها ، ولد فى مدينة" تسو" سنة ٥٥١م وكان أبوه ضابطاً حربياً مات أبوه وهو فى الثالثة من عمره، وترك أسرته فى حالة فقر، فاضطر أن يشتغل برعي الأغنام عند أحد الأجراء ، وقد قضى وقت فراغه فى دراسة الآداب القديمة والفلسفة (انظر ذيل الملل والنحل : ص ١٩ - ٢٥).

(٣) انظر الإنسان فى ظل الأديان : د. عمارة نجيب ، ص ٢٣٠ - ٢٣٣، وذيل الملل والنحل : لمحمد سيد كيلاني ، ص ١٩ - ٢٥ .

ولكن الصين فى الوقت الحاضر انقسمت إلى قسمين : شعبية ، وشيوعية ، فالشيوعية انتحلت المذهب الشيوعي المادى الالحادى.

بعض مظاهر الشرك عند اليابانيين :-

تنتشر عنداليابانيين أديان ثلاثة مشهورة وهى :-

١ - الشنتوية :-

وتعنى طريق الآلهة ، وهي لاتنسب إلى موسس معيّن ، والراجح أنها كانت فى أدوارها ضربًا من عبادة الأرواح ، ويظهر ذلك فى التعاويذ الخشبية أو الورقية التى تعلق عادة فوق أبواب المنازل ، وقطع القماش التى ترفرف فوق الآبار ، والأشجار المقدسة ، وحبال القش التى تتدلى فوق أبواب الهياكل ومن آلهتهم الطبيعية إله الأرز الذى تكثر معابده فى اليابان، ويطلقون كلمة " كامي " على كل إله يسمو فوق الفرد .

٢ - عبادة الميكادو :-

وهو زعيم قبيلة " يماتو " اليابانية الذين صاروا فيما بعد سادة اليابان ، ويعتبرونه مركز دينهم وعبادتهم ، ثم زعموا أن الشمس تمتُّ إليهم بصلة القربى ، ومنها تحدر الميكادو فحسبوه ممثل الشمس ، وآلهة السماء على الأرض[١] .

٣ - البوذيه اليابانية :-

وتعتبر " بوذا " جوهراً إلهيًا حالاً فى الكون ومتمثلاً فى أوضاع مجسمه مختلفة[٢]، ولعل هذه الديانة مأخوذه عن الهنود .

---

(١) انظر ذيل الملل والنحل : لمحمد سيد كيلاني ، ص ٢٨ - ٣٢ .
(٢) انظر المصدر نفسه : ص ٢٨ - ٣٢ .

بعض مظاهر الشرك عند المجـــوس :-

المجوس عبَّاد النار ، وقد ذكر ابن الجوزى : أن عبادة النار كانت من عهـد قابيل ، ثم سرى هذا المذهب فى المجوس فبنوا لها بيوتاً كثيرة واتخذوا لها السدنة، فلا يدعونها تخمد لحظةً واحدة ، ثم هم يفضلونها على التراب ، ويصوبون رأي إبليـس حينما زعم أنه خير من آدم حيث خلق من عنصر النار ، ومن عبادتهم لها أن يحفـروا لها أخدوداً مربعاً فى الأرض ويطوفون به ، وهم أصناف مختلفه ، ومنهم من يحـــرم إلقاء النفوس فيها وهم أكثر المجوس ، وطائفة أخرى يقربوا أنفسهم، وأولادهم لها وهـم أكثر ملوك الهند واتباعهم.(١)

بعض مظاهر الشرك عند الصائبة :-

اختلف الناس فى الصائبة اختلافاً كثيراً بحسب ما وصل إليهم من معرفة دينهـم، وهم منقسمون إلى مؤمن وكافر قال تعالى :"ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هــــم يحزنون"(٢) . فذكرهم فى الأمم الأربعة الذين منهم ناج وهالك ، وذكرهـــم فى الأمم الست الذين انقسمت جملتهم إلى ناج وهالك ، قال تعالى : "إن الذيـن آمنوا والذين هادوا والصابئين ،والنصارى ، والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصـــل بينهم يوم القيامة"(٣) ، فذكر الأمتين اللتين لاكتاب لهم ، ولا ينقسمون إلى شقي وسعيد ، وهما : المجوس والمشركون - فى آية الفصل - ولم يذكرهما فى آية الوعد بالجنة ، وذكر الصابئين فيهما فعلم أن فيهم شقي ، وسعيد .(٤)

---

(١) انظر تلبيس إبليس :ص ٧٣، وإغاثة اللهفان : ٢٣٤/٢ ومابعدها .
(٢) سورة البقرة : آية (٦٢) .
(٣) سورة الحج : آية (١٧) .
(٤) انظر إغاثة اللهفان : ٢٤٩/٢ ، ٢٥٠ .

وهؤلاء كانوا قوم إبراهيم الخليل عليه السلام، وكانوا بحرّان - فهي دار الصابئة - وكانوا قسمين : صابئة حنفاء، وصابئة مشركون ، والمشركون منهم يعظمون الكواكب السبعة[1] والبروج ، ويصوّرونها فى هياكلهم ، ولهذه الكواكب عندهم عبادات، ودعوات مخصوصه ويتخذون لتلك أصناماً تخصها ، ويقربون لها القرابين ، ولها صلوات خمس.

وأكثر هذه الأمة فلاسفة - وهم يأخذون من كل دين مادلت عليه عقولهم، وكانت قريش تسمى النبى صلى الله عليه وسلم صابئاً .[2]

قال ابن الجوزى : (وقد حسّن إبليس لأقوام من الصابئين أنهم رأوا الكمال فى تحصيل مناسبهم بينهم وبين الروحانيات العلوية باستعمال الطهارات ، وقوانين ودعوات واشتغلوا بالتنجيم ، والتسخير ، وقالوا: لابد من متوسط بين الله وبين خلقه)[3]

وقد ناظرهم إبراهيم عليه السلام فى بطلان ألوهيتها من دون الله أحسن مناظرة وأبينها ظهرت فيها حجته ، ودحضت شبههم ، بعد أن بين بطلان إلهية الكواكب بأفولها ، وأن الإله لايليق به أن يغيب ، بل لايكون إلا شاهداً، قال تعالى : " فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربى ، فلما أفل قال : لا أحب الأفلين فلما رأى القمر بازغاً قال : هذا ربى فلما أفل قال : لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال : هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال : ياقوم إنى برئ مما تشركون ، إنى وجهت وجهي للذى فطر السموات -

---

(١) هى الكواكب السيارة : زحل ، والمشترى ، والمريخ ، والشمس ، وعطارد ، والزهرة، والقمر(انظر مفاتيح العلوم : للخوازمي ، ص ٢٣٥).

(٢) انظر اغاثة اللهفان : ٢/٢٥٠ - ٢٥٣.

(٣) تلبيس إبليس : ص ٨٧.

والأرض حنيفاً ، وما أنا من المشركين ، وحاجه قومه قال : أتحاجوني فى الله وقد هداني ، ولا أخاف ماتشركون به إلا أن يشاء ربى شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون "(١) وقال تعالى : " وتلك حجتنا آيتناها إبراهيم على قومه . . . "(٢) .
وقد ذكر القرطبى : أن ذلك إشارة إلى جميع احتجاجاته على قومه حتى خاصمهم وغليهم بالحجة ، وقيل : حجته عليهم لما قالوا له : أما تخاف أن تخبلك آلهتنا لسبك إياها ؟ قال لهم : أفلا تخافون أنتم منها إذ سويتم بين الصغير فى العبادة والتعظيم فيغضب الكبير فيخبلكم. (٣)

وهذه الطريقة فى احتجاج إبراهيم لدينه وتزييف دين قومه أتى بها على سبيل التدرج فى الالزام وهو أن الكواكب لاتصلح أن تكون آلهة ، وإنما الإله الذى خلقهن من العدم. (٤)

والواقع أن مواقف إبراهيم مع قومه متعددة ، فتارة يحاج والده، وتارة يحاج الجمهور ، وتارة يحاج الملك ، فمن محاجته لأبيه وقومه ماذكره الله فيقوله تعالى :"واتل عليهم نبأ إبراهيم ، إذ قال لأبيه وقومه ماتعبدون ؟ قالوا : نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين ، قال : هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم ، أو يضرون ، قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ، قال : أفرأيتم ماكنتم تعبدون ؟ أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين . . . . . الآيات " . (٥)

---

(١) سورة الأنعام : الآيات (٧٦ - ٨٠) .
(٢) سورة الأنعام : آية (٨٣) .
(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن : ٧/ ٣٠ .
(٤) انظر قصص الأنبياء : للنجار : ص ١٠٥ .
(٥) سورة الشعراء : الآيات (٦٩ - ٨٩) .

فلما لم تنفع مع قومه الحجة بالقول ، أتخذ طريقة أخرى وهي إقامة الحجة عليهم بالفعل؛لأن البرهان العملي أوقع فى النفس ، وأرجى أن يحرز القبول فكسر أصنامهم وعلق الفأس بالصنم الأكبر،قال تعالى : " فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون ، قالوا : من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين ، قالوا : سمعنا فتى يذكرهم يقال له : إبراهيم ، قالوا : فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون ، قالوا : أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ، قال : بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون ، فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون"(١) .
فلما ظهرت حجته ، ودحضت شبهتهم رأى الفرصة سانحة لالزامهم الحجة،قال تعالى مخبراً عنه : " أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم ، أفٍ لكم ، ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون "(٢) .

فلما أعيتهم الحجة ، ووجدت موعظته منهم قلوباً غلفاً،وأذاناً صماً لجأوا إلى القوة والعنف،قال تعالى فيما حكاه عنهم :" قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين ، قلنا : يانار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم"(٣) .

<u>بعض مظاهر الشرك عند قدماء المصريين :-</u>

اجتمعت على أرض مصر عبادات مختلفة ، فالجماعات التى سكنتها عُنيت بالفلاحة فهي معنية بالأرض ، كما هي معنية بالسماء ، فعبدوا الشمس ، والقمر ، كما عبدوا

---

(١) سورة الأنبياء : الآيات (٥٧ - ٦٤) .
(٢) سورة الأنبياء : آيتا (٦٦ ، ٦٧) .
(٣) سورة الأنبياء : آيتا (٦٨ ، ٦٩) .

الأسلاف ، والأرواح ، ومظاهر الطبيعة ، والطواطم[1] ، ويلاحظ أن ديانة قدماء المصريين مادية فآلهتهم ، أناس ، وحيوانات ، ونباتات ، وأعمالهم ، وتقريراتهم ومعظم تصرفاتهم بشرية مع إضفاء الخرافة عليها ، فالسماء عندهم بقرة تقوم على أربعة أعمدة كقيام البقرة على أربع قوائم ، أو امرأة راكعة يداها على جانب من الأرض ، ورجلاها على جانب آخر،رأسها فى الشرق ، وقدماها فى الغرب ، ويقف تحت بطنها إله الفضاء " شو " يرفعها ، كما عبدت فى مصر قديماً أعضاء التناسل؛لأنها رمز الخصب، والتوالد [2] ، كما عبدوا النيل ،وكان يمثل عندهم فى شكل ذكر وأنثى فى آن واحد [3].

بعض مظاهر الشرك عند العرب فى الجاهلية :-

كان العرب على التوحيد وهو دين أبيهم إبراهيم عليه السلام، واستمروا على ذلك إلى أن جاء عمرو بن عامر الخزاعي ، فغير دينهم ، وجعلهم ينحرفون عن التوحيد إلى الاشراك بالله وذلك بدعوتهم لعبادة الأصنام ،واستحدث بدع، حيث حرم أشياء ، وأحل أخرى بمجرد هواه. [4]

ثم نجد الروايات تختلف فى الكيفية التى نشر عمرو بوساطتها الأصنام فى جزيرة العرب وهناك روايتان :

١ - أن عمرو هذا كان له رئى من الجن - يكنى أباثمامة - فقال له : عجل بالمسير ،

---

(١) تطلق على كل أصل حيوانى، أو نباتي تتخذه عشيرة ما ، رمزاً لها ولقباً لجميع أفرادها، معتقدة أنها تؤلف معه وحدة اجتماعية، وتنزله منزلة التقديس، والطواطم الحيوانية أكثر عدداً من الطواطم النباتية، ولاتوجد نظرية واحدة مقبولة عن أصل ذلك النظام(انظر الموسوعة العربية الميسرة: ١١٦٦/٢، والإنسان فى ظل الأديان:ص١١٢ومابعدها).

(٢) انظر كتاب الديانات ، والعقائد فى مختلف العصور: لأحمد عبدالغفور عطار، ٣٠٣/١- ٣٦٢، وكتاب الإنسان فى ظل الأديان : د.عمارة نجيب، ص ١٣٧ ومابعدها، ومقارنة الأديان : لمحمد أبى زهرة، ص ٥-١٨، و ذيل الملل والنحل: ص ٣ - ٩.

(٣) انظر ذيل الملل والنحل : ص ٤.

(٤) انظر العقيدة فى الله : د. الأشقر، ص ٢٦٢ ومابعدها.

والضعن من تهامه بالسعد والسلامه ، فقال له : ائت ضف جدة تجد فيها أصناماً معدة فأوردتها تهامه ولاتهاب ، فأتى بحر جده فاستشارها حتى ورد بها تهامه ، وحضر الحج فدعا العرب إلى عبادتها قاطبة ، فأجابه عوف بن عذرة فدفع إليه وداً ، ودفع إلى هذيل سواعاً ، وإلى مراد يغوث، وإلى همدان يعوق، وإلى حمير نسراً هذا ملخص الرواية الأولى ، وقد ذكرها ابن الجوزى (١) ، وتابعه على ذلك ابن القيم. (٢)

قلت : وهذه القصة بعيدة الثبوت ، إذ كيف يعقل أن تبقى تلك الأصنام من عهد نوح إلى هذه المدة خاصة وأن الطوفان غطّى كل شيء ، فهي إن كانت أحجاراً فكيف يجترفها الماء إلى جدة ؟ وإن كانت من خشب فكيف تبقى هذه المدة الطويلة ؟ ، ثم إن المسافة بين جده والمكان الذى بعث فيه نوح بعيد جداً ؟ والله أعلم .

وأما ماروى البخارى عن ابن عباس وفيه ثم صارت تلك الأصنام فى العرب فليس المراد بذلك أنها هي بعينها التى كانت فى عهد نوح ، وإنما المراد أن العرب المذكورين نحتوا أصناماً وسموها باسماء أولئك الرجال الصالحين ، فانتقال ذلك بالفكرة لابذوات تلك الأصنام بعينها .

٢ - أن عمرو جاء بالأصنام من بلاد الشام عندما رآهم يعبدونها،وطلب منهم صنماً فأعطوه واحداً نصبه بمكة. (٣)

---

(١) انظر تلبيس إبليس : ص ٦٥.

(٢) انظر إغاثة اللهفان : ٢/٢٠٧.

(٣) انظر تلبيس إبليس : ص ٦٧ ، وإغاثة اللهفان : ٢/٢٠٠ ، وكتاب دعوة التوحيد : للهراس ، ص ٢٤١.

والسبب فى كون العرب تابعت عمروًا ؛ لأنه كان ذو مكانة فيهم ، فقد كان سيد خزاعة فى حال غلبتها على مكة .[١]

ثم انتشرت عبادة الأصنام والأوثان فى جزيرة العرب ، حتى إن لكل قبيلة بل لكل فرد صنمًا ، إذ أراد أحدهم السفر كان آخر مايصنع فى منزله أن يتمسح به،وكذلك إذا قدم،وقد ذكر الكلبى أن لكل دار بمكة صنم يعبدونه.[٢]
وكان أول أمرهم يعظمون الحرم فكان لايضعن ضاعن منهم عن الحرم إلى غيره إلا حمل معه حجرًا من حجارة الحرم تعظيمًا له .[٣]
ومن أصنامهم اللّات[٤] ، والعزّى[٥] ومناة[٦] وقد ورد ذكرها فى القرآن ، قال تعالى منكرًا على المشركين فى اتخاذها آلهة من دونه :" أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى".[٧] .

---

(١) انظر العقيدة فى الله : د. الأشقر ، ص ٢٦٣.
(٢) انظر كتاب الأصنام : للكلبى ، ص ٣٠، ط ٢.
(٣) انظر كتاب الأصنام : ص ٦ ، وإغاثه اللهفان : ٢/٢١٠.
(٤) صخرة بيضاء منقوشة عليها بيت بالطائف له أستار، وكانت ثقيف تعبدها ويفخرون بها على سائر العرب مشتقة من اسم الله الإله ، وهدمها المغيرة بن شعبة .
(انظر كتاب تلبيس إبليس : ص ٦٧، ٦٨، وإغاثة اللهفان : ٢/٢١٢).
(٥) هي أحدث من اللات اتخذها ظالم بن سعد ، وكانت بوادى نخلة الشاميه بين مكة والطائف،وهى ثلاث سمرات حولها أستار وسدنة ، وهي لقريش، مشتقة من اسم الله العزيز، هدمها خالد بن الوليد عام الفتح .
(انظر ذلك فى تلبيس إبليس: ص ٦٨، وفى إغاثة اللهفان: ٢/٢١٣، ٢١٤).
(٦) وهي من أقدم أصنام العرب، وكان منصوبًا على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد بين مكة والمدينة،كانت العرب جميعها تعظمه، وهى للأوس والخزرج، وقيل:غير ذلك مشتقة من اسم الله المنان .
(انظر تلبيس إبليس : ص ٦٧، وإغاثة اللهفان : ٢/٢١١).
(٧) سورة النجم : آية (١٩، ٢٠).

وكان لقريش أصنام فى جوف الكعبة وحولها ، وأعظمها عندهم هُبُل ، وهو من عقيق أحمر على صورة إنسان ، مكسور اليد اليمنى ، فأدركته قريش فجعلوا له يداً من ذهب. (١)

وبهذا يتبين أنه لم يكن قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم من بقايا التوحيد الخالص الذى جاءت به الرسل إلا فى أفراد يعدون على الأصابع ، أمثال زيد بن عمرو بن نفيل وهو لم يدخل لا فى يهوديه ولا نصرانية ، وفارق قومه ، فاعتزل الأوثان ، لم يأكل من الذبائح التى تذبح عليها ، وأنكر ما كان يفعله المشركون من عبادة الأصنام وغيرها . (٢)

قال ابن الجوزى : (وممن كان يقر بالخالق والابتداء ، والاعادة ، والثواب،والعقاب عبدالمطلب بن هاشم ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وقس بن ساعده ، وعامر بن الظرب) (٣) .

وبقيت تلك الأصنام منصوبه حول الكعبه حتى فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ،ووجد حول البيت ثلاثمائة وستين صنماً فجعل يطعن بقوسه فى وجوهها،ويقول :"وقل :جاء الحق، وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً (٤)"، ثم أمر بها فكفئت على وجوهها، ثم أخرجت من المسجد فحرقت. (٥)

وإلى جانب هذا كانوا فى الجاهلية يستعيذون بالجن ، قال تعالى مخبراً عنهم:" وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً" (٦) .

---

(١) انظر تلبيس إبليس : ص ٦٨ .
(٢) انظر العقيدة فى الله : د. الاشقر، ص ٢٦٦ ومابعدها .
(٣) تلبيس إبليس : ص ٧٥ .
(٤) سورة الإسراء : آية (٨١) .
(٥) انظر كتاب تلبيس إبليس : ص ٧٠، وإغاثة اللهفان : ٢/٢٢١ .
وهذا الخبر مذكور فى كتب التاريخ وغيرها أيضاً .
(٦) سورة الجن : آية (٦) .

ومعنى رهقًا : قيل خطيئة وإثمًا .

وقيل : تكبرًا ، وطغيانًا .

والاستعاذة بغير الله شرك أكبر[1] .

وهناك خرافات أخرى يعتقدون أن لها تأثيرًا من دون الله :-

ومن ذلــك :-

السحر [2] ، والكهانــة[3] :-

وقد أخذ العرب السحر من البابليين لقربهم من جزيرة العرب، فقد دفعتهم طقوسهـم الدينية إلى العناية بالسحر ، والشعوذة ، وتكهنوا بالغيب وعملوا التمائم ، والرقــى ، ولاتزال - مع الأسف - تستعمل فى لغتنا العربية بعض الألفاظ المنقولة عنهم كســــوء الحظ ونحو ذلك. [4]

وما يأتى به السحرة إنما هو استعانة بالشياطين[5] ، فمن هنا تظهر علاقــة السحر بالشرك .

وأما الكهانة : فلما كان فيها ادعاء مشاركة الله فى علم الغيب صارت شركًا بهذا الاعتبار.

وقد ذكر ابن حجر : أن الكهانة فاشية فى العرب فى الجاهليه لانقطاع النبوة عنهم[6] .

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن : ١٩/١٠.

(٢) لغة عبارة عما خفى ولطف سببه ودق مأخذه (انظر لسان العرب: ٤/٣٤٨-٣٥٢ مادة "سحر") واصطلاحًا :عزائم، ورقى ، وعقد تؤثر فى القلوب والأبدان فتمرض، وتقتل بإذن الله (انظـر فتح البارى: ١٠/٢٢٢) . وقيل فى تعريفه غير ذلك.

(٣) لغة يقال: كهن له، وتكهن إذا قضى له بالغيب، وتطلق العرب على كل من يتعاطى علمًا دقيقًا كاهنًا، ومنهم من يسمى الطبيب والمنجم كاهنًا (انظر لسان العرب: ١٣/٣٦٢ مادة "كهن") واصطلاحًا :ادعاء علم الغيب كالاخبار بما سيقع فى الأرض مع الاستناد إلى سبب (انظر فتح البارى : ١٠/٢١٦).

(٤) انظر كتاب الديانات، والعقائد فى مختلف العصور : ١/٢١٧.

(٥) انظر كتاب النبوات: ص٢٥٨ ومابعدها ، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان : ص٧١ والجواب الصحيح : ١/٣٢٥.

(٦) انظر فتح البارى : ١/٢١٧ ومابعدها .

اعتقادهم في الهامـــة :-

الهامة طائر من طيور الليل - ولعلها البوم - وقد ذكر ابن حجر: أن العرب فى الجاهلية تقول : إذا قتل الرجل ، ولم يؤخذ بثأره خرجت من رأسه هامـــة - وهي دودة - فتدور حول قبره فتقول : اسقونى ، اسقونى، فإن أدرك بثأره وإلا بقيت، وكانت اليهود تزعم أنها تدور حول قبره سبعة أيام ثم تذهب.(١)

وإذا كان المقصود بها البوم فالمراد أنهم يتشاءمون بها إذا وقعت علـــى دار أحدهم فيقول : نعت علي نفسي ، أو أحداً من أهل دارى فيعتقدون فيهـــا النفع ، والضر من دون الله ، فأبطل فى الإسلام ذلك لمنافاته للتوحيد (٢) .

اعتقادهم في العـدوى :-

كان أهل الجاهلية يعتقدون أن العلة تنتقل من المريض إلى السليم بذاتهـا ، وذلك من إضافة الفعل إلى غير الله فجاء الإسلام فأبطل ذلك. (٣)

اعتقادهم في نسبة مجيء المطر إلى الأنواء :-

ذكر ابن حجر : أن أهل الجاهلية يعتقدون أن نزول المطر بسبب النـــوء - النجم - وبوساطته، فجاء الإسلام فأبطل ذلك لكونه شركاً بالله. (٤)

---

(١) انظر فتح البارى : ٢٤١/١٠.
(٢) انظر فتح المجيد : ص ٣٠٩، وتيسير العزيز الحميد : ص ٤٣٢، والإسلام وتقاليـــد الجاهلية : لآدم الألورى ،ص ١١٧.
(٣) انظر فتح المجيد : ص ٣٠٧ ، وتيسير العزيز الحميد : ص ٤٢٣ ومابعدها.
(٤) انظر فتح البارى : ٢٥٤/٢، وفتح المجيد : ص٣٢٢، وتيسير العزيز الحميد : ص ٤٥١.

اعتقادهم في الطـــيرة :-

أصل التطير أنه كان العرب فى الجاهلية إذا خرج أحدهم لحاجة قصد طـــيراً وهيّجه فإذا رأى أنه طارعن يمينه استمر فى حاجته ، وإن طارعن يساره تشـــــــاءم ورجـــــع.[1]

وكانو أيضاً يتشاءمون بشهر صفر ، فلايوقعون فيه حرباً ، ولا زواجاً ، فيحرمونـــــــه، ويحلون شهر محرم مكانه.[2]

وهذا هو النسـيء المذكور فى قوله تعالى :" إنما النسيء زيادة فى الكفـــر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ماحرم الله فيحلوا ماحـــرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لايهدى القوم الكافرين"[3]

خرافات أخــــــرى :-

هناك خرافات أخرى يعتقد أهل الجاهليه فيها النفع والضر من دون الله كتعليق التمائم ، والودع من أجل اتقاء العين وغير ذلك.[4]

عبادة الشخصية ، والتوسل بالذوات البشرية :-

يؤلّه بعض البشر بعض أبناء جنسهم اعتقاداً منهم أنهم يتمتعون بمميزات ، وخواص ينفردون بها عن سائر البشر، وقد كان لأولئك المؤلهين عدة سبل للوصول إلــى غايتهم منها استغلال سذاجة الأفراد، والدجل عليهم،أو استعمال وسائل العنف،والإرهاب.

---

(١) انظر فتح البارى : ٢١٥/١٠، وفتح المجيد : ص ٣٠٥.
(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن: ١٣٩/٨، وفتح القدير: ٣٥٩/٢،وفتح المجيد : ص ٣١٠.
(٣) سورة التوبة : آية (٣٧).
(٤) انظر تفصيل ذلك فى فتح المجيد : ص ١١٦ - ١٣٣، وتيسير العزيز الحميد : ص ١٥٢ -١٧٤.

وقد ادعى النمروذ الربوبية ، وأمر الناس بالسجود له ، فقد حكى القرطبي أن نمروذ كان يحتكر الطعام فكانوا إذا احتاجوا إلى الطعام سجدوا له ، فدخل إبراهيم فلم يسجد له ، فقال : مالك لا تسجد لي ؟

فقال : أنا لا أسجد إلا لربي ، فقال له نمروذ : من ربك ؟ قال إبراهيم: ربي الذى يحي ويميت ، قال : أنا أحي وأميت(١) ، وقد ذكر الله قصته فى قوله تعالى :" ألم تر إلى الذى حاجّ إبراهيم فى ربه أن أتاه الله الملك إذ قال إبراهيم : ربي الذى يحي ويميت ، قال : أنا أحي وأميت قال إبراهيم : فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين"(٢) .

كما ادعى فرعون أيضاً الربوبية ، والألوهية معاً، قال تعالى مخبراً عنه " فقال : أنا ربكم الأعلى" (٣) .

وقال تعالى مخبراً عنه أيضاً : " ماعلمت لكم من إله غيرى"(٤) ، وهكذا تجاهل فرعون وادعى الألوهية ، وقد أطاعه قومه فى ذلك،قال تعالى : " فاستخف قومه فأطاعوه"(٥) . وقد غلا اليهود فى العزير حيث قالوا : إنه ابن الله،قال تعالى :" وقالت اليهود عزير ابن الله"(٦) ، فغلوا فيه ؛ لأنه كان يحفظ التوراة عن ظهر قلب وذلك بتحفيظ الله إياه لها(٧) .

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن : ٣/٢٨٤ ومابعدها .
(٢) سورة البقرة : آية (٢٥٨) .
(٣) سورة النازعات : آية (٢٤) .
(٤) سورة القصص : آية (٣٨) .
(٥) سورة الزخرف : آية (٥٤) .
(٦) سورة التوبة : آية (٣٠) .
(٧) انظر الجامع لأحكام القرآن : ٨/١١٧ .

ثم إن اليهود ، والنصارى أطاعوا أحبارهم، ورهبانهم فى تحليل الحرام، وتحريم الحلال قال تعالى :" اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله"(١) .

وغلا النصارى فى دينهم حيث قالوا: بالتثليث ، ويقصدون به أن طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية : الله ، الآب ، والله الابن ، والله الروح القدس، ومع قولهم بالتثليث لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب ينفصل بعضهم عن بعض ، بل متفقون على أن موجد العالم واحد ، ويقولون باسم الابن ، والآب ، وروح القدس إله واحد ، واحد بالذات ثلاثة بالأقنوم (٢) .

وعقيدة التثليث مستمدة من خرافات قديمة انتقلت إلى المسيحية من الديانات الهندية ، فالبراهمة يعتقدون أن " كريشنا" قد خلّص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه ، ويصورون " فيشو " مصلوباً مثقوب اليدين والرجلين ، وعلى قميصه صورة قلب إنسان معلقاً ، كما يعتقد البوذيون مثل ذلك فى " بوذا" ، حتى إنهم يسمونه المسيح"(٣)

وذكر ابن تيمية أنه لوسئل بعض النصارى ، وامرأته ، وابنه عن توحيدهم، لقال الرجل قولاً، وامرأته قولاً آخر ، وابنه قولاً ثالثاً . (٤)

---

(١) سورة التوبة : آية (٣١)٠

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية : ص ٢١، والأسفار المقدسة : د.على عبدالواحد وافى ، ص ١٢٠-١٣٠، ومحاضرات فى النصرانية : لأبى زهرة ، ص ١٠٠٠
والأقانيم يختلفون فى تفسيرها ،فتارة يفسرونها بالأشخاص، وتارة بالذوات، وتارة بالصفات، والعلاقة بين الاب ، والابن ليست ولادة بشرية بل هي علاقة المحبة والاتحاد فى الجوهر. (انظر الجواب الصحيح :٢/٩٤، وشرح العقيدة الطحاوية : ص ٢١ ، ومحاضرات فى النصرانيه : ص ١٠١ ومابعدها).

(٣) انظر كتاب الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام : د. علي عبدالواحد وافي ، ص ١٣٠ ومابعدها .

(٤) انظر الجواب الصحيح : ١٥٥/٢٠

وأما التعميد الذى يزعمونه فيقصدون به ادعاءهم بأن المسيح فى الإنجيل المقدس قال لتلاميذه : اذهبوا إلى جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب ، والابن،وروح القدس الإله الواحد [1] .

وقد اجتازت المسيحيه فى عقيدة التثليث مرحلتين :-

١ - من بعثة المسيح إلى مجمع نيقه [2] سنة ٣٢٥م ، فقد أمر قسطنطين امبراطور [3] الرومان بأن يعقد مجمع دينى ، ويضم الممثلين لجميع الكنائس فى العالم المسيحى ، للفصل فى أمر الخلاف بين أريوس ومعارضيه ، ولبيان أيّ الرأيين يتفق مع الحق ،ولتقرير مبدأ صحيح يعتنقه المسيحيون فيما يتعلق بألوهية المسيح ، وانتهوا إلى عدة قرارات،من أهمها القرار الخاص بألوهية المسيح، وحرق جميع الكتب التى لاتقول بألوهيته .

٢ - المرحلة الثانية تبدأ من مجمع نيقة إلى الوقت الحاضر ، وبذلك تقرر التثليث فى الديانة المسيحية. [4]

ومن تأليه بعض البشر ماتفعله الغالية من الشيعة من تأليه أئمتها ، ومن ذلك السبئية [5] غلو فى علي بن أبى طالب فزعموا أنه إله ، حتى إن عبدالله بن سبأ

---

(١) انظر الجواب الصحيح : ١٣١/٢.

(٢) مدينة قديمة بآسيا الصغرى،أسست في القرن الرابع قبل الميلاد،كانت مركزاً تجارياً مزدهراً فى ظل الحكم الرومانى ، ومقراً لمجمعين كنسيين (٣٢٥، ٧٨٧م) ،استولى عليها الصليبيون سنة ١٠٩٧م. (انظر المجموعة العربية الميسرة: ١٨٦٧/٢).

(٣) هوالقائد الأعلى فى الجيش فى الجمهورية الرومانية(انظر المجموعة العربية الميسرة: ٢١٨/١).

(٤) انظر كتاب الأسفار المقدسة : د. على عبدالواحد وافى ، ص ١٢٠-١٢٨.

(٥) تنسب إلى عبدالله بن سبأ اليهودى (انظر الفرق بين الفرق : ص ٢٣٣ ، والملل والنحل : ١٧٤/١).

دعا قوماً من غواة الكوفة إلى تأليه علي ، فرفع أمرهم إليه فأمر بإحراقهم.[1]

ومن تأليه الشخصية مايفعله بعض أهل التَّصَوُّف[2] ، من الخضوع للشيخ قال ابن القيم : (ومن أنواع الشرك : سجود المريد[3] للشيخ ، فإنه شرك من الساجد ، والمسجود له ، والعجب : أنهم يقولون : ليس هذا سجود ، وإنما هو وضع الرأس قدام الشيخ احتراماً وتواضعاً ، فيقال لهؤلاء : ولو سميتموه ، ماسميتموه فحقيقة السجود : وضع الرأس لمن يسجد له وكذلك السجود للصنم[4]) ،ثم ذكر أن من ذلك أيضاً : حلق الرأس للشيخ ، فإنه تعبّد لغير الله ، ولايتعبّد بحلق الرأس إلا فى النسك خاصة ، ومن أنواعه: التوبة للشيخ ، فإنه شرك عظيم، والتوبة لاتكون إلا لله وحده[5] .

---

(١) انظر مقالات الإسلاميين : لأبى الحسن الأشعرى، ص ٥، والفرق بين الفرق :ص ٢٢٣-٢٣٥ ، و أصول الدين : للبغدادى، ص ٣٣٢، والتبصير فى الدين : للاسفرائينى، ص ١٢٣، ومابعدها ، والملل ،والنحل : ١/١٧٤.

(٢) هو اتجاه الغرض منه فى الأصل تصفية القلب عن غير الله، والصعود بالروح إلى عالم التقديس، وهو قديم معروف فى الهند ،والصين منذ ألوف السنين ،وله عند الهنود أساليب شديدة على النفس منها أن يظل الرجل سنين لايتكلم بل يقرأ فى نفسه بلا صوت، وقد اختلف فى أصل كلمة التصوف فمن قائل: إنها مشتقة من الصوف فهذا الرأى يعتمد على مايلبسه الصوفيون من الصوف، لكن القوم لم يختصوا كلهم بلباس الصوف، ومن قائل: إنها مشتقة من الصفاء بمعنى أن قلب المريد يصفو ويتطهر باطنه وظاهره،ولكن اشتقاق الصوفى من الصفاء بعيد عن مقتضى اللغة، ومن قائل بأنها مأخوذة من (الصفة) التى ينسب إليها فقراء الصحابة على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن النسبة إليها لاتأتى على نحو الصوفى بل يقال :صفّى ، وقيل: نسبة إلى صوفة بن بشر بن أد (انظر تلبيس إبليس:ص١٨٥، والصوفيه والفقراء : لابن تيمية :ص١٢، نشر مطبعة المدنى، وكتاب الله توحيد وليس وحده: لمحمد الأنور بلتاجى، ص١٣، ودائرة معارف القرن العشرين : لمحمد فريد وجدى: ٥/٥٨٥، ط٣/١٩٧١م، نشر دار المعرفة).

(٣) هو فى الأصل من انقطع إلى الله عن نظر واستبصار وتجرد عن إرادته، وهذا اللفظ أصبح يطلق على المنقطع فى طاعة الشيخ (انظر التعريفات : ص ٣٢١).

(٤) مدارج السالكين : ١/٣٧٤.

(٥) انظر المرجع نفسه : ١/٣٧٤.

والماديون الملاحدة من الشيوعيين يؤلهون مؤسسي مذهبهم الالحادى حيث قالوا : (نحن نؤمن بثلاثة أشياء : كارل ماركس[١] ، ولينين[٢] ، وستالين[٣] ،ولا نؤمن بثلاثة أشياء: الله ، الدين ، الملكية الخاصة)[٤]

التوسل بالذوات البشرية :-

المقصود بالتوسل بالذوات: التوسل بذات النبى صلى الله عليه وسلم، وطلب الحوائج من الموتى ، والاستغاثه بهم ، والتوجه إليهم ، فالتوسل بذات النبى صلى الله عليه وسلم ، أو بغيره من الأنبياء ليس مشهوراً عند الصحابة[٥] والتابعين ، والتوسل بذاته صلى الله عليه وسلم يوجد كثيراً فى أشعار المادحين الذين تجاوزوا الحد فى مدحه ، وعصوه فى نهيه، فكثير من عباد القبور ينادون الميت من مسافة بعيده يسألونه حوائجهم ، ويعتقدون أنه يسمع دعاءهم ويستجيب لهم[٦] .

---

(١) فيلسوف الشيوعية المعاصرة من أصل يهودى ألمانى، درس القانون فى جامعة ينبا بألمانيا ثم انصرف إلى الاقتصاد، والفلسفة الاجتماعية اضطهد فى المانيا بسبب نشاطه الشورى، فانتقل منها إلى باريس حيث التقى بانجلز وتعاونا معاً على اصدار الوثيقة الشيوعية الأولى المعروفة باسم المنشور الشيوعي وذلك سنة ١٨٤٨م، وقد ولد سنة ١٨١٨م، وتوفى سنة ١٨٨٣م (انظر الموسوعة العربية الميسرة : ٢/١٦١٥).

(٢) هذا اسم مستعار، واسمه الحقيقى فلاديمير بوليا نوف، ولد سنة ١٨٧٠م، وهو مجبول على القسوة منذ طفولته، ولم يطلع على المذهب الماركسى إلا فى سن العشرين ، وهو الذى غير اسم الحزب فسماه الحزب الشيوعى مات سنة ١٩٢٤م (انظر المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها : ص ١٨٩ - ١٩٢).

(٣) سياسى ، ودكتاتور روسي ، وزعيم شيوعي ، اعتنق المذهب الماركسى ، ونظم الحزب الديمقراطي الاشتراكى فى القوقاز، ولد سنة ١٨٧٩م، وتوفى ١٩٥٣م (انظر الموسوعة العربية الميسرة: ١/٩٦٢).

(٤) نقلاً عن الكيد الأحمر : ص ٣٩ .

(٥) انظر التوسل والوسيلة: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص ١٣٩ ، والرد على البكرى: ص ٢٤٨ ، واقتضاء الصراط المستقيم : ص ٤١٣ ، ٤٤٢ .

(٦) انظر تيسير العزيز الحميد : ص ٢٢١ ، ورسالة الدر النضيد : للشوكاني ، ص ٢٦ ومابعدها .

الشــــرك الأصغــر :-

الشرك الأصغر هو كيسير الرياء ، والتصنع للخلق ، والحلف بغير اللـــه ، وقول الشخص لولا الله وأنت ، وما شاء الله وشئت، ونحو ذلك مما فيه تشريك بيـــن الخالق والمخلوق ، وأكثر مايتعلق بالألفاظ [١] .

---

(١) انظر مدارج السالكين : ٣٧٣/١، وتيسير العزيز الحميد : ص ١٢٠ ، والديـــن الخالص : ٩٥/٤، والعقيدة فى الله : ص ٢٣٩.

علاج الإسلام للشرك :-

لما كان الشرك أعظم ذنب عصي الله به رتَّب الله عليه من عقوبات الدنيا والآخرة مالم يرتبه على ذنب سواه ، وهذا يدل على خطورته حتى إن إبراهيم الخليل خافه على نفسه،قال تعالى مخبراً عنه : "واجنبني وبني أن نعبد الأصنام"(١) .

وهو يتنافى بتاتاً مع الغاية التى أوجد الله من أجلها - الجن والإنس - قال تعالى : " وماخلقت الجن ، والإنس إلا ليعبدون "(٢) .

وتلك الغاية هي إخلاص العبادة لله وحده ، لا شريك له .

وسنذكر جانبا من علاج الإسلام لظاهرة الشرك فيما يلى :-

١ - تحذير الإسلام من الشرك بشتَّى صوره وأشكاله :-

بين الإسلام أن الشرك ظلم عظيم،لأنه صرف للعبادة إلى من لايستحقها ، قال تعالى : " إن الشرك لظلم عظيم"(٣) .

وبين تعالى أن الشرك الأكبر لايغفر بقوله : "إن الله لايغفر أن يشرك به ، ويغفر مادون ذلك لمن يشاء"(٤)

وهو محبط للعمل،فلا ثواب لصاحبه عليه،قال تعالى : " لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين"(٥) .

ولهذا كان من شرط صحة العبادة ، وقبولها عند الله خلوها من الشرك،قال تعالى : " واعبدوا الله ، ولاتشركوا به شيئاً"(٦)

---

(١) سورة إبراهيم : آية (٣٥) .
(٢) سورة الذاريات : آية (٥٦) .
(٣) سورة لقمان : آية (١٣) .
(٤) سورة النساء : آية (٤٨ ، ١١٦) .
(٥) سورة الزمر ، آية (٦٥) .
(٦) سورة النساء : آية (٣٦) .

والشرك محرم في جميع الديانات السماوية ، قال تعالى : " قل : إنما حرم ربي الفواحش ماظهر منها ومابطن ، والإثم ، والبغي بغير الحق ، وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً ،وأن تقولوا على الله مالا تعلمون "(١) .

بل جعل تعالى النهي عنه ، والتحذير منه في مقدمة الوصايا العشر بقوله : " قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً "(٢) .

وصور تعالى حال المشرك بأقبح صورة بقوله :" ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير ، أو تهوى به الريح في مكان سحيق "(٣) .

وبين تعالى أن المشركين نجس بقوله : " إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا "(٤) .

وأباح قتالهم بقوله : " فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم "(٥) .

وحرم تعالى عليهم دخول الجنة بقوله :" إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة "(٦) .

وجعله الرسول صلى الله عليه وسلم أول السبع الموبقات لما روى البخارى بسنده عن أبى هريرة أن رسول الله صلى اللهعليه وسلم قال :" اجتنبوا السبع الموبقات : " الشرك بالله والسحر . . . الحديث"(٧) .

وكما حذر الله ورسوله من الشرك حذر من أهله وبين أن الأذى والعداوة حاصلة

---

(١) سورة الأعراف : آية (٣٣) .
(٢) سورة الأنعام : آية (١٥١) .
(٣) سورة الحج : آية (٣١) .
(٤) سورة التوبة : آية (٢٨) .
(٥) سورة التوبة : آية (٥) .
(٦) سورة المائدة : آية (٧٢) .
(٧) صحيح البخارى : كتاب الطب ، باب الشرك والسحر من الموبقات ٧/٢٩ ، وانظره فى صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب بيان الكبائر ١/٦٤ .

من المشركين ، وتلك حاصلة مع جميع الأنبياء والرسل، قال تعالى :" ولتسمعن من الذين أتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذًى كثيراً"(١) .
وقال تعالى :" لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود ، والذين أشركوا"(٢)

٢ - إبطال الإسلام للشرك بجميع مظاهره :-

أبطل الدين الإسلامى جميع ماكان عليه الناس من الاشراك بالله ، وقرر التوحيد الخالص فى الذات ، والأفعال ، والصفات ، وأمر بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، قال تعالى :" وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم"(٣) .
وشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله هما القاعدة الأولى فى الإسلام التى يجب أن يؤمن بها قلب المسلم ، وينطق بها لسانه ، ويعمل بموجبها ظاهراً وباطناً ،وقد دعا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ذلك مدة ثلاثة عشر عاماً لاقى خلالهاالأذى من قومه ، وصبر على ذلك .

والتوحيد الخالص من الشوائب الصادر من القلب تتبعه حتماً جميع الفضائل؛ لأن للعقائد سلطاناً على النفوس ، ويستفيد المؤمن من تلك العقيدة الاستقلال فليس لأحد سلطان عليه ، قال تعالى :" إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم"(٤) والإسلام دين منطق ، وعقل لايأمر معتنقيه بعقيدة إلا بعد أن يعرض البراهين العقلية ، والنقلية على صحتها ، ولاينهى عن اعتقاد آخر إلا بعد أن يبين بطلانه وبعده عن الصواب ، فتعدد الآلهة - مثلاً - يجعل البشر عبيداً لآلهتهم ، ولذا كان يقع على كاهل الإنسان من جرَّاء ذلك من الأعباء

(١) سورة آل عمران : آية (١٨٦) .
(٢) سورة المائدة : آية (٨٢) .
(٣) سورة البقرة : آية (١٦٣) .
(٤) سورة الأعراف : آية (١٩٤) .

ماتنوء به استعداداته كتقديم النذور ، والقرابين ، والشعائر ، ولهذا خاطب الله المشركين بقوله : " أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار"(١) .

وإبطال الشرك بجميع مظاهره القصد منه تحرير الإنسان من الخضوع لأيّ مخلوق، وألا يخضع إلا لخالقه وموجده ويتضح ذلك فيما يلي :-

أ - تحرير الإنسان من عبادة الأصنام، والأوثان :

لما في ذلك من استخفاف بالعقل ، وهي من جهة أخرى لا ترتكز على أي دليل مقبول ، ومن أبلغ النصوص القرآنية التي جاءت في استهجان عبادتها قوله تعالى:"قال:أتعبدون ماتنحتون والله خلقكم وماتعملون"(٢)، أي :أتعبدون أصناماً أنتم تنحتونها بأيديكم ، والله خالقكم ، وخالق أصنامكم، فوجب أن تخلصوا له العبادة وحده. (٣)

وقد أقام الله الحجة على المشركين في إبطال عبادة الأصنام بأبلغ عبارة، وأخصرها، قال تعالى :" قل:أرأيتم ماتدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين ، ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له إلى يوم القيامة ، وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين"(٤) .

---

(١) سورة يوسف : آية (٣٩).
(٢) سورة الصافات : آيتا (٩٥، ٩٦).
(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن : ٩٦/١٥.
(٤) سورة الأحقاق : الآيات (٤ - ٦) .

وقد أبطل الله عبادة الأصنام وغيرها فى هذه الآية من خمسة وجوه :-

١ - عجزها عن الخلق ، ويدل على ذلك قوله تعالى : " أرونى ماذا خلقوا من الأرض " .

٢ - عدم قدرتها على إجابة دعاء عابديها لكونها إما جمادات ، أو أموات ، أو ملائكة مشغولون بعبادة الله ، ويدل على هذا قوله تعالى : " ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة " .

٣ - غفلتهم ، وعدم شعورهم عن دعاء عابديهم للأسباب السابقة ، ويدل على هذا قوله تعالى : " وهم عن دعائهم غافلون " .

٤ - إظهار العداوة لعابديهم يوم القيامة ، ويدل على هذا قوله تعالى : " وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء " .

٥ - جحودهم عبادة عابديهم فى وقت هم أشد الحاجة إلى ذلك ، ويدل على هذا قوله تعالى : " وكانوا بعبادتهم كافرين "(١) .

وقد ذكر الرازى : أن هذه الآية فيها الرد على عباد الأصنام ، ووجه الرد عليهم أنه لا يعقل أن يضاف إليها خلق جزء من أجزاء هذا العالم ، أو أنها أعانت إله العالم فى خلق ذلك فلما كان صريح العقل ينفي ذلك ، فحينئذ اتضح أن الخالق لهذا العالم هو الله ، وهو المستحق للعباده دون غيره ، وقد أطبقت جميع الكتب السماويه على المنع من عبادتها "(٢)

---

(١) الآيات من سورة الأحقاق : (٤ - ٦) .

(٢) انظر التفسير الكبير : ٢٨/٣ - ٦ .

ب - تحرير الإنسان من عبادة الأشخاص :-

كثيراً ما ألّه البشر بعض أبناء جنسهم اعتقاداً منهم بأنهم يتمتعون بميزات ، وخواص ينفردون بها عن سائر البشر ، وقد كان لأولئك المؤلهين عدة سبل للوصول إلى غاياتهم التى منها : استغلال سذاجة الأفراد ، والدجل عليهم ،واستعمال وسائل العنف، والارهاب .

ومن المبادئ العظيمةالتى جاء بها الإسلام إخلاص العبادة لله وحده ، وعدم عبادة الشخصية الإنسانية بأي صورة كانت ، وقد جاء فى القرآن الكريم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بمخاطبة اليهود ، والنصارى،ودعوتهم إلى الأسس الراسخة التى يجب أن تلتقى حولها الديانات الثلاث فى سبيل اسعاد البشرية ، ورفع الظلم ، والاستغلال،قال تعالى : " قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله، ولانشرك به شيئاً ، ولايتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله "(١)

ولما كان بعض الأنبياء،والمصلحين اتخذهم قومهم بعد مماتهم آلهة جاء فى القرآن بطلان هذا الشطط فى المعتقد ، قال تعالى : " ماكان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم ، والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بماكنتم تعلّمون الكتاب ، وبماكنتم تدرسون ، ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة ،والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ؟"(٢)

---

(١) سورة آل عمران : آية (٦٤).

(٢) سورة آل عمران : آيتا (٧٩، ٨٠).

وعبادة المصلحين وغيرهم أمر مشهور فى الأمم السابقة ف"بوذا"[1] مثلاً لم يدع الألوهية فى حياته ، ولكن كثيراً من أتباعه ألّهوه بعد مماتـه، ونصبوا التماثيل له .

وتلك النظرة الضالة المنحرفة تجاه الأنبياء ، والمصلحين عمل الإسلام على معالجتها والاحتياط لها خوفاً على أتباعه من تأليه صاحب الدعـوة ، فكان من صميم العقيدة الإسلامية أن محمداً بشر ، وأنه عبدالله ورسولـه لايملك لأحد نفعاً ولا ضراً ، ولايعلم الغيب،قال تعالىآمراً له صلى اللـه عليه وسلم : " قل لا أملك لنفسي نفعاً ، ولاضراً إلا ما شاء الله ، ولوكنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ، ومامسنى السوء ، إن أنا إلا نذيـر وبشير لقوم يؤمنون"[2] .

وقد أمر الله نبيه ببيان ما اختصه الله به من الوحي،قال تعالـى : " قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجـو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ، ولايشرك بعبادة ربه أحداً"[3] .
وهذه الآية تلخص النظرة الإسلامية القائمة على توحيد الله ، وإخـلاص العبادة له .

---

(١) معناه فى اللغة السنسكريتية (المتنور) وهو اللقب الذى أطلق على الزعيم الدينـى الهندى الذى أسس مذهب البوذية ، وتتسم قصة حياته بطابع الأساطير .
(انظر الموسوعة العربية الميسرة : ١/٤٢٦، ٤٢٧) .
(٢) سورة الأعراف : آية (١٨٨).
(٣) سورة الكهف : آية (١١٠).

جـ - تحرير الإنسان من عبادة الأسلاف :-

تشتمل عبادة الأسلاف على كثير من الخرافات ، والأساطير ، ومن روعة الإسلام اشتماله على معالجة الأباطيل ، فكان هديه يحضّ على تخليص الإنسان منها، قال تعالى :" لا إله إلا هو يحي ويميت ربكم، ورب آبائكم الأولين"(١) .

فهذه الآية استهلّت بقدرة الله على الإحياء ، والإماته، بينما الأسلاف لايملكون ذلك بل هم أموات فما أبعد الميت عن نفع غيره؛ فإن فاقد الشيء لايعطيه ، ثم بينت الآية أن الله ربهم ورب آبائهم الأولين وإذا كان رب الجميع فقد بطل الداعي إلى عبادة الأسلاف .

د - تحرير الإنسان من عبادة المظاهر الطبيعية(٢) :-

جاء فى القرآن الكريم بيان أن خالق تلك المظاهر هو الله وحده فهو المستحق للعباده دون غيره؛لأنه رب الكون ومافيه ، ومايحويه، قال تعالى : "إن إلهكم لواحد رب السموات ، والأرض ومابينهما ورب المشارق"(٣)

وقال تعالى :" إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً ، والشمس، والقمر ، والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق، والأمر تبارك الله رب العالمين"(٤)
فى هذه الآيات عدّد الله أعظم مظاهر الطبيعة التىأوجدها ،ثم بين وحدانيته

---

(١) سورة الدخان : آية (٨).
(٢) مثل جعلهم : آلهة للسماء ، وآلهة للأرض ، وأخرى للنار، والنور وغير ذلك .
(٣) سورة الصافات : آيتا (٤ ، ٥).
(٤) سورة الأعراف : آية (٥٤).

هـ - إبطال الإسلام التثليث ، والصلبالذى يعتقده النصارى :-

وذلك ببيان أن الله هو الإله الواحد ، قال تعالى : " لقد كفر الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة[1] ، وما من إله إلا إله واحد ، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم "[2] .

ونهاهم عن ذلك القول القبيح الذى اعتقدوه بقوله تعالى : " ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم "[3] .

ثم بين تعالى أن المسيح عيسى بن مريم رسول كغيره من الرسل ، وأنه بشر يجرى عليه مايجرى عليهم بقوله : " ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم أنظر أنَّى يؤفكون"[4] .

وأبطل ما اعتقدوه من الصلب بقوله تعالى : " وماقتلوه وماصلبوه ، ولكن شُبِّه لهم "[5] .

و - حرم فى الإسلام جميع الأمور المنافيه للعقيدة الصحيحة ومن ذلك :

تحريم السحر :-

والوعيد للساحر بالعقوبة العاجلة ، والآجله قال تعالى : " ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق "[6] .

---

(١) القائلون بذلك هم : النسطورية ، والملكية ، واليعقوبية من النصارى (انظر الجامع لأحكام القرآن : ٦/٢٤٩) .
(٢) سورة المائدة : آية (٧٣) .
(٣) سورة النساء : آية (١٧١) .
(٤) سورة المائدة : آية (٧٥) .
(٥) سورة النساء : آية (١٥٧) .
(٦) سورة البقرة : آية (١٠٢) .

روى الترمذى بسنده عن جندب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " حد الساحر ضربة بالسيف"[١] .

بل إنه صلى الله عليه وسلم عدّه من الموبقات السبع حيث قال :

" اجتنبوا السبع الموبقات قالوا : يارسول الله وماهن ؟ قال الشرك بالله، والسحر..... الحديث"[٢] .

وأمر بالاستعاذة من شرهم،قال تعالى : " ومن شر النفاثات فى العقد"[٣].

تحريم الكهانة، والعرافة[٤] ، والتنجيم[٥] :-

لما فى ذلك من ادعاء المشاركة لله فى علم الغيب ، قال تعالى:" هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ؟ تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع ، وأكثرهم كاذبون"[٦] .

---

(١) سنن الترمذى: كتاب الحدود ، باب ماجاء فى حد السحر٤/ ٦٠وقال:هذا حديث لانعرفه، مرفوعاً إلا من هذا الوجه، وإسماعيل بن مسلم المكي يضعف هذا الحديث، والصحيح عن جندب أنه موقوف، لكن السيوطى صححه(انظر الجامع الصغير:١/ ١٤٧) ، وذكر المناوى أنه روى:"ضربة ، ضربه" بالتاء، والهاء، ورجح الرواية الأولى، وذكر عن الترمذى أنه سأل البخارى فقال:لاشيء ، وإسماعيل ضعيف جدًا ، وذكر عن مغلطاي أنه وإن كان ضعيفًا يتقوى بكثرة طرقه(انظر فيض القدير:٣/ ٢٧٦ومابعدها ، الطبعة الثانيه، نشر دار المعرفة).

(٢) تقدم تخريجه:ص٢٧٦، والعلاقة بين السحر،والشرك:أن السحر فيه استعانة بغير الله.

(٣) سورة الفلق : آية (٤)٠

(٤) ذكر ابن حجر: أن العراف من يستخرج الوقوف على المغيبات بضرب من فعل،أوقول (انظر فتح البارى : ١٠/ ٢١٧)٠
وقيل : هو الذى يدعى معرفة الأموربمقدمات يستدل بها على مكان الضالة والمسروق ونحو ذلك (انظر فتح المجيد : ص ٢٩٨)٠

(٥) هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية(انظر فتح المجيد : ص ٣١٦)٠
ويسمى باليونانيه اصطرنوميا (انظر مفاتيح العلوم : ص ٢٣٥)٠

(٦) سورة الشعراء : الآيات (٢٢١ - ٢٢٣)٠

فالمراد بهم الكهان كما ذكره المفسرون .[1]

روى البخارى بسنده عن عائشة قالت : سأل أناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكهان " فقال : ليس بشيء ، فقالوا : يارسول الله إنهم يحدثوننا أحياناً بشيء فيكون حقاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فيقرها فى أذن وليه ، فيخلطون معها مائة كذبة"[2] .

وتوعد صلى الله عليه وسلم من أتى الكهان ، والعرافين ، روى مسلم بسنده عن صفية عن بعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم قال :" من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً"[3] .

كما حرم فى الإسلام التنجيم ، والاستسقاء بالنجوم ، روى البخارى بسنده عن زيد بن خالد قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فأصابنا مطر ذات ليله فصلى لنا رسول الله صلى عليه وسلم الصبح، ثم أقبل علينا فقال أتدرون ماذا قال ربكم ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، فقال قال الله أصبح من عبادى مؤمن بي وكافر ، فأما من قال مطرنا برحمة الله ، وبرزق الله ، وبفضل الله فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب ، ومن قال مطرنا بنجم كذا فهو مؤمن بالكوكب كافر بى"[4] .

النهى عن التشاؤم :-

لما فى ذلك من اعتقاد جلب النفع ودفع الضر من غير الله ، روى البخارى بسنده

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن : ١٣/١٤٥.

(٢) صحيح البخارى : كتاب الطب، باب الكهانة ٧/٢٨، وانظر ذلك فى صحيح مسلم : كتاب السلام، باب الطاعون ، والطيرة والكهانة ونحوها ٧/٣٦، وزاد مسلم فى روايته " فيقرها فى أذن وليه قر الدجاجه" .

(٣) صحيح مسلم : كتاب السلام ، باب الطاعون ، والطيرة والكهانة ونحوها ٧/٣٧.

(٤) صحيح البخارى : كتاب المغازى ، باب غزوة الحديبية ٥/٦١، ٦٢ .

عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :"لاعدوى ،ولا طيره . . . الحديث"[١] .
ولا يعارضه ماروى البخارى - أيضاً - بسنده عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لاعدوى ، ولا طيرة ، والشوم فى ثلاث : فى المرأة ، والدار ، والدابة "[٢] .

وقد ذكر ابن حجر : أن عائشة أنكرت هذا الحديث ، فقد قيل لعائشة : إن أباهريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الشوم فى ثلاثه ..... الحديث" فقالت : لم يحفظ ، إنه دخل وهو يقول : " قاتل الله اليهود يقولون : " الشوم فى ثلاثة " فسمع آخر الحديث ، ولم يسمع أوله .

ثم قال : ولا معنى لإنكار ذلك على أبى هريرة مع موافقة ماذكرنا من الصحابة له ، وقد تأوله غيرها على أن ذلك سيق لبيان اعتقاد الناس فى ذلك لا إنه إخبار من النبى صلى الله عليه وسلم بثبوت ذلك ، لكن سياق الأحاديث الصحيحة يبعد هذا التأويل ، ثم إن ذلك التأويل باطل؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبعث ليخبر الناس عن معتقداتهم السابقة ، وإنما بعث ليعلمهم مايلزمهم أن يعتقدوه[٣]

<u>الجمع بين الأحاديث :-</u>

لكن مع صحة الأحاديث لابد من التوفيق بينها حتى تكون فى مسار واحد ؛ لأن ظاهرها التعارض فحديث ينفي ، وحديث يثبت ذلك فنقول وبالله التوفيق :

---

(١) صحيح البخارى : كتاب الطب، باب لاهامة ٢٧/٧ ، وانظره فى صحيح مسلم: كتاب السلام، باب لاعدوى، ولا طيرة ٣٢/٧ ؛ وفى سنن أبى داود : كتاب الطب، باب فى الطيره، ١٧/٤ ، وفى سنن ابن ماجه: كتاب الطب،باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيره ، ١١٧١/٢ .

(٢) صحيح البخارى : كتاب الطب، باب الطيره، ٣١/٧ ، وكتاب الجهاد ، باب٤٧ ، وانظره فى صحيح مسلم: كتاب السلام، باب الطيره، والفأل ، ومايكون فيه الشوم ، ٣٣/٧ ، ٣٤ لكن ذكر بدل الدابة الفرس.

(٣) انظر فتح البارى : ٦١/٦ .

إنه لاتعارض بينهما ؛ لأن حديث " لاطيرة" ينفى الطيرة التى كان يعتقدها أهل الجاهلية - وهي اعتقاد جلب النفع ، أو دفع النصر من دون الله - وهذا شرك فأبطله الإسلام .

وأما حديث " الشوءم فى ثلاثة. . . ." فليس فيه إثبات للطيرة التى يعتقدها أهل الجاهلية،بل غاية مافيه أن الله قد يخلق فى بعض ذلك أعياناً مشوءمه تكون شوءماً على من قاربها ، وساكنها ، وأعياناً أخرى لايكون فيها شوءم ، ويوضح ذلك أن الله قد يعطي الإنسان ولدين أحدهما صالح يجلب السعادة لوالديه، والآخر غير صالح يجلب الشقاوة لوالديه ، والله مقدر الخير ، والشر، والسعادة، والشقاوة فرجع كل ذلك إلى قضائه وقدره ، وقيل : غير ذلك. [1]

وعلى هذا أيضاً يحمل ماروى أبوداود بسنده عن أنس بن مالك - وفيه - قوله صلى الله عليه وسلم : " ذروها ذميمة " [2].

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم حكم الطيرة، وأنها شرك، روى أبوداود بسنده عن عبدالله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :"الطيرة شرك" [3] ثلاثاً .

---

(١) انظر تأويل مختلف الحديث: لابن قتيبة ، ص ٩٦-١٠٢، وفتح المجيد : ص ٣٠٩ ، وتيسير العزيز الحميد : ص ٤٢٧ - ٤٣٢.

(٢) سنن أبى داود :كتاب الطب، باب فى الطيره، ٢٠/٤، حكى ابن حجر تصحيح الحاكم له من طريق إسحاق بن طلحة، وله شاهد من حديث عبدالله بن شداد بن الهاد ، وله رواية بإسناد صحيح عند عبدالرزاق (انظر فتح البارى : ٦٣/٦).

(٣) سنن أبى داود : كتاب الطب، باب فى الطيره، ١٧/٤، وانظره فى سنن ابن ماجه : كتاب الطب، باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيره، ١١٧٠/٢.
ورواه الترمذى أيضاً بلفظ:" الطيرة من الشرك، ومامنا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل وقال : حديث حسن صحيح لانعرفه إلا من حديث سلمة بن كهيل، إلا أنه ذكر عن سليمان بن حرب أن قوله : " ومامنا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل" من كلام ابن مسعود (انظر سنن الترمذى : كتاب السير، باب ماجاء فى الطيرة ١٦٠/٤، ١٦٢).

ومامنا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل ". [1]

وقد أوضح فى هذا أن التوكل على الله فى جميع الأمور علاج للطيرة، لأن فى ذلك تعلق القلب بالله وحده فى جلب نفع ، أو دفع ضر.

وأما الفأل فجائز لما فيه من حسن الظن بالله، روى البخارى بسنده عن أبي هريرة قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم: " لاطيرة ، وخيرها الفأل قالوا : وما الفأل يارسول الله ؟ قال : الكلمة الطيبة يسمعها أحدكم" [2] .

النهي عن الرقى ، والتمائم الشركية :-

روى أبوداود بسنده عن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله صلى عليه وسلم بقول : "إن الرقى [3] ، والتمائم [4] ، والتولة [5] شرك [6] " .

وقد أجاز بعض العلماء التمائم، والرقى إذا خلت من الشرك، وحملوا الحديث على ماكان فيه شرك.

---

(١) هذا مدرج من كلام ابن مسعود لاستحالة صدور ذلك من الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه معصوم وقد أوضح ذلك سليمان بن حرب شيخ البخارى (انظر فتح البارى: ٢١٣/١٠)

(٢) صحيح البخارى : كتاب الطب، باب الفأل ، ٢٧/٧.

(٣) الرقية هى العوذة ، يقال رقى الراقى رقية إذا عوذ ، ونفث فى عوذته (انظر لسان العرب: ٣٣٢/١٤ مادة " رقا").

(٤) جمع تميمه وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها النفس، والعين بزعمهم فأبطل ذلك الإسلام (انظر لسان العرب: ٧٠/١٢ مادة " تمم ").

(٥) ضرب من الخرز يوضح للسحر فتحبب بها المرأة إلى زوجها (انظر لسان العرب: ٨١/١١ مادة " تول ").

(٦) سنن أبى داود : كتاب الطب ، باب فى تعليق التمائم ٩/٤ ، صححه السيوطى (انظر الجامع الصغير : ٨٠/١).

وحكى ابن حجر الاجماع على جواز الرقيه عند اجتماع ثلاثة شروط :

١ - أن تكون بكلام الله تعالى ، وبأسمائه ، وصفاته .

٢ - أن تكون بلسان عربي ، أو غيره مما يعرف معناه.

٣ - أن يعتقد الراقي ، والمسترقي أنها لاتنفع إلا بإذن الله (١).

وقالت طائفة أخرى، ومنهم عبدالله بن مسعود لايجوز ذلك إطلاقاً ، واحتجوا بحديث ابن مسعود المتقدم ، حيث إن ظاهرة العموم ، ولم يفرق بين التى من القرآن وغيرها (٢) .

قلت : والراجح الجواز إذا توفرت الشروط الثلاثة، لورود الأحاديث المجيزة لذلك منها : ماروى مسلم بسنده عن عوف بن مالك الأشجعى قال : كنا نرقى في الجاهلية فقلنا : يارسول الله كيف ترى ذلك ؟ فقال : اعرضوا على رقاكم لابأس بالرقى مالم يكن فيها شرك" (٣) .

النهي عن الألفاظ الشركية المنافيه للعقيدة السليمة :-

ومن ذلك :

أ - النهي عن الحلف بغير الله :-

ويدخل فى ذلك الحلف بالآباء ، ونحوه كالحلف بالكعبة، وقد أرشد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى البديل عنه وهو الحلف بالله وحده ، ويدل على ذلك ماروى البخارى بسنده عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ألا من

---

(١) انظر فتح البارى : ، ١٩٥/١٠.

(٢) انظر تيسير العزيز الحميد : ص ١٦٧ ومابعدها .

(٣) صحيح مسلم : كتاب السلام ، باب لابأس بالرقى مالم يكن فيها شرك ، ١٩/٧ وانظره فى سنن أبى داود : كتاب الطب، باب ماجاء فى الرقى، ١١/٤.

كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله ، فكانت قريش تحلف بآبائها، فقال : لاتحلفوا بآبائكم" (١) .

وجعل كفارة الحلف بغير الله ، هو قول لا إله إلا الله بدليل ماروى البخارى بسنده عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " من حلف فقال فى حلفه باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله" (٢) .

ولذلك لما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الحلف بالآباء قال عمر: " فو الله ماحلفت بها منذ سمعت النبى صلى الله عليه وسلم ذاكراً ، ولاآثراً" (٣) .

والسبب فى ذلك؛لأن الحلف بغير الله شرك بدليل ماروى أبوداود بسنده عن أبن عمر قال :سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :"من حلف بغير الله

---

(١) صحيح البخارى :كتاب مناقب الأنصار، باب أيام الجاهلية ٢٣٥/٤ وفى كتاب الأيمان والنذور، باب لاتحلفوا بآبائكم ٢٢١/٧.
وانظر بمعناه فى صحيح مسلم : كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله٥/٨١

(٢) صحيح البخارى:كتاب الأيمان والنذور، باب لايحلف باللات والعزى والطواغيت ٢٢٢/٧، وانظره فى صحيح مسلم : كتاب الأيمان، باب من حلف باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله ٨١/٥، وفى سنن أبى داود : كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بالأنداد ٢٢٢/٣، وفى سنن الترمذى: كتاب النذور والأيمان، باب ماجاء فى كراهية الحلف بغير الله ١١٠/٤، وفى سنن النسائي: كتاب الأيمان ، والنذور، باب الحلف باللات والعزى ٧/٧، ٨ .

(٣) صحيح البخارى: كتاب الأيمان والنذور، باب لاتحلفوا بآبائكم ٢٢١/٧ وانظره فى مسلم كتاب الأيمان ، باب النهى عن الحلف بغير الله ٨٠/٥.
وسنن أبى داود : كتاب الأيمان والنذور، باب كراهية الحلف بالآباء ٢٢٣/٣، وسنن الترمذى : كتاب الأيمان والنذور، باب كراهية الحلف بغير الله ١١٠/٤، وسنن النسائى : كتاب الأيمان والنذور ، باب الحلفبالآباء ٤/٧.
ومعنى ذاكراً: متعمداً ، وآثرا: أى حاكياً عنالغير(انظر فتح البارى: ٥٣٢/١١).

فقـــد أشـــرك"(١) .

ب - النهي عن قول ماشاء الله،وشئت وما ماثله مما فيه العطف بالواو:-

ويدل على ذلك :

ماروى النسائى بسنده عن قتيلة - امرأة من جهينه - أن يهودياً أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إنكم تندون ، وإنكم تشركون تقولون : ماشاء وشئـــت ، وتقولون : والكعبة ، فأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفـــوا أن يقولوا : ورب الكعبة ، ويقولوا : ماشاء الله ثم شئت"(٢) ، وعنون البخـــارى : " باب لايقول ماشاء الله وشئت"(٣) ؛ وذلك لأن الواو تفيد الاشتراك بيـــن المعطوف،والمعطوف عليه فهي لمطلق الجمع بخلاف " ثم " فهي للترتيب والتراخي ولذلك أرشد الرسول إلى البديل عن اللفظ الممنوع ، وهو قول : ماشاء اللـــه ثم شئت ، والواجب قول : ماشاء وحده ونحو ذلك لما فيه من تجريد التوحيـــد عن جميع شوائب الشرك بالله تعالى .

النهي عن الرياء ، والسمعة(٤) :-

لماروى البخارى بسنده عن جندب قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم - ولـم

(١) سنن أبى داود : كتاب الأيمان والنذور، باب كراهية الحلف بالآباء ٢٢٣/٣.
وانظره فى سنن الترمذى: كتاب النذور والأيمان ، باب كراهية الحلف بغير الله٤/ ١١٠ حسنه السيوطى (انظر الجامع الصغير ١٧٠/٢).

(٢) سنن النسائى: كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بالكعبة٦/٧ ، لكن السيوطي ضعفه (انظر الجامع الصغير : ١٧٠/٢).

(٣) صحيح البخارى : كتاب الأيمان والنذور ٢٢٣/٧.

(٤) الرياء : إظهار العبادة لقصد روئية الناس لها فيحمد واصاحبها ، والسمعة كالريـــاء لكنها تتعلق بحاسة السمع، والرياء بالبصر ، وقيل الرياء : أن يعمل لغير اللـــه، والسمعة أن يخفى عمله لله ثم يحدث به الناس (انظر إحياء علوم الدين :٢٩٧/٣ ، والتعريفات : ص ١١٩، وفتح البارى : ٣٣٦/١١).

أسمع أحداً يقول : قال النبى صلى الله عليه وسلم غيره، فدنوت منـــــه فسمعتـــه يقول : قال النبى صلى الله عليه وسلم :- من سمَّع سمَّع اللـه به ، ومن يرائي يرائي الله به "(١)

وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلـــى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى : " أنا أغنى الشركاء عن الشـــرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيرى تركته وشركه"(٢) .

والعمل لايكون صالحاً إلا بشرطين :-

١ - إخلاصه لوجه الله .

٢ - موافقته لشرع الله .

٣ - سدّ في الإسلام جميع الذرائع الموصلة إلى الشرك :-

جاء فى الإسلام تحريم الوسائل القولية ، والفعلية الموصلة إلى الشــرك، وسد جميع الذرائع التى تخل بالتوحيد ، أو بكماله الواجب حتى يبقى مصـــون الحمى بعيداً عن عوامل الزيغ والانحراف، وسنذكر بعض النمـــاذج من ذلـــــك فيمـا يلـــى :-

أ - النهي عن الألفاظ التي تُوهم المساواة ،أوالمشاركة بين الخالق والمخلوق :

روى البخارى بسنده عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليـــــه وسلم أنه قال : " لايقل أحدكم أطعم ربك ، وضئ ربك ، وليقل ســـيدى

---

(١) صحيح البخارى : كتاب الرقاق ، باب الرياء والسمعة ، ١٨٩/٧.
وانظره فى صحيح مسلم : كتاب الزهد ، باب من أشرك فى عمله غير الله ٢٢٣/٨.

(٢) صحيح مسلم : كتاب الزهد ، باب من أشرك فى عمله غير الله ٢٢٣/٨.

ومولاي ، ولا يقل أحدكم عبدى وأمتى ، وليقل فتاى ، وفتاتي وغلامي "[1] .

ونهى عن الاطراء[2] فى المدح ، روى البخارى بسنده عن ابن عباس أنه سمع عمر يقول : على المنبر : " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " لاتطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد فقولوا : عبدالله ورسوله "[3] .

ب - <u>النهى عن تصوير مافيه روح :-</u>

وردت النصوص الصحيحة التى تحرم تصوير مافيه روح مطلقاً وهي كثيرة منها :-

ماروى البخارى بسنده عن قتادة قال : كنت عند ابن عباس وهم يسألونه ، ولا يذكر النبى صلى الله عليه وسلم حتى سئل فقال : سمعت محمداً يقول : " من صور صورة فى الدنيا كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح ، وليس بنافخ "[4] .

وماروه - أيضاً - بسنده عن مسلم قال : " كنا مع مسروق فى دار يسار بن نمير فرأى فى صفته تماثيل فقال : سمعت عبدالله قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : " أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون "[5].

---

(١) صحيح البخارى : كتاب العتق ، باب كراهة التطاول على الرقيق ، وقول عبدى وأمتى ١٢٤/٣ ، وانظره فى صحيح مسلم : كتاب الألفاظ من الأدب ، باب حكم إطلاق لفظة العبد ، والأمة والسيد ، ٤٧/٧ .

(٢) هو المدح بالباطل (أنظر فتح البارى : ٤٩٠/٦) .

(٣) صحيح البخارى : كتاب أحاديث الأنبياء ، باب واذكر فى الكتاب مريم ١٤٢/٤ .

(٤) صحيح البخارى : كتاب اللباس ، باب من صور صورة ، ٦٧/٧ .

(٥) صحيح البخارى : كتاب اللباس ، باب عذاب المصورين يوم القيامة ، ٦٥/٧ .

وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة [1] .

وتصوير مافيه روح محـــرم مطلقاً سواء كانت الصورة مجسمه ـ أى تمثالاً ـ أوغـــير مجسمه ، وسواء كانت باليد ، أو بالآلة الفوتوغرافيه من غير فرق لعموم الأحاديث الناهية عن تصوير مافيه روح .

وأشد أنواع الصور فى التحريم ، والإثم مايعبد من دون الله ، والمجسم فى تلك الصور أشد إثماً ، وكل من روج تلك الصور ، أو عظمها بوجه مـــن الوجوه فهو داخل فى الإثم بقدر مشاركته . [2]
قال ابن حجر: (ويتأكد المنع بما عبد من دون الله ؛ فإنه يضاهي صـــورة الأصنام التى هى الأصل فى منع التصوير) [3] .
ويلي ذلك فى الإثم من صور مالايعبد وكان فيه روح ، وقصد مضاهاة خلق الله فهذا أمر كله يتعلق بنية المصـــور .
ويلحق بذلك صور مايعظم غالباً كصور الملوك ، والقادة ، والزعماء وغـيرهـــم مما يزعم تخليدهم بإقامة التماثيل لهم ، وسواء كان ذلك كاملاً أو نصفياً .

وهدي الإسلام فى تخليد ذكر العظماء ليس بإقامة التماثيل لهم، إنما الطريقة الفذة التى يرضاها فى تخليدهم فى القلوب ، والأفكار، وعلى الألســـنه بما قدموا من خير ، وعمل ، وماتركوا وراءهم من مآثر صالحات تكون لهم لســـان صدق فى الآخرين ، وماخلد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخلفاؤه، وقـــادة

---

(١) انظر صحيح البخارى : كتاب اللباس ، ٦٤/٧ - ٦٧ ، وصحيح مسلم : كتاب اللباس، ١٥٨/٦ ومابعدها .
(٢) انظر الحلال ، والحرام فى الإسلام : د . يوسف القرضاوى ، ص ٩٩.
(٣) فتـــح البـــارى : ٣٩٥/١٠.

الإسلام ، والأئمة الأعلام بصورة مادية ، ولا تماثيل تنحت لهم .[1]

والنتيجة هنا : أنه لاينبغى لنا أن نخضع للمفهوم الأجنبى فى هذا الموضوع بالذات وهو أدنى من مفهومنا الإسلامى الرفيع .

وقد ذكر القرضاوى : أن الشيخ محمد بخيت مفتى مصر أجاز التصوير بالآلة الفوتوغرافية حيث قال : (إن الواضح هنا ماأفتى به المغفور له الشيخ محمد بخيت مفتى مصر أن أخذ الصورة بالفوتوغرافيا ، الذى هو عبارة عن حبس الظل بالوسائط المعلومة لأرباب هذه الصناعة ليس من التصوير المنهي عنه فى شىء ؛لأن التصوير المنهي عنه هو إيجاد وصنع صورة لم تكن موجودة ، ولا مصنوعة من قبل يضاهى بها حيواناً خلقه الله تعالى ، وليس هذا المعنى موجوداً فى أخذ الصورة بتلك الآلة)[2] .

وقد ذكر النووى نحو هذا عن بعض السلف حيث قال : (وقال بعض السلف:إنما ينهى عما كان له ظل ، ولابأس بالصور التى ليس لها ظل)[3] .

ثم تعقبه ، وأبطله بقوله : (وهو مذهب باطل؛فإن الستر الذى أنكر النبى صلى الله عليه وسلم الصورة فيه لايشك أحد أنه مذموم وليس لصورته ظل)[4] .

وقد تعقب ابن حجر كلام النووى بأن المذهب المذكور نقله ابن أبى شيبة عن القاسم بن محمد بسند صحيح ولفظه عن ابن عون " قال : دخلت على القاسم

---

(١) انظر الحلال ، والحرام فى الإسلام : ص ٨٨.

(٢) الحلال ، والحرام فى الاسلام : ص ٩٨، نقلاً عن رسالة الجواب الشافي فى إباحة التصوير الفوتوغرافى .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى : ٨٢/١٤.

(٤) المصدر نفسه : ٨٢/١٤ ومابعدها .

وهو بأعلى مكة فى بيته فرأيت فى بيته حجلة[1] فيها تصاوير القندس[2] والعنقاء[3] " ، وفى إطلاق كونه مذهباً باطلاً نظر ، إذ يحتمل أنه تمسك فى ذلك بعموم قوله صلى الله عليه وسلم :" إلا رقماً فى ثوب " ؛ فإنه أعم من أن يكون مطلقاً ، أو مفروشاً ، وكأنه جعل إنكار النبى صلى الله عليه وسلم على عائشة تعليق الستر المذكور مركباً من كونه مصوراً ، ومن كونه ساتراً للجدار ، ويؤيده ماورد فى بعض طرقه عند مسلم ، فقد أخرج من طريق سعيد بن يسار عن زيد بن خالد الجهنى قال : " دخلت على عائشة فذكر نحو حديث الباب لكن قال : " فجذبه حتى هتكه ، وقال : إن الله لم يأمرنا أن نكسو الحجارة، والطين قال : فقطعنا منه وسادتين"[4] .

وهذا يدل على أنه كره ستر الجدار بالثوب الذى فيه صور فلا يساويه الثوب الممتهن ولو كانت فيه صورة ، وكذلك الثوب الذى لايستر به الجدار ، والقاسم بن محمد ـ أحد فقهاء المدينة ـ وهو الذى روى حديث النمرقه فلولا أنه فهم الرخصة فى مثل الحجلة ما استعملها لكن الجمع بين الأحاديث الواردة فى ذلك يدل على أنه مذهب مرجوح ، وأن الذى رخص فيه من ذلك مايمتهن لا ما كان منصوباً .[5]

---

(١) بالتحريك بيت كالقبة يستر بالثياب، ويكون له أزرار كبار (انظر لسان العرب: ١١/١٤٤ مادة " حجل") .

(٢) حيوان قارض من الفصيلة القندسية كث الفراء ، مدور الرأس ، صغير الأذنين على ذيله حراشف(انظر الموسوعة العربية الميسرة : ٢/١٤٠٢)، وذكر الدميرى عن ابن رحية أنه كلب الماء (انظر حياة الحيوان الكبرى ٢/٢٦٤).

(٣) طائر خرافي فى أساطير المصريين القدماء ، يقال : انه لما بلغ خمسمائة سنة أحرق نفسه، وبرزت من رماده عنقاء أخرى (انظر الموسوعة العربية الميسرة : ٢/١٢٣١).

(٤) صحيح مسلم : كتاب اللباس ، باب لاتدخل الملائكة بيتا فيه كلب ، ولاصورة ٦/٥٨.

(٥) انظر فتح البارى : ١٠/٣٨٨.

قلـــت : بالنظر إلى الأدلة الناهية عن تصوير مافيه روح ، نجد أنها عامـة لاتفرق بين الصورة باليد ، ولا بالآلة ، واستثناء شيء من ذلك يحتاج إلـى دليل، قال الشوكاني : (وظاهر قوله " كل مصور" ، وقوله : " بكل صورة" أنـه لافرق بين المطبوع فى الثياب ، وبين ماله جرم مستقل)[1] .

وحكى ابن حجر قول ابن بطال : إن أباهريرة فهم أن التصوير يتناول مـالـه ظل ،وماليس له ظل ،فلهذا أنكر ماينقش على الحيطان وهو ظاهر من عموم اللفظ[2]

فاتضح أن التصوير بالآلة لايخرج عن كونه نوعاً من أنواع التصوير؛ لأن مايخرج بالآلة يسمى صورة ، والشخص الذى يحترف ذلك يسمى مصوراً بمقتضـى اللغـة قال الشوكاني : بعد أن ذكر الأحاديث التى تفيد الوعيد ، والتهديد للمصورين : (فهذه الأحاديث قاضية بعدم الفرق بين المطبوع من الصور، والمستقل ؛ لأن اسم الصورة صادق على الكل إذهي كما فى كتب اللغة الشكل)[3] .

ثم إنه قد يحصل بالتصوير الفوتوغرافي مفاسد عظيمة كما هو معلوم تخالـف عقائد الإسلام وآدابه ، وشرائعه ، فتصوير النساء عاريات ، وإبراز مواضـع الأنوثة ،ورسمهن وتصويرهن فى أوضاع مثيرة للشهوات ، موقظة للغرائز كما يشاهد ذلك واضحاً فى بعض المجلات ، والصحف ، ودور السينما كل ذلك مما لاشـك فى تحريمة ، وتحريم نشره للناس ، ومثل تلك الصور صور الكفار ، والفساق الـذى ينبغى للمسلم أن يعاديهم ، ويبغضهم فى الله[4] .

---

(١) نيل الأوطار : ١٠١/٢٠

(٢) انظر فتح البارى : ٣٨٦/١٠٠

(٣) نيل الاوطار : ١٠١/٢٠

(٤) انظر الحلال ، والحرام فى الإسلام : ص ٩٨ ومابعدها .

وقد نقل النووى مذاهب العلماء ، وأن تصوير صورة الحيوان حرام شديد التحريم سواء صنعه لما يمتهن ، أو لغير ذلك ، وسواء كان فى ثوب، أو بساط ، أودرهم ، أو دينار،أوفلس ، أو إناء ، أو حائط وغير ذلك[1] .

مايستثنى من تحريم تصوير مافيه روح :-

يستثنى من ذلك مايلى :-

أ - ألا تكون الصورة كاملة :؛لأنها مما لايتصور فيه الحياة فهي جزء من الصورة ويشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :" كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ"[2] .

فيدخل فى ذلك صور البطاقات الشخصية ، أو جوازات السفر، وصور المشبوهين وغيرهم لكن يكتفى بقدر الحاجة .

ثم إن الضرورات تبيح المحظورات فيكون حكم ذلك كالأكل من الميته يكتفى بقدر الضرورة مع بقاء أصل التحريم .

ب - لعب البنات :-

لورود النص فى ذلك ، لماروى البخارى بسنده عن عائشة قالت : " كنت ألعب بالبنات عند النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان لى صواحب يلعبن معى ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل : " يتقمعن منه فيسربهن إلي فيلعبن معي "[3] .

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووى : ٨٢/١٤ ومابعدها .

(٢) سبق تخريجه ص ٢٩٣.

(٣) صحيح البخارى : كتاب الأدب ، باب الانبساط إلى الناس ، ١٠٢/٧.

قال ابن حجر: (واستدل بهذا الحديث على جواز اتخاذ صور البنات، واللعب من أجل لعب البنات بهن ، وخص ذلك من عموم النهي عن اتخاذ الصور، وبه جزم عياض ، ونقله عن الجمهور ، وأنهم أجازوا بيع اللعب للبنات لتدريبهن من صغرهن على أمر بيوتهن ، وأولادهن ، قال: وذهب بعضهم إلى أنه منسوخ، وإليه مال ابن بطال) [1] .

قلت : وإنما رخص فى ذلك أيضاً؛لأنه يمتهن غالباً

الحكمة من النهي عن تصوير مافيه روح

تتجلى الحكمة من النهي عن تصوير مافيه روح فى الأمور التالية :-

١ - أن فيه مضاهاة لخلق الله كما دلت النصوص على ذلك .

٢ - حماية التوحيد ، والبعد عن مشابهة الوثنيين ، وقد انتهى الأمر بأمم اتخذوا لموتاهم ، وصالحيهم صوراً ، حتى آل الأمر بجعلها آلهة من دون الله كما حدث ذلك فى قوم نوح . [2]

---

(١) فتح البارى : ٥٢٧/١٠.

(٢) انظر الحلال ، والحرام فى الإسلام : ص ٨٦ ومابعدها .

جـ - النهي عن التوسل بالذوات البشرية :-

جاء الإسلام بتحريم التوسل بالأموات والصالحين ، وبين أن الطريق الصحيح لمعرفة مشروعية الوسائل الصحيحة هو الرجوع إلى الكتاب، والسنة والالتزام بما ورد فيهما ، وليس هناك طريق آخر .

وقد بين أبن تيمية أن لفظ التوسل يطلق ويراد به ثلاثة أمور، أمران متفق عليهما بين السلمين :-

١ - التوسل بالإيمان بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وبطاعته ، وهذا هو أصل الإيمان ، والإسلام .

٢ - دعاوءه وشفاعته صلى الله عليه وسلم ، وهذا نافع يتوسل به ، من دعا له وشفع فيه باتفاق المسلمين .

ومن انكر التوسل بأحد هذين المعنيين فهو كافر مرتد بستتاب ، فإن تاب والإ قتل مرتداً .

قد عاوءه صلى الله عليه وسلم لم ينكره أحد من أهل القبلة[1] فى الدنيا ، وأما شفاعته يوم القيامة فمذهب أهل السنة، والجماعة أن له شفاعات خاصة وعامة ، وأنه يشفع فيمن يأذن الله له أن يشفع فيه من أمته من أهل الكبائر ولا ينتفع بشفاعته إلا الموحدون .

فالتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم، والتوجه به فى كلام الصحابة يريدون به التوسل بدعائه ، وشفاعته .

والتوسل به فى عرف كثير من المتأخرين يراد به الاقسام به ، والسوءال به كما يقسمون بغيره من الأنبياء ، والصالحين .

---

(١) هم كل من يدعى الإسلام ويستقبل الكعبة ، وإن كان من أهل المعاصي،
(انظر شرح العقيدة الطحاوية : ص ٢٥٨).

٣ - التوسل به بمعنى الاقسام على الله بذاته ، والسؤال بذاته فهذا لم يكن الصحابة يفعلونه لا فى الاستسقاء ، ولا فى غيره، لا فى حياته، ولا بعد مماته ولا عند قبره ، ولا يعرف هذا فى شئ من الأدعية المشهورة بينهم ، وقد قال : أبو حنيفة إن هذا لا يجوز، ولا يسأل بمخلوق ، ولا يقول أحد أسألك بحق أنبيائك.[1]

ولفظ الوسيلة مذكور فى القرآن كما فى قوله تعالى : " ياأيها الذين آمنوا أتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة"[2] .

وقوله تعالى: " أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ، ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً"[3]

كما ورد لفظ الوسيلة فى السنة الصحيحة ، ومن ذلك ماروى مسلم بسنده عن عبدالله ابن عمرو بن العاص - وفيه - قول النبى صلى الله عليه وسلم : " ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل الله لي الوسيلة حلّت له الشفاعة"[4].

---

(١) انظر التوسل ، والوسيلة : ص ١٤، ٤٩، ٥٠.
(٢) سورة المائدة : آية (٣٥).
(٣) سورة الإسراء : آية (٥٧).
(٤) صحيح مسلم : كتاب الصلاة ، باب القول مثل قول المؤذن ، ٢/٤.

التوســل المشـــــــروع :-

شرع الله لنا أنواعاً من التوسلات المفيده التى تكّفل الله بإجابة الداعـــي بها إذا توفرت شروط الدعاء الأخرى ، ويظهر لنا بعد الاستقراء التام ، والتتبـــع لما ورد فى الكتاب والسنة أن هناك ثلاثة أنواع للتوسل شرعها الله تعالى وليس فـــى هذه الأنواع التوسل بالذوات ، أو الجاهات ،أو الحقوق ، أو المقامات[1] وهــــذه الأنواع هي مايلى :-

١ - التوسل إلي الله تعالي بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا :-

التوسل بالأسماء ، والصفات كأن يقول المسلم فى دعائه : اللهم إنـــى أسألك بأنك أنت الرحمن الرحيم ، اللطيف ، الخبير أن تعافينى. وماأشبه ذلك. ودليل مشروعية هذا التوسل قوله تعالى : " ولله الأسماء الحسنى فادعوه بهـــا وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ماكانوا يعملون"[2] .

٢ - التوسل إلي الله بالعمل الصالـــح :-

التوسل إلى الله بالعمل الصالح كأن يقول المسلم فى دعائه : اللهـــم بإيمانى بك ، ومحبتى لك ، واتباعى لرسولك اغفر لي .
وهذا التوسل مشروع دل عليه الكتاب فمن ذلك قوله تعالى :" الذين يقـولــون : ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا ، وقنا عذاب النار"[3] .

---

(١) انظر التوسل أنواعه ، وأحكامه : بحوث كتبها محمد ناصر الدين الألبانى، وجمعهـــا محمد العباسى، ص ٣١ ومابعدها ، وتحذير المسلمين عن الابتداع ، والبدع فـــى الدين،لأحمد بن حجر آل طامي ، ص ٩٨.
(٢) سورة الأعراف : آية (١٨٠).
(٣) سورة آل عمران : آية (١٦).

وقوله تعالى :" ربنا آمنا بما أنزلت ، واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين[1] ".

ودلت عليه السنة الصحيحة ، ومن ذلك ماروى البخارى بسنده عن عبدالله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " خرج ثلاثة نفر يمشون فأصابهم المطر فدخلوا فى جبل ، فانحطت عليهم صخرة ، قال : فقال بعضهم لبعض: أدعوا الله بأفضل عمل عملتموه ، فقال أحدهم : اللهم إنى كان لي أبوان شيخان كبيران ،فكنت أخرج فأرعى ثم أجي فأحلب ، فأجي بالحلاب فآتى به أبوىَّ فيشربان ،ثم أسقي الصبية وأهلي وامرأتى ، فاحتبست ليلة فجئت ، فإذا هما نائمان ، قال : فكرهت أن أوقظهما ، والصبية يتضاغون عند رجلي فلم يزل ذلك دأبى ، ودأبهما حتى طلع الفجر اللهم إن كنت تعلم إنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة نرى منها السماء قال : ففرج عنهم .

وقال الآخر : اللهم إن كنت تعلم أني كنت أحب امرأة من بنات عمى كأشد مايحب الرجل النساء فقالت : لاتنال منها ذلك حتى تعطيها مائة دينار ، فسعيت فيها حتى جمعتها ، فلما قعدت بين رجليها قالت : اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه ، فقمت وتركتها،فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة قال : ففرج عنهم الثلثين.

وقال الآخر : اللهم إن كنت تعلم أنى استأجرت أجيرًا بفرق من ذرة فأعطيته وأبى أن يأخذ ، فعمدت إلى ذلك الفرق فزرعته حتى اشتريت منه بقرًا وراعيها ثم جاء فقال : ياعبدالله أعطنى حقي ، فقلت : انطلق إلى تلك البقر، وراعيها فإنها لك فقال : أتستهزئ بي ؟ فقلت : ما استهزئ بك ، ولكنها لك ، اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فكشف عنهم"[2] .

---

(١) سورة آل عمران : آية (٥٣).

(٢) صحيح البخارى : كتاب البيوع ، باب إذا اشترى شيئاً لغيره بغير إذنه فرضى ٣٧/٣، ٣٨، وانظره فى كتاب الإجارة ، باب من استأجر أجيرًا فترك أجره٣/٥١ ، ٥٢، وحديث الغار : ١٤٧/٤، ١٤٨.

قال ابن تيمية بعد سياق الحديث : (فهؤلاء دعوا الله بصالح الأعمال ؛ لأن الأعمال الصالحة هي أعظم مايتوسل به العبد إلى الله ، ويتوجه إليه ، ويسأله به) [1] .

لكن يشترط للعمل حتى يكون صالحاً شرطان :-

١ - أن يكون موافقاً للشرع .

٢ - أن تكون النية خالصة لله تعالى بحيث لايدخلها رياء ،ولا سمعة. [2]

ويجمع هذان الشرطان قوله تعالى : " فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولايشرك بعبادة ربه أحداً" [3] .

٣ - التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح :-

إذا وقع المسلم فى ضيق ، وشدة ، فيجب أن يأخذ بسبب قوي إلى الله ، فيذهب إلى رجل يعتقد فيه الصلاح ، والتقوى فيطلب منه أن يدعو له ربه ليفرج عنه كربه ، ويزيل عنه همه ، فهذا توسل مشروع دل عليه القرآن فى آيات كثيرة منها :-

قوله تعالى :" ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله ، واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً " [4]

فهذه الآية أثبتت أن الله تعالى أرشدهم إلى توسلين :-

١ - استغفارهم الله لأنفسهم فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا توسل بالأعمال الصالحة .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم : ص ٤١٥.

(٢) انظر تلخيص كتاب الاستغاثة : ص ٥٢، والتوسل والوسيلة : ص ١٢٣، ١٢٤.

(٣) سورة الكهف : آية (١١٠).

(٤) سورة النساء : آية (٦٤).

٢ - سؤالهم الرسول أن يستغفر لهم ، وهذا توسل بدعاء المؤمن لأخيه ،
وكلا التوسلين كانا بإرشاد من الله . [١]

ودل على هذا التوسل ألسنة الصحيحة فمن ذلك :-

ماروى البخارى بسنده عن أنس بن مالك أن رجلاً دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم بخطب، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً فقال : يارسول الله هلكت المواشي ، وانقطعت السبل ، فادع الله يغيثنا ، قال : فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال : اللهم اسقنا اللهم اسقنا اللهم اسقنا ، قال أنس: والله مانرى فى السماء من سحاب ، ولا قزعة شيئاً ، ومابيننا وبين سلع[٢]من بيت ، ولادار ، قال : فانطلقت من ورائه سحابة مثل الترس ، فلما توسطت السماء انتشرت ، ثم أمطرت ، قال : والله ما رأينا الشمس ستاً ، ثم دخل رجل من ذلك الباب فى الجمعة المقبلة - ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب ، فاستقبله قائماً فقال : يارسول الله هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادع الله يمسكها ، قال : فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال: " اللهم حوالينا ، ولاعلينا ، اللهم على الآكام ، والجبال ، والآجام،والظراب ، والأودية، ومنابت الشجر. . . . . الحديث" [٣] .

وماروىالترمذى بسنده عن ابن عمر عن عمر : " أنه استأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى العمرة فقال : أي أخي أشركنا فى دعائك ، ولاتنسنا" [٤] .

---

(١) انظر التوصل إلى حقيقة التوسل : محمد نسيب الرفاعي، ص ١٣٧ ومابعدها .
(٢) جبل معروف بالمدينة لايزال بهذا الاسم إلى اليوم .
(٣) صحيح البخارى : كتاب الاستسقاء ، باب الاستسقاء فى المسجد الجامع ٢/ ١٦ ، ١٧.
(٤) سنن الترمذى : كتاب الدعوات ، باب /١١٠، ٥/٥٥٩، ٥٦٠ وقال : حسن صحيح، وانظره فى سنن ابن ماجه : كتاب المناسك ، باب فضل دعاء الحاج ٩٦٦/١.

وفى هذا التأكيد منه صلى الله عليه وسلم على عمر بأن لاينساه من الدعاء دليل قاطع على مشروعية طلب المؤمن من أخيه أن يدعوله ، ويتوسل بدعائه هذا إلى الله ، وفى هذا جواز توسل الأعلى بدعاء الأدنى .(١)

التوسل الممنوع :-

ضابط التوسل الممنوع : تقرب العبد إلى الله بعمل مخالف للشرع .

مثاله : التوسل إلى الله بذوات المخلوقين : من الملائكة ، والنبيين ، والصالحين من غير متابعة لهم فى أعمالهم الصالحة.(٢)

منشأ الخطأ ، والضلال ممن أجاز التوسل بالذوات :-

يرجع إلى عدة أمور أهمها :-

أ - أنهم تمسكوا بأحاديث ضعيفة ، أو موضوعة ، ثم هي إن صحت - مع بعدها عن ذلك - لاتدل على مااعتقدوه ، بل تدل على التوسل بالدعاء لابالذوات .

ب - أحاديث صحيحة لكنها لاتدل على جواز التوسل بالذوات ، بل تدل على التوسل بالدعاء فقط.

جـ - أن لفظ التوسل فيه إجمال ،واشتباه كما صرح بذلك ابن تيمية بقوله : (إذا عرف هذا فقد تبين أن لفظ " الوسيلة" ، و" التوسل" فيه إجمال واشتباه يجب أن تعرف معانيه ، ويعطى كل ذى جق حقه، فيعرف ماورد به الكتاب ، والسنة من ذلك ومعناه ، وماكان يتكلم به الصحابة، ويفعلونه ومعنى ذلك ، ويعرف ماأحدثه المحدثون فى هذا اللفظ ومعناه؛ فإن

---

(١) انظر التوصل إلى حقيقة التوسل : ص ١٥٢.

(٢) انظر المرجع نفسه : ص ١٧٦.

كثيراً من اضطراب الناس فى هذا الباب هو بسبب ماوقع من الإجمـــال ، والاشتراك فى الألفاظ،ومعانيها حتى تجد أكثرهم لايعرف فى هذا الباب فصل الخطاب) (١) .

د ـ الأقيســة الفاسدة ، وذلك مثل :ـ

١ ـ قياس التوسل بذات النبى صلى الله عليه وسلم على التبرك بآثــاره ، فهم سووا بين التبرك ، والتوسل بذاته .

ومن المعلوم أنه يجوز التبرك بآثاره صلى الله عليه وسلم ، وأن الصحابة فعلوا ذلك فى حياته ، وبإقرار منه ـ كما حصل فى صلح الحديبيــة وغير ذلك ، لكن إقراره صلى الله عليه وسلم للصحابة فى تلك الغـزوة كان لغرض مهم وهو إرهاب كفار قريش،ومدى حب المسلمين لنبيهــم، وتفانيهم فى خدمته . (٢)

قال الألبانى : (أننا نؤمن بجواز التبرك بآثاره صلى الله عليــه وسلم ، ولاننكره خلافاً لما يوهمه صنيع خصومنا ، ولكن لهذا التبرك شروطاً منها الإيمان الشرعى المقبول عند الله) (٣) .

وكان ابن عمر يتحرى أن يسير مواضع سير النبى صلى الله عليه وسلم، وينزل مواضع نزوله ويتوضأ فى السفر حيث رآه يتوضأ ، ويصب فضــل مائه على شجرة صب عليها،وقد تعقب ذلك ابن تيمية بقوله: (ولــم يستحب ذلك جمهور العلماء ، كما لم يستحبه ، ولم يفعله أكابــر الصحابة كأبى بكر ، وعمر ، وعثمان ،وعلى ، وابن مسعود ومعــاذ

---

(١) التوسل ، والوسيلة : ص ٤٨ ، وانظر ص ١٤٥.
(٢) انظر التوسل أنواعه ، وأحكامه : للألبانى ،ص ١٦٢ ومابعدها .
(٣) المرجع نفسه : ص ١٦١.

بن جبل وغيرهم ، ولم يفعلوا مثل مافعله ابن عمر ، ولو رأوه مستحباً لفعلوه كما كانوا يتحرون متابعته ، والاقتداء به) [١] .

وبهذا يعلم أن قياس التوسل بالذوات على التبرك به صلى الله عليه وسلم فى حياته قياس فاسد الاعتبار.

٢ - قياس الخالق على المخلوق : المجيزون للتوسل بالذوات البشرية يقولون : إن الواقع أن الإنسان إذا كانت له حاجة عند ملك، أووزير فهو لايذهب إليه مباشرة ؛ لأنه لايلتفت إليه ، ولهذا كان من المفروض - كما زعموا - أن يبحث عمن يعرفه ويكون مقرباً إليه ويجعله واسطه بينه وبينه ؛ فإذا فعل ذلك استجاب له ، وقضيت حوائجه ، وهكذا الأمر نفسه فى علاقتنا بالله تعالى - بزعمهم - فهو عظيم العظماء ، ونحن مذنبون عصاة ، وبعيدون عن جنابه ، ليس من اللائق أن ندعوه مباشرة ؛ لأننا لو فعلنا ذلك لرددنا على أعقابنا خائبين ، وهناك أناس صالحون مقربون ، وهم الأنبياء ، والرسل ، والشهداء يستجيب لهم إذا دعوه أفلا يكون الأحرى بنا إن نتوسل إليه بجاههم. [٢]

وهذا قياس باطل أصلا ؛ لأن الله أمر بدعائه مباشرة بقوله : " وقال ربكم أدعونى استجب لكم" [٣] .

فهؤلاء مشركون فى ادعائهم حيث جعلوا هناك وسائط بينهم ، وبين الله ، وقد ذم الله المشركين الذين اتخذوا الآلهة من دون الله واسطة بقوله مخبراً عنهم : " مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى" [٤] .

---

(١) التوسل ، والوسيلة:ص١٠٢ ، وانظره فى اقتضاء الصراط المستقيم:ص٤٢١ ، ٤٢٢ .
(٢) انظر التوسل : أنواعه ، وأحكامه : ص ١٤٥ .
(٣) سورة غافر : آية (٦٠) .
(٤) سورة الزمر : آية (٣) .

وبين تعالى أنه قريب مجيب فليس بحاجة إلى الوسائط بقوله:
" وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان فليستجيبوا لي ، وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون"(١) .

٣ - قياس التوسل بالذوات على العمل الصالح : وهذا قياس باطل أيضاً ، ومغالطة مكشوفة ، لأنه لم يقل أحد من السلف قبلنا أنه يجوز للمسلم أن يتوسل بعمل غيره الصالح ، وإنما الوارد التوسل بعمل المتوسل نفسه .(٢)

ثانياً : البدع أنواعها ، وصورها :-

وهي من القوادح في الدين بأكمله ؛ لأن مقتضاها إحداث في الدين ماليس منه.

تعريف البدعة :-

لغة : بَدَعَ الشيء يَبْدَعه بَدْعاً ، وابتدعه أنشأه ، وبدأه ، والبِدْعة : الحدث ، وما ابتدع من الدين بعد الاكمال .

قال ابن السكيت : البِدْعة : كل محدثة ، وأكثر مايستعمل المبتدع فى الذم،وأبدعت الشيء : اخترعته على غير مثال .(٣)

فتطلق فى اللغة على ثلاثة معانى :-

١ - ابتداء الشيء وصنعه لاعن مثال سابق .

---

(١) سورة البقرة : آية (١٨٦).
(٢) انظر التوسل : أنواعه ، وأحكامه : ص ١٥١، ١٥٢.
(٣) انظر لسان العرب : ٦/٨-٩، مادة " بدع " .

٢ - الانقطاع ، والكلال كقولهم : أبدعت الراحلة إذا كلّت ، وعطبت. (١)

٣ - تطلق على الأمر البديع الذى لم يتقدمه ماهو مثله ، ولا شبهه .

اصطلاحـــاً :-

تعددت تعريفات البدعة لاختلاف أنظار العلماء فى مفهومها ، ومدلولها :

١ - منهم من وسع مدلولها حتى أطلقها على كل مستحدث من الأشياء .

٢ - منهم من ضيق مدلولها .

٣ - منهم من جعلها فى مقابل السنة .

٤ - منهم من جعلها عامة تشمل كل ما أحدث بعد عصر الرسول صلى الله عليه وسلم سواء أكان محموداً ، أم مذموماً . (٢)

كما أن هناك اتجاهيـــن :

أ - اتجاه يقسم البدعة إلى حسنة وقبيحة - وهذا غير صحيح .

ب - اتجاه يجعل البدعة مذمومة مطلقاً .

وقد اخترت تعريفين لكل اتجاه منهما كما يلى :-

١ - تعريف من قال بذم البدعة مطلقاً :-

أ - عرفها ابن تيمية : أنها كل مالم يدل عليه دليل شرعي. (٣)

ب - عرفها الشاطبى : أنها عبارة عن طريقة فى الدين مخترعة تضاهي الشريعة يقصد بالسلوك عليها المبالغة فى التعبد لله. (٤)

---

(١) انظر مقاييس اللغة : لأحمد بن زكريا ، ص ٢٠٩.

(٢) انظر التعريفات:ص٤٤ ، والبدعة والمصالح المرسلة:ص٨٧ ومابعدها.

(٣) انظر اقتضاء الصراط المستقيم : ص ٢٧٥.

(٤) انظر الاعتصام : ١/٣٧.

٢ - تعريف من قسم البدعة إلى حسنة ، وقبيحة :-

أ - عرفها ابن الجوزى : أنها عبارة عن فعل مالم يكن فابتدع.[١]

ب - عرفها العز بن عبدالسلام أنها فعل مالم يعهد فى عهد الرسول صلى صلى الله عليه وسلم.[٢]

التعريف المختار للبدعة :-

بالنظر إلى تعريفات من قسم البدعة إلى حسنة ، وقبيحة نجد أنه نظر إلى معناها اللغوى - وهو بالطبع أعم من المعنى الشرعي ؛ لأن البدعة فى اللغة تطلق على مايحمد ، ويذم ، وفى الشرع لاتطلق إلا على مايذم ؛ فإن الشرع جاء بذم البدعة مطلقاً .[٣]

ونحن إذا ركّبنا تعريف الشاطبى ، مع تعريف ابن تيمية حصل لنا التعريف المختار وهو : أن البدعة فى الاصطلاح هي : الطريقة المخترعة فى الدين تضاهي الشريعة يقصد بها التقرب إلى الله ، ولم يقم على صحتها دليل شرعي صحيح أصلاً ، أو وصفاً .

فخرج بقيد " التقرب إلى الله " البدع الدنيوية ، كالسيارات ، والطائرات ، ونحو ذلك فكلها وسائل مشروعة بشرط ألا تتعارض مع الدين .

---

(١) انظر تلبيس إبليس : ص ٢٤.

(٢) انظر قواعد الأحكام فى مصالح الأنام : ١٧٢/٢.

(٣) انظر فتح البارى : ٢٧٨/١٣.

شبهات من قسم البدعة إلى حسنة،وقبيحة :-

تمسك من قسم البدعة إلى حسنة وقبيحة بشبهات وهي فى الحقيقة ، مغالطات وبالامعان فيها نجد أنها حجة عليهم لا لهم ، ويتضح ذلك فيما يلى :-

١ - تمسكوا بقول عمر : " نعمت البدعة هذه " ، وذلك فى صلاة التراويح حيثما جمع الناس على إمام واحد .

والصواب فى ذلك : أن صلاة التراويح على إمام واحد فى رمضان ليست بدعة وإنما هي سنة صلّاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان ، قال ابن تيمية : (فأما صلاة التراويح فليست بدعة فى الشريعة بل هي سنة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفعله . . ، ولا صلاتها جماعة بدعة بل هي سنة فى الشريعة) . (١)

وحكى ابن حجر عن ابن بطال : أن قيام رمضان سنة ؛ لأن عمر إنما أخذه من فعل النبى صلى الله عليه وسلم ، وإنما تركه صلى الله عليه وسلم خشية أن تفرض عليهم. (٢)

ويؤيد ذلك ماروى البخارى بسنده عن عروة أن عائشة أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ليلة من جوف الليل فصلى فى المسجد ، وصلى رجال بصلاته فأصبح الناس فتحدثوا فاجتمع أكثر منهم فصلوا معه ، فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى،فصلوا بصلاته فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح ، فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال : أما بعد :

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم : ص ٢٦٩، ٢٧٤، وانظر نحوه فى البدعة،والمصالح المرسلة: د . توفيق يوسف الواعي ، ص ١٠٠ ومابعدها .

(٢) انظر فتح البارى : ٢٥٢/٤، ونيل الأوطار : ٦٢/٣.

فإنه لم يخف عليّ مكانكم ، ولكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها ، وتوفي رسول الله ، والأمر على ذلك "[١]

ثم إن عمر بن الخطاب[٢] لما رأى الناس أوزاع متفرقون رأى أن يجمعهم على قارئ واحد ، وليس في ذلك دليل على أنها بدعة ؛ لأنها كانت تفعل جماعة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفعل عمر من باب إحياء السنة لا من باب إنشاء البدعة، ويؤيد ذلك ماروى البخاري بسنده عن عبدالرحمن بن عبدالقاريّ أنه قال : "خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر : إني أرى لوجمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ، ثم خرجت معه ليلة أخرى ، والناس يصلون بصلاة قارئهم قال عمر : نعمت البدعة هذه .... الحديث"[٣] .

ثم إن عمر سمّاها بدعة باعتبار ظاهر الحال لا أنها بدعة في المعنى ، فلا مشاحة في الاصطلاحات بعد فهم المعنى ، وأيضاً أراد البدعة اللغوية وهي :كل ما أحدث على غير مثال سابق سواء أكان محموداً أم مذموماً .[٤]

---

(١) صحيح البخاري: كتاب صلاة التراويح ، باب فضل من قام رمضان ٢٥٢/٢ .

(٢) وإنما لم يقم بذلك أبوبكر لأمرين :-
أ - إما لأنه رأى أن قيام الناس آخر الليل ، وماهم عليه كان أفضل عنده من جمعهم على إمام أول الليل .
ب - إما لضيق زمانه عن النظر في تلك الفروع، ولانشغاله بحروب الردة (انظر الاعتصام : ١٩٤/١، والبدعة والمصالح المرسلة : ص ١٠١) .

(٣) صحيح البخاري : كتاب صلاة التراويح ، باب فضل قيام رمضان: ٢٥٢/٢ وانظره في نيل الأوطار : ٦٣/٣ .

(٤) انظر اقتضاء الصراط المستقيم: ص ٢٧٤، ٢٧٥، والبدعة والمصالح المرسلة: ص ٩١، ٩٢، وتحذير المسلمين عن الابتداع والبدع في الدين ص ٦٩، والبدعة وأثرها السيء في الأمة : د . سليم الهلالي ، ص ٢٣ .

ثم هي سنة حتى لوحصلت من عمر ؛لأن الرسول أوصى بالتمسك بسنته، وسنة الخلفاء الراشدين من بعده .

٢ - استدلوا بحديث " من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ، ولاينقص من أجورهم شيء ،ومن سنن سنة سيئه فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ، ولاينقص من أوزارهم شيء".

والجواب عن هذه الشبهة : أنهم أغفلوا السبب الذي ورد به الحديث، وهو لايعني به البدعة التي نحن بصدد الكلام عنها ، وهذا السبب هو ماروى مسلم بسنده عن جرير بن عبدالله قال : جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم الصوف فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة فحث الناس على الصدقه فأبطوءا عنه حتى روءى ذلك في وجهه ، قال : ثم إن رجلاً من الأنصار جاء بصرة من ورق،ثم جاء آخر ، ثم تتابعوا حتى عرف السرور في وجهه ، فقال رسول الله صلى الله عليه سلم : من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعد كتب له مثل أجر من عمل بها لاينقص من أجورهم شيء....... الحديث بتمامه" (١) .

إن من نظر إلى هذا الحديث دون ذكر مناسبته التي أوردناها كمثل من قرأ قوله تعالى :" فويل للمصلين" (٢) ، ولم يكمل مابعدها حتى يتم معناها ، وهذا يدل على قلة العلم،وسوء الفهم؛لأنه يكون بفعله هذا عكس الحقائق ، وقلب الموازين .

إن سياق الحديث يدحض تفسيره الذي شاع عند المبتدعين ، وخصوا به عموم قوله صلى الله عليه وسلم : "وكل بدعة ضلالة" (٣) .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب العلم ، باب من سن سنة حسنة أوسيئة ، ٦١/٨.

(٢) سورة الماعون : آية (٤).

(٣) انظر البدعة وأثرها السيء في الأمة : ص ٢٤ - ٢٧، وقد سبق تخريج هذا الحديث ص ٨٥ من هذا البحث .

ومن ثم الحديث حجة عليهم إذ أن العمل لايكون حسناً إلا إذا قاله الشارع ، أو عمل به،أو أقره ، وهم يقولون : يكون غيره حسناً .

٣ - استدلوا بحديث " ماراه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن " .

والجواب عن هذه الشبهة : المطالبة بصحة هذا الحديث، فهم لم يثبتوا صحته فليس بحجة ؛ لأنه فى الواقع ليس صحيحاً، ولا ثابتاً عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن يروى عن ابن مسعود وهو من كلامه لا من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم. (١)

وذكر العجلوني أن إسناده ساقط ، والأصح وقفه على ابن مسعود . (٢)

فاتضح أن هذا أثر ، وليس حديثاً كما تبين من اسناده ، وعليه فإن" أل" فى كلمة " المسلمون" إن كانت للاستغراق : أى كل المسلمين فاجماع وهو حجة، وإن كانت للجنس فيستحسن هذا الأمر بعض المسلمين ، ويستقبحه آخرون كما هو الحال فى أكثر البدع ، وذلك لاختلاف العقول ، والأهواء فيسقط الاحتجاج بالأثر .

وقد تكون " أل " للعهد ، وعلى ذلك فالمراد بالأثر إجماع الصحابة، واتفاقهم على أمر كما يدل على ذلك السياق ، ثم إن ابن مسعود من أشد الصحابة إنكاراً للبدع ، وهجراناً لها . (٣)

٤ - استدلوا بقوله تعالى : " ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها" (٤)

---

(١) انظر تحذير المسلمين من الابتداع والبدع فى الدين : ص ٦٨، والبدعة، وأثرها السيء فى الأمة : ص ٢١ وسلسلة الأحاديث الضعيفة : للألباني، ٢/١٧-١٩.

(٢) انظر كشف الخفاء، ومزيل الإلباس : ٢/٢٦٣.

(٣) انظر البدعة وأثرها السيء فى الأمة : ص ٢١، ٢٢، وتحذير المسلمين من البدع ، والابتداع فى الدين :ص ٦٨، ٦٩، وسلسلة الأحاديث الضعيفة : ٢/١٨.

(٤) سورة الحديد : آية (٢٧).

والجواب عن ذلك : أن المفسرين ذكروا أن معنى ابتدعوها : لم نشرعها لهم ، ولم نكتبها عليهم ، بل ابتدعوها من عند أنفسهم ، ومعنى " ماكتبناها عليهم" أى ما فرضناها عليهم ، ولا أمرناهم بها .(١)

وقد ذكر ابن القيم فى نصب : " إلا ابتغاء رضوان الله " ثلاثة أوجه :-

١ - أنه مفعول له،وهذا فاسد ؛ فإنه سبحانه لم يكتبها عليهم ، وقد أخبر أنهم هم الذين ابتدعوها .

٢ - أنه بدل من مفعول " كتبناها " وهو فاسد أيضاً ؛ إذ ليس ابتغاء رضوان الله عين الرهبانيه .

٣ - أنه منصوب نصب الاستثناء المنقطع ، أي : لم يفعلوها ، ولم يبتدعوها إلا لطلب رضوان الله ، وهذا هو الصواب ويدل عليه قوله تعالى : " ابتدعوها " ، ثم ذكر الباعث على ذلك وهو طلب رضوان الله .(٢)

وبين الشاطبى سبب تسميتها بدعة على ذلك الوجه - بعد أن ذكر أقوال المفسرين فى الآية - حيث قال : (وإنما سميت بدعة على هذا الوجه لأمرين : أحدهما : يرجع إلى أنها بدعة حقيقية ... لأنها داخلة تحت حد البدعة وثانيهما : يرجع إلى إنها بدعة إضافية؛ لأن ظاهر القرآن دل على أنها لم تكن مذمومة فى حقهم بإطلاق، بل لأنهم أخلّوا بشرطها)(٣) .

ثم إن تلك الرهبانية من شرع من قبلنا ، وقد نسخ ذلك فى الشريعة الإسلامية السمحة،قال الشاطبى : (وعلى كل تقدير فهذا القول لايتعلق بهذه الأمة منه حكم؛ لأنه نسخ فى شريعتنا فلا رهبانية فى الإسلام)(٤)

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن : ٢٦٢/١٧، والتفسير القيم: لابن القيم، ص ٤٨٤.
(٢) انظر التفسير القيم : ص ٤٨٤، ٤٨٥.
(٣) الاعتصام : ٢٩٠/١.
(٤) الاعتصام : ٢٩٠/١.

وقد ذكر ابن تيمية : أن شرع من قبلنا شرع لنا مالم يرد شرعنا بخلافه.[1]
وكلام الشاطبي يلتقي مع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية مع أن ذلك مغربى، وهذا مشرقي جميع بينهما مع بعد الدار المنهج العلمي الصحيح ،والحرص على تصفية الإسلام من كل شائبة ، وبدعة .

وقاعدة : شرع من قبلنا شرع لنا مالم يرد شرعنا بخلافه مبنية على مقدمتين كلتاهما منفيه فى مسألة التشبه بهم :

إحداهما : أن يثبت أن ذلك شرع لهم بنقل موثوق به .

ثانيهما : أن لايكون فى شرعنا بيان خاص لذلك ، أما إذا كان فيه بيان خاص بالموافقة ،أو المخالفة استغنى عن ذلك فيما ينهى عنه من موافقتهم ، ولم يثبت أنه شرع لمن كان قبلنا ،وإن ثبت فقد كان هدي نبينا صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه بخلافه وبهم أمرنا أن نتبع ، ونقتدى.[2]

ه - استدلوا بأمور فعلها الصحابة منها :-

إحداث عثمان الأذان الأول يوم الجمعة .

وجمع القرآن على عهد أبى بكر ، وكتابته فى المصحف، والاقتصار على مصحف عثمان[3] وتفنيد ذلك الاستدلال يتضح فيما يلى :-

أ - أن ذلك اتفاق من الصحابة ، وذلك إجماع منهم، وهو حجة قاطعة.

ب - أن جمع المصحف كان للضرورة الملحة ، وكذلك الأذان الأول يوم الجمعة، ثم إن الرسول صلى الله عليه وسلم بين أن فعل الصحابة ليس بدعة بل هو

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم : ص ١٦٧.
(٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم : ص ١٦٨، ١٦٩، والبدعة وأثرها السيء فى الأمة:ص٢٨.
(٣) انظر البدعة وأثرها السيء فى الأمة : ص ٣٤، وتحذير المسلمين عن البدع والابتداع فى الدين : ص ٦٧ ومابعدها.

سنة حيث أوصى باتباع سنته، وسنة الخلفاء الراشدين من بعده .

فحاصل الكلام أن مافعله الصحابة وسائل لحفظ أمر ضروري، أو لدفع ضرر اختلاف المسلمين ، والأول : من باب مالايتم الواجب إلا به فهو واجب ، والثاني : من باب درء المفاسد ، وسد الذرائع ، وهو بخلاف البدع، فإنها لاتهم الأمة بأسرها بل تهم أهواء قوم رأوا فيها تحقيق مصالحهم، وشهواتهم.

جـ - ملائمة مافعله الصحابة لمقاصد الشريعة بحيث لاتنافي أصلاً من أصولها، ولا دليلاً شرعياً من دلائلها ، وقول أبى بكر لعمر كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ليس فيه مايدل على أنهم يعلمون أن فعلهم ينافى الشرع ؛ فإن المانع من جمعه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ماكان من ترقبه من ورود الناسخ لبعض أحكامه ، أوتلاوته ؛لأن الوحي لايزال ينزل ، فلو جمع فى مصحف واحد لتعسر، وتعذر تغييره فى كل وقت فلما انقضى نزوله بوفاته صلى الله عليه وسلم استقرت الشريعة، وكمل الدين فألهم الله الخلفاء الراشدين لجمع القرآن، والاقتصار على مصحف عثمان ، والمقتضى للعمل قائم بسنته. (١)

وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية على من قسم البدع إلى حسنة، وقبيحة حيث بين أن المعارضين يقولون : ليست كل بدعة ضلالة، والجواب : أن التحذير من الأمور المحدثة نص رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يحل لأحد أن يدفع دلالته على ذم البدع ، ومن نازع فى دلالته فهو مراغم .

---

(١) انظر البدعة وأثرها السيء فى الأمة : ص ٣٦ - ٣٩.

وأما المعارضات فالجواب عنها بأحد جوابين :-

إما أن يقال : ماثبت حسنه فليس من البدع فيبقى العموم محفوظاً لاخصوص فيه ، وإما أن يقال : ماثبت حسنه فهو مخصوص من هذا العموم فيبقى العموم على عمومه ، وإما أن يقال : ماثبت حسنه فهو مخصوص من العموم ، والعام المخصوص دليل فيماعدا صورة التخصيص. (١)

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم : ص٢٧٠ ومابعدها .

تقسيم البدع إلى الأحكام الخمسة :-

أجرى بعض العلماء أحكام الشريعة الخمسة على البدع فجعلوا منها الواجب، والمندوب ، والمباح ، والمكروه ، والمحرم .

وقد ذهب إلى هذا التقسيم العز بن عبدالسلام حيث قال : (البدعة هي فعل مالم يعهد في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهي منقسمة إلى بدعة واجبة ، وبدعة محرمة، وبدعة مندوبة ، وبدعة مكروهة ، وبدعة مباحه) . (١)

وقد ذهب إلى هذا التقسيم تلميذه القرافي . (٢)

وقد مثلوا لكل قسم منها ءنوضح ذلك فيما يلي :-

أ - قسم واجب : وهو ماتناولته قواعد الوجوب ، وأدلة الشرع مثل : تدوين القرآن ، والشرائع إذا خيف عليها الضياع ، وحفظ غريب الكتاب ، والسنة من اللغة ، وتدوين أصول الفقه ، والكلام في الجرح ، والتعديل .

ب - قسم محرم : وله أمثلة منها : مذهب القدرية ، ومذهب الجبرية ، والمرجئة .

جـ - قسم مندوب : وله أمثلة منها : إحداث الرباط ، والمدارس، وبناء القناطر ، ونحو ذلك .

د - قسم مكروه : وله أمثلة منها : زخرفة المساجد .

هـ - قسم مباح : وله أمثلة منها : المصافحة عقب صلاة الصبح ، والعصر والتوسع في اللذيذ من المآكل ، والمشارب . (٣)

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام : ٢/١٧٢.

(٢) انظر الفروق : ٤/٢١٧.
والقرافي هو : أحمد بن إدريس بن عبدالرحمن الصنهاجي الأصل المشهور بالقرافي فقيه ، وأصولي ، ومفسر، ومشارك في علوم أخرى ولد بمصر سنة ٦٢٦هـ وتوفى سنة ٦٨٤هـ له عدة مؤلفات منها التنقيح في أصول الفقه، والذخيرة في الفقه(الاعلام: ١/ ٩٠ و انظر معجم المؤلفين : ١/١٥٨).

(٣) انظر قواعد الأحكام في مصالح الأنام : ٢/١٧٢، وفي هامش الفروق : ٤/٢١٨ ومابعدها، والاعتصام : ١/١٨٨-١٩١، والبدعة والمصالح المرسلة:ص ٩٦-١٠٠.

وقد رد ذلك كله الإمام الشاطبى ، وبين أن هذا التقسيم أمر مخترع فى الدين لايدل عليه دليل شرعي ، بل هو متدافع فى نفسه ؛ لأن حقيقة البدعة ألا يدل عليها دليل شرعي لامن نصوص الشرع ، ولامن قواعده ، فلو كان هناك مايدل من الشرع على وجوب ، أوندب ، أو إباحة لما كان ثم بدعة،بل كان العمل بذلك داخلاً فى عموم الأعمال المأمور بها شرعاً ، أو المخير فيها ، فالجمع بين تلك الأشياء بكونها بدعاً ، وبين كونها تدل الأدلة الشرعية على وجوبها أو ندبها ، أو إباحتها جمع بين متنافيين .

ثم رد على العز بن عبدالسلام ، وتلميذه القرافي ومن تبعهما على ذلك التقسيم بأن المكروه منها والمحرم مسلم من جهة كونها بدعاً لامن جهة أخرى إذ لو دل دليل على منع أمر ، أو كراهته لم يثبت ذلك كونه بدعة لإمكان أن يكون معصية كالقتل، والسرقة ونحو ذلك. (١)

ومن العجب حكاية الاتفاق مع المصادمة بالخلاف ، ومعرفة مايلزمه فى خرق الإجماع،وكأن القرافي اتبع فى هذا التقسيم شيخه من غير تأمل ؛ فإن العز بن عبدالسلام الذى يظهر منه أنه سمى المصالح المرسلة(٢) بدعاً بناء على أنها لم تدخل بأعيانها تحت النصوص المعنية، ثم إن القرافي لاعذر له فى نقل تلك تلك الأقسام ؛ لأنه خالف الكل فى ذلك التقسيم فصار مخالفاً للإجماع .

وأما قسم التحريم : فليس فيه ماهو بدعة هكذا بإطلاق بل ذلك كله مخالفة للأمر المشروع .

---

(١) انظر الاعتصام : ١٨٨/١.

(٢) هى مايعبر عنه بالمناسب وهو وصف ظاهر منضبط يحصل عقلاً من ترتيب الحكم علة مايصلح أن يكون مقصوداً من جلب منفعه أو دفع مضرة .
(انظر نهاية السول : للإسنوى ٧٦/٤).

وأما قسم المندوب : فليس من البدع بحال ، وأما السياسات ؛فإن كانت جارية على مقتضى الدليل الشرعي فليست ببدع ، وإن خرجت عن ذلك فكيف يندب إليها .

وأما قسم الواجب : فى قول ابن عبدالسلام ؛ فإنه يدخل فى باب مالايتم الواجب إلا به فهو واجب ، وقد صرح هو بذلك ، ثم إنه يؤدى إلى حفظ ماهو ضرورى شرعًا ، وإنه والبدع لايستويان .

وأما القسم المندوب : فليس من البدع بحال فبناء القناطر ، والمدارس وسائل لدفع ضرر ، أو جلب منفعة عامة ، فالرباط يدفع كيد الأعداء ، والقناطر تسهل حركة الناس وتنقلاتهم وله وأصل فى شعب الإيمان وهو إماطة الأذى عن الطريق فلا يصح من البدع بحال .
وأما المدارس : فتحقيق طلب العلم .

قلت : وأما الكلام فى دقائق التصوف فهذا أمر خارج عن حدود الشرع ؛ لأن الإسلام ليس فيه مايسمى تصوف بل من كان سالكًا الصراط المستقيم يقال له : ملتزم وليس متصوفًا .

وأما ماعدّه العز بن عبدالسلام من زخرفة المساجد ، ونحوها من البدع المكروهة : إن أريد مجرد الفعل من غير اقتران أمر آخر فغير مسلم ، وإن أريد مع اقتران أصل التشريع فصحيح ماقاله إن البدعة لاتكون بدعة إلا مع اقتران هذا القصد ؛ فإن لم يقترن فهي منهي عنها غير بدع .

وأماماعده من أمثلة البدع المباحة : المصافحة عقب صلاة الصبح ، والعصر أما أنها بدع فمسلم ، وأما أنها مباحة فممنوع إذ لادليل فى الشرع يدل على تخصيص تلك الأوقات بها (١) .

---

(١) انظر الاعتصام : ١/١٩١ - ٢١٢ ، والبدعة ، والمصالح المرسلة : ص ٩٩ ، والبدعة وأثرها السيء فى الأمة : ص ٣٩ ، ٤٠ .

وقد رد الشوكاني أيضًا على من قسم البدع إلى الأحكام الخمسة - عند الكلام على حديث " من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد "[١] بقوله : (وما أصرحه، وأدله على إبطال مافعله الفقهاء من تقسيم البدع إلى أقسام ، وتخصيص الرد ببعضها بلامخصص من عقل ، ولا نقل)[٢] .

قلت : وابن حجر يؤيد تقسيم البدع إلى حسنة ، وقبيحة ، وإلى الأحكام الخمسة حيث قال : (والتحقيق : أنها إن كانت مما تندرج تحت مستحسن الشرع فهي حسنة وإن كانت مما يندرج تحت مستقبح الشرع فهي مستقبحة ، وإلا فهي من القسم المباح، وقد تنقسم إلى الأحكام الخمسة) .[٣]

ويرد التقسيم المذكور عموم النصوص التى تنهى عن البدع من غير تفريق .

---

(١) سيأتي تخريجه : ص ٣٠٨ .

(٢) نيل الأوطار : ٦٩/٢ .

(٣) فتح البارى : ٢٥٣/٤ .

تقسيمات أخرى للبدعة باعتبارات مختلفه :-

هناك عدة تقسيمات أخرى للبدعة منها :-

أ - أنها تنقسم إلى قسمين :-

١ - **بدعـة حقيقـــة :-**

وهي التى لايدل عليها دليل شرعي لامن كتاب ، ولا من سنة ، ولاإجماع، ولا استدلال معتبر عند أهل العلم المعتبرين لافى الجملة ، ولافى التفصيل .

ولذلك سميت بدعة؛لأنها شيء مخترع على غير مثال سابق ، وإن كان المبتدع يأبى أن ينسب إليه الخروج عن الشرع إذ هو مدع أنه داخل بما استنبط تحـــت مقتضى الأدلة ، لكنها دعوى عارية من الصحة لافى نفس الأمر ، ولا بحسب الظاهر، لأن أدلته شبه ، وليست أدلة حقيقية .

وهي أكثر،وأعم،وأشهر فى الناس ، فافترقت الفرق وكان الناس شيعاً .(١) والبدع الحقيقية لما كانت أكثر ، وأعم شيوعاً ، وهي من الوضوح بحيث لا تخفـــى على أحد ترك كثير من العلماء - منهم الشاطبي - مايتعلق بها من الأحكام .

ومن أمثلتها : التقرب إلى الله بتعذيب النفس ، وقتلها لتنال الدرجات العلـــى كما يفعله الهنود من الاحراق بالنار حتى الموت ، ومن ذلك اختراع عبادة ماأنـزل الله بها من سلطان كصلاة الظهر بأكثر من سجودين،أو ركوعين فى كل ركعة.

ومن ذلك إنكار الاحتجاج بالسنة الصحيحة ، أو تقديم العقل على النقـــل الصحيح .

ومن ذلك:القول بارتفاع التكاليف عند الوصول إلى درجة معينه - كما يزعم غـــــلاة

---

(١) انظر الاعتصام : ١/٢٨٦، ٢٨٧.

الصوفية - وغير ذلك من الأمثلة .[1]

٢ - بدعـة إضافيـة : وهي التى لها شائبتان :

إحداهما : لها من الأدلة متعلق فلا تكون من تلك الجهة بدعة .

ثانيهما : ليس لها متعلق إلا مثل ماللبدعة الحقيقية فهي باعتبار إحدى الجهتين سنة ؛ لأنها مستندة إلى دليل ، وبالنسبة للجهة الأخرى بدعة ؛ لأنها مستندة إلى شبهة لا دليل ، أو غير مستنده إلى شئ .

والفرق بينهما من جهة المعنى : أن الدليل عليها من جهة الأصل قائم لا من جهة الكيفيات ، والأحوال ، والتفاصيل مع أنها محتاجة إليه ؛ لأن الغالب وقوعها فى الأمور التعبدية لا فى العادات المحضة .

وقد مثل لها الشاطبى[2] بقوله تعالى : " ورهبانية ابتدعوها "[3] .

ومن أمثلها : ملازمة الخشن من الشياب ، أو من الطعام مع القدرة على غيره من الطيب بقصد التقرب إلى الله ككسر كِبْر ، أو مقاومة شهوة ونحو ذلك؛ فإن ذلك ابتعاداً عن شكر الله ، وإيثاراً للحرمان من التنعم.[4]

ب - تنقسم البدعة باعتبار متعلقها إلى قسمين :-

١ - بدع اعتقاديـة :-

وهي الاعتقادات الفاسدة على خلاف ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهي أخطر أنواع البدع ، وأكثرها ضلالاً وهي المتبادرة عندالإطلاق .

---

(١) انظر البدعة،والمصالح المرسلة : ص ١٧٥ - ١٧٨.
(٢) انظر الاعتصام : ١/٢٩٠.
(٣) سورة الحديد : آية (٢٧).
(٤) انظرالبدعة والمصالح المرسلة : ص ١٨٠ ومابعدها .

ومظاهرها لايمكن حصرها فى عدد معيّن ؛ لأنه فى كل زمان تظهر بدع جديدة مخالفة للعقيدة الإسلامية الصحيحة ، ومنافية لها .
ومن أمثلتها : بدع الشيعة كاستعمالهم التقية[1] فى الاعتقاد ، والطعن فى الصحابة، وقولهم : بالرجعة[2] ، واعتقادهم العصمة فى الإمام وغير ذلك من البدع.[3]
وكبدعة الخوارج ، والمعتزلة ، وبدعة التوسل بالذوات البشرية ويدخل فى ذلك بدع الصوفية كزعمهم أن الإسلام حقيقة ، وشريعة وقولهم بالحلول والاتحاد .[4]

٢ - بدع عملية :-

ضابطها كل فعل يخالف فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ومثال ذلك: بدع الأعياد ، والاحتفالات المخالفة للشرع كالاحتفال بعيد غدير خم[5] ، وإقامة الشيعة كثير من أفعال الجاهلية فى شهر المحرم من العزاء ، والنياحة ، والجزع، وضرب الخدود وغير ذلك ، ومن ذلك البدع التى يفعلها الناس اليوم : كعيد شم النسيم ، وأعياد الميلاد وغير ذلك مما ليس له أصل فى الشريعة الإسلامية،

---

(١) وهى من أصول دين الرافضة، ويحكون ذلك عن أئمة أهل البيت الذين برأهم الله من ذلك ويحكون ذلك عن جعفر الصادق أنه قال : التقيه دينى ودين آبائى، والحقيقة أن دينهم التقوى لا التقية ؛ لأن التقية نفاق فيظهرون فيها مالا يبطنون (انظر منهاج السنة النبوية : ١/١٥٩، ومختصر التحفة الاثنى عشرية : ص ٢٨٧ ومابعدها) .
(٢) مذهب أهل السنة والجماعة أن الأموات لا رجعة لهم فى الدنيا قبل يوم القيامة، وذهبت الإمامية قاطبة إلى القول برجعة بعض الأموات كعلي والسبطين وغيرهم من الأئمة (انظر مختصر التحفة الاثنى عشرية : ص ٢٠٠).
(٣) انظر مختصر التحفة الاثنى عشرية : ص ٧٠ - ٢٠٠.
(٤) انظر الفكر الصوفى فى ضوء الكتاب والسنة : لعبدالرحمن عبدالخالق :ص ٣٥ ومابعدها ، وتحذير المسلمين من البدع ، والابتداع فى الدين : ص ١٢٤ - ١٣٤.
(٥) هو موضع بين مكة والمدينة ، بينه وبين الجحفة ميلان (انظر معجم البلدان : ٤/١٨٨).

ولم يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا صحابته من بعده[1] .

ومن البدع العملية المحدثة : الاحتفال بمولد النبى صلى الله عليه وسلم ، أول من أحدثه المعز لدين الله الفاطمي عام "٣٦٢هـ" ، ودام الاحتفال به إلى أن أبطله بدر الدين الجمالي[2] ، ولما ولي الخلافة الآمر بأحكام الله بن المستعلي أعاد الاحتفال به وذلك سنة " ٤٩٥هـ" وأول من أحدث هذا الاحتفال بإربل[3] الملك المظفر أبو سعيد فى القرن السادس ، أو السابع ،وألف ابن دحيه الكلبي كتاباً أسماه " التنوير فى مولد البشير النذير" حسّن فيه الاحتفال ، وأقام على ذلك وجوه الاستدلال .[4]

وهكذا تطورت مظاهره حتى وصلت إلى ماهي عليه الآن فى عصرنا الحاضر قال ابن تيمية : (وكذلك مايحدثه بعض الناس إما مضاهاة للنصارى فى ميلاد عيسى عليه السلام ، وإما محبة للنبى صلى الله عليه وسلم ، وتعظيماً له ، والله قد يثيبهم على هذه المحبة ، والاجتهاد لا على البدع من اتخاذ مولد النبى صلى الله عليه وسلم عيداً مع اختلاف الناس فى مولده)[5] .

---

(١) انظر الشرح والإبانه : للعكبرى : ص ٣٣١ - ٣٥٢ ، ومختصرالتحفة الاثنى عشرية : ص ٢٠٨ - ٣٠٠ وتحدير المسلمين عن البدع والابتداع فى الدين : ص ٩٠ ومابعدها ، وبطلان عقائد الشيعة : لمحمد عبدالستار التونسوى ، ص ٩٥ ومابعدها .

(٢) هو بدر الدين بن عبدالله أبو النجم أمير الجيوش المصرية أصله من أرمينيه اشتراه جمال الدولة بن عمار غلاماً فتربى عنده ونسب إليه ولد سنة ٤٠٥هـ ، وتوفى سنة ٤٨٧هـ (انظر الأعلام : ١٣/٢) .

(٣) مدينة بالعراق تقع فى السهل المسمى باسمها ، وهي الموقع الأشورى الوحيد الذى ظل آهلا بسكانه ، محتفظاً باسمه القديم (انظر الموسوعة العربية الميسرة : ١١٠/١) .

(٤) انظر البدعة تحديدها ، وموقف الإسلام منها : د . عزت عطية ص ٤٨١ ومابعدها نقلاً عن كتاب تاريخ الاحتفال بالمولد النبوى : لحسن السندوبي ، ط الاستقامة ١٩٤٨م .

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم : ص ٢٩٤ .

دخول البدع فى العبادات ، والعادات[1] :-

صّرح العلماء بأنه لاخلاف فى دخول البدعة فى الأمور التعبدية سواء أكانت أعمالاً قلبية ، أم اعتقادية ، وسواءأكانت من أعمال الجوارح قولاً ، أوفعلاً كمذهب القدرية ، والمرجئة ، والخوارج ، وغيرهم من الفرق الضالة ، أم كانت من اختراع العبادات. [2]

قال الشاطبى : (أما العبادية فلا إشكال فى دخول الابتداع فيها ، وهي عامة الباب) [3] لكن العلماء اختلفوا فى دخول البدع فى العادات ، ومبنى هذا الاختلاف هو الأصول التى سار عليها كل منهم فى تعريف البدعة :-

أ - الذين قالوا : بالبدعة غير المذمومة ، قالوا : بدخول البدعة فى العادات من غير تحفظ ، ولا اشتراط ؛ لأن البدعة عندهم قد تكون غير مذمومة فلا إشكال عندهم أن تخترع عادات ، وصناعات وهي أمور عادية ، ولاتكون مذمومة؛لأنهم أدخلوا البدعة اللغوية فى مسمى البدعة الشرعية ، وأصحاب هذا الرأى يستدلون على ذلك بأمور:

١ - أن الشريعة شملت الحياة كلها ، وأمور الدنيا منها مايكون عباده ، ومنها مايكون عادة فكيف يدخل الابتداع فى قسم ، ولايدخل فى آخر ؟ ومثلوا لذلك بالمكوس المحدثة ، والمظالم ، وتقديم الجهال على العلماء فى الولايات ، وتولية المناصب الشريفة لمن ليس لها بطريق الوراثة ، وغسل اليدين بالأشنان ونحوه .

٢ - أن الأحاديث أدخلت البدع فى الأمور العادية ، وأخبرت بأشياء تكون فى آخر الزمان وهي خارجة عن سنة الرسول صلى الله عليهوسلم . [4]

---

(١) عرفها بعضهم بقوله:العادة هي مالايقصدمنه التقرب إلى الله طمعاً فى الثواب (انظر الابداع فى مضار الابتداع : للشيخ على محفوظ ، ص ٦٣) .
(٢) انظر البدعة والمصالح المرسلة : ص ١٩٧ ومابعدها .
(٣) الاعتصام : ٧٢/٢.
(٤) انظر البدعة،والمصالح المرسلة : ص ١٩٨ - ٢٠٠.

ومن ذلك ماروى مسلم بسنده عن عبدالله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنكم سترون بعدي أثرة ، وأمور تنكرونها قالوا : يارسول الله كيف تأمر من أدرك منا ذلك قال تؤدون الحق الذى عليكم ، وتسألون الله الذى لكم" (١) .

ب - أما الذين قالوا : إن البدعة مذمومة لم يدخلوا البدع فى العادات لأمرين :-

١ - أنها لو دخلت هذه المخترعات التى جاءت بعد الصدر الأول لكان من تلبس بشيء منها مخالفاً لما كان عليه الصدر الأول ، وموجباً للذم ، وهذا فيه من الظلم والاجحاف مافيه ؛ فإن العقول كل يوم تخترع جديداً فى شئون الحياة التى حث الله عليها ، وأمر بالسعي فيها .

٢ - إدخال البدع فى العادات يؤدى إلى شل الحياة ، وتعطيل مصالح الناس ،وجلب الحرج الذى نهى الله ورسوله عنه .

وماذكروه من المكوس (٢) ، والمظالم ، وتقديم الجهال على العلماء ؛ فإنه مخالف للمشروع .

رأى الشاطبى فى تلك المسألة :-

صرح الشاطبى بما ارتضاه فى دخول البدعة فى الأمور العادية بأن يختار طريقاً وسطاً فقال : (والصواب فى المسألة طريقة أخرى وهي تجمع شتات النظرين ، وتحقيق المقصود

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإمارة ، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول ، فالاول ٦ /١٧، ١٨.

(٢) هي ماتعرف بالضرائب، وهي معرفة منذ أقدم العصور، فكان الحاكم يفرض على رعاياه مبلغا نقديًا ، أوحصة معينه تؤدى له فى وقت معين ، وقد تنوعت الضرائب - حالياً - فى أغلب البلدان فهناك الضرائب المباشرة وهي تنصب على الدخل أو رأس المال ، والضرائب غير المباشرة : وتنصب على انتاج السلع واستهلاكها (انظر الموسوعة العربية الميسرة : ٢/١١٤٢).

من الطريقتين) [١] .

ثم قسم أفعال المكلفين إلى قسمين :

أحدهما : أن تكون من قبيل التعبدات .

ثانيهما : من قبيل العادات ، وهذا ظاهر النقل عن السلف الأولين أن المسألة مختلف فيها ، فمنهم من يرى أن العاديات كالعبادات فكما أننا مأمورون فى العبادات بأن لانحدث فيها فكذلك العادات . [٢]

وعلى هذا الترتيب يكون قسم العادات داخلاً فى قسم العبادات فدخول الابتداع فيه ظاهر.

ومبنى رأى الشاطبي أن العادات تدخلها البدعة إذا ضاهت الشرعية أو قصد بها مايقصد بالطريقة الشرعية فهو يقرر هذا بقوله : (ثبت فى الأصول الشرعية أنه لابد فى كل عادى من شائبة التعبد ، لأنه مالم يعقل معناه على التفضيل من المأمور به ، أو المنهي عنه فهو المراد بالتعبدى ، وماعقل معناه وعرفت مصلحته ، أو مفسدته فهو المراد بالعادى فالطهارات ، والصلوات والصيام والحج كلها تعبدى ، والبيع ، والنكاح ، والشراء ، والطلاق ، والإجارات والجنايات كلها عادى ؛ لأن أحكامها معقوله المعنى ، ولابد فيها من التعبد إذ هى مقيده بأمور شرعية لاخيرة للمكلف فيها) [٣] .

أما ابن تيمية فيقول :(فالأصل فى العبادات أن لايشرع منها إلا ماشرعه الله،والأصل فى العادات : ألا يحظر منها إلا ماحظره الله ، وهذه المواسم المحدثة إنما نهى عنها لما حدث فيها من الدين الذى يتقرب به) [٤]

---

(١) الاعتصام : ٢/٧٨.

(٢) انظر الاعتصام ٢/٧٩،والبدعة، والمصالح المرسلة ص ١٩٩ ومابعدها .

(٣) الاعتصام : ٢/٨٠.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم : ص ٢٦٩.

والحاصـــــل : أن العادات إذا كانت فيها شائبة التعبد ، وقصد بها التقرب إلـــى الله دخلت فى مسمى البدعة ، وإلا فلا ،وهذا ماقرره أخيراً الشاطبي حيث قال : (. . . . إن العاديات من حيث هي عادية لابدعة فيها ، ومن حيث يتعبد بها أو توضع موضع التعبـــد تدخلها البدعة ، وحصل بذلك اتفاق القولين وصار المذهبان مذهباً واحداً وبالله التوفيق) [1].

موقف الإسلام من البدع ، والابتداع :-

حذر الإسلام من الابتداع فى الدين بأى وجه من الوجوه ؛ لأن الله تعالى أكمـــل لنا الدين فلسنا بحاجة إلى زيادة نزيدها فيه ، ويؤيد ذلك مايلى :

١- : **القـــرآن الكريـــــم :-**

الآيات التى تذم البدع كثيرة منها :-

قوله تعالى : " وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ، ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عـــن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون "[2].

وقد فسر مجاهد السبل : بالبدع.[3]

والسبل أيضاً : تعم جميع الملل المنحرفة ، وأهل البدع ، والضلالات وغيرهم،وصحـــح هذا القرطبى.[4]

وقوله تعالى :" اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسـلام ديناً"[5]

وقوله تعالى:" ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين"[6]

---

(١) الاعتصام : ٩٨/٢.

(٢) سورة الأنعام : آية (١٥٣).

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن : ١٣٨/٧.

(٤) انظر المصدر نفسه : نفس الجزء والصفحة .

(٥) سورة المائدة : آية (٣).

(٦) سورة آل عمران : آية (٨٥).

وذم تعالى النصارى على الرهبانيه التى ابتدعوها بقوله : " ورهبانية ابتدعوها "(١)
وذم تعالى الذين يتبعون المتشابه بقوله : " هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة ،وابتغاء تأويله ، ومايعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون : آمنا به كل من عند ربنا "(٢) .
روى البخارى بسنده عن عائشة قالت : تلا رسول الله هذه الآية .... قالت فقال : فإذا رأيت الذين يتبعون المتشابه فأولئك الذين سمّى الله فاحذروهم"(٣) .
وقال قتادة : فى قوله تعالى :" فأما الذين فى قلوبهم زيغ " إن لم يكونوا الحرورية وأنواع الخوارج فلا أدرى منهم. (٤)
والآية : نعم كل كافر ، وزنديق ، وجاهل ، وصاحب بدعة. (٥)
وقوله تعالى :" إن الذين فرقوا دينهم ، وكانوا شيعاً لست منهم فى شئ إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون "(٦)
فإن الآية تعم جميع الكفار ، وكل مبتدع ،ومن جاء بما لم يأمر به الله فقد فرق دينه(٧)
وغير ذلك من الآيات الدالة على ذم البدع ، والتحذير منها .

---

(١) سورة الحديد : آية (٢٧).
(٢) سورة آل عمران : آية (٧) .
(٣) صحيح البخارى : كتاب التفسير ، باب منه آيات محكمات ، وأخر متشابهات ٦/١٦٥ ، وانظره فى صحيح مسلم : كتاب العلم ، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، ٨/٥٦ ، ٥٧ ، وفى سنن أبي داود : كتاب السنة ، باب مجانية أهل الأهواء ٤/١٩٨.
(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن : ٤/١٣.
(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن : ٤/١٣.
(٦) سورة الأنعام : آية (١٥٩).
(٧) انظر الجامع لأحكام القرآن : ٧/١٤٩.

٢- : السنة الصحيحة :

حذر الرسول صلى الله عليه وسلم عن البدع فى أحاديث كثيرة تفوت الحصر ، إلا أننا نذكر منها ماتيسر ليدل على الباقي مع التحرّي فى ذلك منها :

١ - ماروى البخارى بسنده عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد "(١).

٢ - ماروى مسلم بسنده عن جابر بن عبدالله قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه ، وعلا صوته ، واشتد غضبه ، كأنه منذر جيش يقول : صبحكم ومساكم، ويقول : بعثت أنا والساعه كهاتين، ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى ويقول : أما بعد " فإن خير الحديث كتاب الله ،وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة"(٢) .

٣ - ماروى البخارى بسنده عن حذيفه - وفيه - " فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم وفيه دخن، قلت : ومادخنه؟ قال : قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر ، قلت : فهل بعد ذلك الخيرمن شر؟قال : نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها ، قلت يارسول الله صفهم لنا ، قال هم : من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا قال :فما تأمرنى ، إن أدركت ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ......الحديث"(٣)

---

(١) صحيح البخارى: كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ، ٣/ ١٦٧ وانظره فى صحيح مسلم: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطله، ورد محدثات الأمور ٥/١٣٢ .

(٢) صحيح مسلم: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبه، ٣/١١، وانظره فى سنن أبى داود : كتاب السنة، باب فى لزوم السنة، ٤/٢٠١.

(٣) صحيح البخارى: كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة : ٨/٦٣ ورواه فى كتاب المناقب ، باب (٢٥) .

٤ - ماروى البخارى بسنده عن أبى سعيد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
" لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه قلنا : يارسول الله اليهود والنصارى قال فمن ؟" (١) .

وغير ذلك من الأحاديث الدالة على لزوم السنة ،والتحذير من البدعة. (٢)

٣ - : ماجاء عن السلف الصالح من ذم البدع ، ولزوم السنة :-

ماذكره السلف الصالح من ذم البدع ، ولزوم السنة أمر يفوق الحصر وحسبناهنا أن نذكر بعض تلك الأقوال :-

١ - قال عمر بن الخطاب : أصحاب الرأى أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا : بالرأي فضلوا وأضلوا" (٣) .

٢ - قال ابن عمر : " من ترك السنة كفر". (٤)

٣ - قال ابن مسعود :" اتبعوا ولاتبتدعوا فقد كفيتم؛فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة." (٥)

٤ - قال الأوزاعي : " ما ابتدع رجل بدعة إلا سلب ورعه". (٦)

٥ - روى ابن بطة بسنده عن سفيان الثورى أنه قال :" البدعة أحب إلى إبليس من

---

(١) صحيح البخارى: كتاب الأنبياء ، باب ماذكر عن بنى إسرائيل ، ٤/١٤٤.
وفى كتاب الاعتصام ، باب (١٤).
وانظره فى صحيح مسلم : كتاب العلم ، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، ٨/٥٧.

(٢) انظر الشرح والإبانه : للعكبرى، ص ١٠٥ - ١١٩، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة : للالكائي ، ١/٥٠ - ١٥١، والاعتصام : ١/٦٨ - ٧٧ .

(٣) انظر الشرح والإبانه : ص ١٢١.

(٤) انظر المصدر نفسه : ص ١٢٣.

(٥) انظر المصدر نفسه :ص ١٣٦.

(٦) انظر المصدر نفسه : ص ١٣٥.

المعصية ، والمعصية يتاب منها ، والبدعة لايتاب منها "[1] .

٦ - روى - أيضاً - بسنده عن الحسن البصرى قال : " ثلاثة ليست لهم حرمة فى الغيبة : أحدهم صاحب بدعة ،والغالي ببدعته "[2] .

وغير ذلك من الآثار التى تفوق الحصر.[3]

٤-كما أن الشرع يمقت البدع ويذمها كذلك العقل السليم يذمها؛لأنها خروج عن الصراط المستقيم ويتضح ذلك فيما يلى :-

أ - أن العقول غير مستقلة بمصالحها استجلاباً لها ، أو مفاسدها استدفاعاً لها ؛ لأنها إما دنيوية فلا يستقل بادراكها على التفصيل لافى ابتداء وضعها أولاً ، ولا فى استدراك ماعسى أن يعرض فى طريقها سواء فى السوابق أو فى اللواحق. وأما المصالح الأخروية : لايدرك العقل كذلك المصالح من جهة وضع أسبابها فالعبادات مثلاً لايشعر بها العقل على التفصيل ، وكذلك تصور الدار الآخرة ومايكون فيها .[4]

ب - أن الشريعة جاءت كاملة،وقد سبقت الأدلة على ذلك ، قال مالك من ابتدع فى الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم خان الرسالة[5].

جـ - أن المبتدع معاند للشرع ومشاق له ؛ لأن الشارع قد عين لمطالب العبد طرقاً خاصة على وجوه خاصة ، وقصر الخلق عليها بالأمر والنهي، والوعد ، والوعيد وأخبر أن الخير فيها ، وأن الشر فى تعديها ، والمبتدع يرد ذلك كله؛ لأنه

---

(١) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة : ١٣٢/١.

(٢) انظر المصدر نفسه : ١٤٠/١.

(٣) انظر الشرح والإبانه :ص١١٩ - ١٧١، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة : ١٢٦/١ - ١٨٦ ، وجامع بيان العلم وفضله : لابن عبدالبر، ١١٣/٢، ٢٤٦، والاعتصام : ٧٧/١ - ١٤٠ .

(٤) انظر الاعتصام : ٤٦/١، ٤٧.

(٥) انظر المرجع نفسه : ٤٨/١ ، ٤٩ .

يزعم أن ثم طرقاً أخر ، وهذا إن كان مقصوداً للمبتدع فهو كفر بالشريعة ، وإن كان غير مقصود فهو انحراف وضلال مبين .(١)

د - أن المبتدع نزل نفسه منزلة المضاهي للشارع ؛ لأن الشارع وضع الشرائع وألزم الخلق السير على سننها ، وعدم الحياد عنها وهو المنفرد بذلك ، وإلا لوكان التشريع من مدركات الخلق لم تنزل الشرائع ، ولم يبق الخلاف بين الناس، ولا احتيج إلى الرسل .(٢)

هـ - انه اتباع للهوى ؛ لأن العقل إذا لم يكن متبعاً للشرع لم يبق له إلا الهوى والشهوة ، واتباع الهوى ضلال مبين ، قال تعالى : " ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ، واتبع هواه ، وكان أمره فرطاً "(٣) فجعل الأمر محصوراً بين شيئين : اتباع الذكر ، واتباع الهوى .(٤)

---

(١) انظر المرجع نفسه : ١/ ٤٩.

(٢) انظر المرجع نفسه : ١/ ٥٠، ٥١.

(٣) سورة الكهف : آية (٢٨).

(٤) انظر الاعتصام : ١/ ٥١، ٥٢.

منهج السلف الصالح في تقرير العقيدة ، والرد على البدع :-

يتضح فيما يلى :-

١ - تحكيم كتاب الله،وسنة رسوله الصحيحة فى جميع الأمور ، وعدم رد شئ منهما أو تأويله على وجه يخالف نصوصهما .

٢ - الأخذ بما ورد عن الصحابة،والتابعين،ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين فى الأمور الدينية عامة ، وفى العقيدة السليمة خاصة .

٣ - عدم مجادلة أهل البدع ، ومجالستهم، أو سماع كلامهم، أو عرض شبهاتهم .

٤ - عدم الخوض فى المسائل الاعتقادية مما لامجال للعقل فى الخوض فيه .

٥ - عدم الرد على البدعة ببدعة مثلها .

٦ - اتباع جماعة المسلمين ، ووحدة كلمتهم.(١)

ثالثاً : المعاصي كبيرها ، وصغيرها :-

وهي من القوادح فى التوحيد ؛ لأن ضررها على القلب كضرر السموم فى الأبدان على اختلاف درجاتها فى الضرر ، فما من شر ، وبلاء ، وداء إلا سببه الذنوب والمعاصي .

فالمعصية هي التى أخرجت الأبوين من الجنة،قال تعالى مخبراً عن ذلك :" وعصى آدم ربه فغوى"(٢)

واستحق إبليس بسببها غضب الله عليه ، ولعنه ، ووعيده بالنار المحرقة .

كما أنها سبب هلاك الأمم السابقة المكذبة للرسل على اختلاف العذاب العاجل عليها مع الوعيد بالعذاب الآجل .(٣)

---

(١) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة : ٥٣/١، من كلام المحقق .
(٢) سورة طه : آية (١٢١).
(٣) انظر الداء والدواء : لابن القيم ، ص ٥٩ ومابعدها.

وقد يمهل الله العاصي لكنه لايهمله فيضفي عليه ثوب النعم ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر ، قال تعالى :" سنستدرجهم من حيث لايعلمون"[1] .

آثار المعاصي السلبية على العبـــد :-

آثار المعاصي كثيرة لايمكن حصرها هنا لكن نذكر أهمها فيما يلي :-

١ - أنها تضعف فى القلب تعظيم الرب ؛ لأن تعظيم الرب فى قلب العبد يقتضـــى تعظيم حرماته.

٢ - أنها إذا تكاثرت طبع على قلب صاحبها فيكون من الغافلين،قال تعالى :" كــــلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون"[2] .

٣ - أذا كانت الذنوب كبائر تجعل العبد يستحق اللعنة والطرد من رحمة اللـــــه قال تعالى:" لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانـــــوا يفعلون"[3] .

٤ - انها تحدث الفساد فى الأرض،قال تعالى :" ظهر الفساد في البر ، والبحـــــر بما كسبت أيدى الناس لنذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون "[4] .

وقد ذكر القرطبى خلاف العلماء فى المراد بالفساد فى الأرض :

قيل : الشرك ، وقيل : القحط ، وقلة المطر ، وقلة النبات،وقيل : غير ذلك[5]

---

(١) سورة القلم : آية (٤٤).

(٢) سورة المطففين : آية (١٤).

(٣) سورة المائدة : آيتا (٧٨، ٧٩).

(٤) سورة الروم : آية (٤١).

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن : ١٤/٤٠ ومابعدها .

٥ - أنها تنسى الله،قال تعالى : " ولاتكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون"(١) .

٦ - أنها تخرج العبد من دائرة الإحسان ؛ فإنه إذا باشر القلب منعه من المعاصي ؛فإن من عبدالله كأنه يراه لم يكن ذلك إلا لاستيلاء ذكره ومحبته ، وخوفه ورجائه على قلبه .

٧ - المعاصي تمرض القلوب؛لأنها تصرف القلب عن صحته،واستقامته إلى مرضه،وانحرافه.

٨ - المعاصي تمحق البركة في كل شيء،قال تعالى :" ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض "(٢) ، وقال تعالى :" وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً لنفتنهم فيه "(٣) .

وقد ذكر ابن القيم جملة من أضرار المعاصي تركنا إبرازها هنا خشية الإطالة(٤).

---

(١) سورة الحشر : آية (١٩).

(٢) سورة الأعراف : آية (٩٦).

(٣) سورة الجن : آيتا (١٦، ١٧).

(٤) انظر الداء والدواء : ص ٧٤ - ١٣٢.

علاج الإسلام للمعاصـــي :-

لما كان السبب فى وقوع المعاصي من العبد هو مرض القلب ، واعتلاله وذلك يكـــون بسبب الشهوات ،قال تعالى : "فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض"(١) ، فالمـــراد بالمرض هنا مرض الشهوات وهو التشوف للفجور. (٢)
كما يكون بسبب الشبهات،قال تعالى : " فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً "(٣) .
والمراد بالمرض هنا مرض الشبهات وهو الشك والنفاق. (٤)

كان لابد من علاج ذلك ، لأن القلب محتاج إلى مايحفظ عليه قوته وهو الإيمان بالله،وأوراد الطاعات ، وإلى حمايته من المؤذى الضار ، وذلك باجتناب الآثام ، والمعاصي، وأنـــواع المخالفات ، وإلى استفراغه من كل مادة فاسدة تعرض له،وذلك بالتوبة النصوح ، والاستغفار.
وقد ذكر ابن القيم أن مرض القلب نوعان :-

١ - نوع لايتألم به صاحبه وهو مرض الجهل ، والشبهات ، والشهوات وهو أعظم النوعين ألماً ، وهو أخطر المرضين ، وعلاجه إلى الرسل واتباعهم .
٢ - مرض يؤلم له فى الحال : كالهم ، والحزن وهذا المرض قد يزول بأدوية طبيعيــــة ،أو بمايضاد تلك الأسباب. (٥)

ثم إن القلب فيه قوتان : قوة العلم ، والتميز : وهذه يدرك بها الحق، ويمـــيز بينه وبين الباطل ، وقوة الإرادة والحب : وهذه يستعملها فى طلب الحق، ومحبته وإيثـــاره على الباطـــل. (٦)

---

(١) سورة الأحزاب : آية (٣٢).
(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن : ١٤/١٧٧.
(٣) سورة البقرة:آية (١٠).
(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن : ١/١٩٧.
(٥) انظر اغاثة اللهفان : ١/١٧، ١٨ ومابعدها.
(٦) انظر المصدر نفسه : ١/١٨.

والقرآن متضمن لأدوية القلب من جميع أمراضه،قال تعالى:" يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لمافى الصدور"[١] ، وقال تعالى :"وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين "[٢] ، فهو شفاء لأمراض الشبهات ، والشهوات معاً ففيه البينات ، والبراهين القطعية، فتزيل أمراض الشبه المفسدة للعلم والتصور ، والادراك وأما شفاؤه لمرض الشهوات: فذلك بما فيه من الحكمة ، والموعظة الحسنة بالترغيب ، والترهيب والزهد فى الدنيا ، والترغيب فى الآخرة ، والأمثال ، والقصص التى فيها أنواع العبر ، والاستبصار.[٣]

وأما علاج مرض القلب باستيلاء النفس الأمارة عليه فله علاجان : محاسبتها ، ومخالفتها والمحاسبة نوعان :-

أ - نوع قبل العمل : وهو أن يقف عند أول همه به ، ولايبادر به حتى يتبين له رجحان على تركه .

ب - النوع الثانى : محاسبتها بعد العمل وهو ثلاثه أنواع :-

١- محاسبتها على طاعة قصرت فيها من حق الله فلم توقعها على الوجه الذى ينبغى .

٢ - أن يحاسب نفسه على كل عمل تركه خير له من فعله .

٣ - أن يحاسب نفسه على أمر مباح،أو معتاد لِمَ فعله؟ وهل أراد به وجه الله[٤] .

العقوبات الشرعية على المعاصي :-

العقوبات الشرعية لابد من استحضارها حتى لايجرؤ الإنسان على الوقوع فى المعصية، والعقوبات الشرعية على الجرائم تكون على قدر مفسدة الذنب،قال ابن القيم: (وجعلها الله

---

(١) سورة يونس : آية (٥٧).
(٢) سورة الإسراء : آية (٨٢).
(٣) انظر إغاثة اللهفان : ١/٤٤ - ٤٦ .
(٤) انظر المصدر نفسه : ١/٧٨ - ٨٩.

ثلاثة أنواع : القتل (١) ، والقطع (٢) ، والجلد (٣) ، وجعل القتل بإزاء الكفر، ومايليه ، ومايقرب منه ، وهو الزنى (٤) ، واللواط ؛ فإن هذا يفسد الأديان ، وهذا يفسد الأنساب) (٥) .

والذنوب فى ذلك ثلاثة أقسام :

١ - قسم فيه الحد (٦) ، فهذا لم يشرع فيه كفارة اكتفاء بالحد .

٢ - قسم لم يرتب عليه حداً ، فشرعت فيه الكفارة ، كالوطء للزوجة فى نهار رمضان، والظهار.

والكفارات على ثلاثة أنواع :-

أ - ماكان مباح الأصل ، ثم عرض تحريمه مباشرة فى الحالة التى عرض فيها التحريم ، كالوطء فى الصيام .

ب - ماعقد لله من نذر ، أو بالله من يمين ، فشرع فيه الكفارة .

ج - ماتكون فيه جابره لما فات ككفارة قتل الخطأ .

٣ - قسم لم يرتب عليه حداً ، ولاكفارة وهو نوعان :-

أ - ماكان الوازع عنه فطرياً ، كأكل القذرة ، وشرب البول .

ب - ماكانت مفسدته أدنى من مفسدة مارتب عليه الحد ، كالنظروالقبلة ونحو ذلك. (٧)

وقد وعد الله بتكفيرالصغائر من الذنوب بشرط اجتناب الكبائر منها،قال تعالى: "إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ، وندخلكم مدخلاً كريماً" (٨) ، فإن اللمسة والنظرة تكفر باجتناب الكبائر، ولكن لابد من إقامة الفرائض (٩) على الوجه المشروع،ويؤيد ذلك ماروى مسلم

---

(١) للمرتد ، والساحر ، والقاتل عمداً .

(٢) للسارق ، وقاطع الطريق .

(٣) للزاني غير المحصن ، والشارب للخمر ، والقاذف ، وفى التعزير .

(٤) المحصن فإنه يرجم حتى يموت .

(٥) الداء والدواء : ص ١٥٢.

(٦) هو عقوبة مقدرة شرعاً (انظر التعريفات : ص ٨٧).

(٧) انظر كتاب الداء والدواء : ص ١٥٤ - ١٥٦.

(٨) سورة النساء : آية (٣١).

(٩) انظر الجامع لأحكام القرآن : ٥/١٥٨.

بسنده عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة ،ورمضان إلى رمضان مكفرات مابينهن إذا أجتنبت الكبائر"(١) .

وكذلك إسباغ الوضوء مكفر لها ويدل على ذلك ماروى مسلم بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرجت من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء ، أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل يديه، خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء ، أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء،أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب"(٢) ، وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة(٣) .

ويعتبر الصبر عن المعاصي من أهم الأمور الوقائية التى تجعل المسلم يحتسب بذلك الأجر والثواب من الله . (٤)

لذا اهتم القرآن بالصبر فى كثير من المواضع ، وقرن بينه،وبين التقوى من ذلك قوله تعالى : " بلى إن تصبروا وتتقوا"(٥)

قال ابن القيم : (فإن حقيقة التقوى فعل المأمور ، وترك المحظور) . (٦)

وقد جمع بينه،وبين الصلاة فى آيتين،قال تعالى : " واستعينوا بالصبر، والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين"(٧) ، وقال تعالى : " يأأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر، والصلاة

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الطهارة ، باب الصلوات الخمس،والجمعة إلى الجمعة : ١٤٤/١.

(٢) صحيح مسلم : كتاب الطهارة ، باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء، ١٤٨/١.

(٣) انظر صحيح مسلم : كتاب الطهارة ، ١٥١/١.

(٤) انظر عدة الصابرين : لابن القيم، ص ٢٦.

(٥) سورة آل عمران : آية (١٢٥).

(٦) عدة الصابرين :ص ٢٩ .

(٧) سورة البقرة : آية (٤٥).

إن الله مع الصابرين "(١) .
والصبر ، والصلاة هما العونان على مصالح الدنيا ، والآخرة .

على أن الشخص إذا وقع فى المعاصى فلا ييأس من رحمة الله بل عليه أن يرجع إلى ربه،ويتوب من تلك المعاصى، ويطلب الغفران منه ، وقد ذكر ابن القيم أن النصح فى التوبة يتضمن ثلاثة أشياء :-

١ - تعميم الذنوب واستغراقها بحيث لاتدع ذنباً إلا تناولته .
٢ - إجماع العزم،والصدق بكليته عليها بحيث لايبقى عنده تردد .
٣ - تخليصها من الشوائب والعلل القادحة فى إخلاصها ووقوعها لمحض الخوف من الله(٢) قال تعالى :" يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم"(٣) .

والتوبة علاج للشعور بالإثم الذى يعتمد علماء النفس فى علاجه على أفكار " فرويد" فى منهجه " التداعي الحر" الذى يتلخص فى أن يطلب المريض التحدث بكل مايرد على ذهنه دون قيدأو شرط بعد الاستلقاء فى غرفة بعيداً عن الضوضاء ، ضمن شروط للطبيب النفسانى .

أما الإسلام فإنه يقر بالاعتراف بين العبد وربه ؛ فإن الخطيئة تتعلق بينه وبين ربه ؛ لأنه تعالى هو الذى سيحاسبه عليها ، فلا مجال للإنسان الضعيف أن يعترف أمام إنسان ضعيف مثله ، فالإنسان فى حالة اقترافه ذنباً لابد أن يلتجىء إلى ربه ويستغفره ويتوب إليه(٤) ، قال تعالى مخبراً عن نبيه موسى عليه السلام معترفاً بذنبه " قال رب : إنى ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له "(٥)، وقال تعالى:" و استغفروا الله إن الله غفور رحيم"(٦) ، وأخبر تعالى أنه يقبل

(١) سورة البقرة : آية (١٥٣).
(٢) انظر مدارج السالكين : ٣٣٧/١.
(٣) سورة التحريم : آية (٨).
(٤) انظر كتاب الخطايا فى نظر الإسلام : لعفيف طباره، ص ٢٣ ومابعدها.
(٥) سورة القصص : آية (١٦).
(٦) سورة المزمل : آية (٢٠).

التوبة من الذنوب جميعاً إلا ما استثنته النصوص، قال تعالى: " قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفــور الرحيم"[1]

---

(١) سورة الزمر : آية (٥٣).

المطلب الثالث : الانحراف في توحيد الأسماء ، والصفات :-

بلغ الانحراف فى توحيد الأسماء،والصفات أقصى مداه ، فقد ظهرت كثير من الفرق المبتدعة التى انحرفت ، وضلت عن الصراط المستقيم فى أسماء الله،وصفاته يتشبثون بالشبهات الفاسدة يؤيدون بها مذاهبهم الباطلة ويمكن توضيح خط انحرافها فيما يلى :-

١ - نفي أسماء الله وصفاته على وجه العموم :-

وقد تبنّى هذا المذهب : الجهمية[1] ، ومن وافقهم[2] ، فينفون عن الله أسمائه وصفاته ، ولا يثبتون إلا وجوداً مطلقاً .[3]

وقال الجهم : لا أصفه بوصف يجوز إطلاقه على غيره كشيء موجود ، وعالم ومريد ونحو ذلك .[4].

وغلاتهم يسلبون عنه النقيضين فيقولون : لا موجود ، ولا معدوم.[5]

والفلاسفة : يقولون : الواحد لايصدر عنه إلا واحداً[6] .

---

(١) هذه الفرقة تنسب إلى الجهم بن صفوان الترمذى، ظهرت بدعته بترمذ ،وقتله سلم بن أحوز المازني بمرو (انظر الفرق بين الفرق :ص٢١١ ، والتبصير فى الدين :ص١٠٧ ، والملل والنحل : ٨٦/١).

(٢) وهم الصائبة، والفلاسفة، والقرامطه، والباطنية(انظر الرسالة التدمرية :ص٩) .

(٣) انظر الرسالة التدمرية : ص ٩ ، ١٧.

(٤) انظر مقالات الإسلاميين : لأبي الحسن الأشعرى، ص٢٧٩، والفرق بين الفرق :ص٢١١ ، والتبصير فى الدين :ص١٠٧، والملل والنحل : ٨٦/١.

(٥) انظر الرسالة التدمرية : ص ١٧ ومابعدها .

(٦) انظر الملل والنحل :٨٧/٢، والرد على المنطقيين :ص٢١٤، ٣١٤ ومابعدها ، ومنهاج السنة النبوية : ١١١/١.

ويقصدون بهذا أن الواحد لايكون فاعلاً وقابلاً ، لأن ذلك يستلزم التركيب وأن الواحد لايصدر عنه إلا واحداً ، لأن صدور اثنين يقتضي تعدد المصدر ، وذلك يستلزم التركيب الممتنع ، فهم يرون : أن واجب الوجود مجرد عن جميع الصفات الثبوتيه ليس له حياة ، ولا علم، ولا قدرة ولا كلام[1] ، ويقولون مع ذلك : عاقل ، ومعقول ، وعقل[2] ويقولون : كل صفة من هذه الصفات هي الأخرى ، وهكذا بقية الصفات.[3]

٢ - إثبات الأسماء المجردة لله ، ونفي جميع الصفات عنه تعالى :-

وتبنّى هذا المذهب المعتزلة ، ومن وافقهم[4] قال القاضي عبدالجبار[5]: (وربما قيل :كيف قال تعالى :" هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام "[6] وكيف

---

(١) انظر الرد على المنطقيين : ص ٢١٤، ٣١٤.

(٢) انظر الملل والنحل : ١٨٤/٢، والرد على المنطقيين : ص١٢٤، ٣١٤.

(٣) انظر الرد على المنطقيين : ص ٢١٤، ٢٢٦.

(٤) انظر مقالات الإسلاميين : ص ٤٨٣، والفرق بين الفرق : ص ١١٤-١١٧، والتبصير في الدين : ص٦٣-٦٨، والملل والنحل : ٤٣/١-٤٧، وتاريخ المذاهب الإسلامية : ص ١٢٦. وأكثر الرافضة على مذهب المعتزلة في الأسماء والصفات(انظر مقالات الإسلاميين : ص٣٥ ، ٤٠، ٧٠ - ٧٢، وتاريخ الجهمية : ص ٥٦).

ملحوظة : درج كثير من العلماء على تلقيب المعتزلة بالجهمية لما يجمعهما من القول بمسائل يتفقان عليها - كنفي الصفات عن الله - لأنهم في المتأخرين اشهر بتلك المسائل من الجهمية، ولكن غرض المتقدمين بالرد على الجهمية، لأنها الأم لغيرها (انظر تاريخ الجهمية : للقاسمي ، ص ٥٩ - ٦١).

(٥) هو عبدالجبار بن أحمد بن عبدالجبار الهمداني ، فقيه، أصولي ، متكلم، مفسر كان على رأس المعتزلة في الأصول ، تولى القضاء بالري ، ولد سنة ٣٥٩ وتوفي ٤١٥هـ، وله عدة مؤلفات منها طبقات المعتزلة ، وشرح الأصول الخمسة وغيرها (انظر طبقات المعتزلة : ص ١٢٠ - ١٢٨ و معجم المؤلفين : ٧٨/٥).

(٦) سورة البقرة : آية (٢١٠).

يصح ذلك ، ويتعالى الله عن جواز الإتيان عليه . وجوابنا : أن المراد إتيان الملائكة، أو متحملى أمره) [1] .

وقال - أيضاً - فى نفي صفة العلم عن الله وتأويلها : (وربما قالوا فى قوله تعالى : " ولايحيطون بشيء من علمه" [2] ، يدل على أنه تعالى عالم بعلم ، وأنتم تقولون إنه عالم بذاته ، وجوابنا : أن المراد بذلك المعلومات) . [3]

وقال - أيضاً - فى نفي صفة اليدين عن الله وتأويلهما بالنعمة عند تفسير قوله تعالى : " وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ، ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان" [4] : (فبين تعالى أن يده مبسوطة العطاء ، والافضال ، والرزق لكنه ينفق كيف شاء بحسب المصلحة،ولم يرد تعالى بذكر اليدين الجارحة ، ولاصفة مجهولة كما يذهب إليه المشبهة بل أراد تعالى النعم، وإنما ثنى ذلك ؛ لأنه أراد نعم الدنيا،والدين،والنعم الظاهرة، والباطنة) [5]

وهكذا يمضي فى تأويله لبقية الصفات.

وذكر ابن تيمية أن المعتزلة يثبتون لله أسماء مجردة عن الصفات فيقولون: عليم بلا علم ، سميع بلا سمع،وهكذا بقية الصفات فأثبتوا الاسم دون مايتضمنه من الصفات ، حتى إن بعضهم جعلها كالأعلام المحضة المترادفة [6]

كما أن المعتزلة قالت : إن القرآن مخلوق ، قال عبدالجبار فى تقرير ذلك : (وربما سأل الحشو [7] عن قوله الله تعالى :" ألا له الخلق، والأمر " [8] ، أن ذلك

---

(١) تنزيه القرآن عن المطاعن : ص ٤٨.

(٢) سورة البقرة : آية (٢٥٥).

(٣) تنزيه القرآن عن المطاعن : ص ٥١.

(٤) سورة المائدة : آية (٦٤).

(٥) تنزية القرآن عن المطاعن : ص ١٢٠.

(٦) انظر الرسالة التدمرية : ص ١٠ ومابعدها.

(٧) يريد بهم أهل السنة، والجماعة؛ لأن المعتزلة يلقبونهم بالحشوية،والمشبهة (انظر رسالة السنة : ص ٨٦).

(٨) سورة الأعراف : آية (٥٤).

يدل على أمر الله تعالى فى القرآن ليس بخلق ، ولامخلوق ، وجوابنا : أن المراد أن له الخلق والأمر من نفس الخلق، فهو الذى يبقيه ، أو يفنيه ، ويتصرف فيه كيف يشاء) .[1]

وابن حزم الظاهرى ذهب إلى ماذهبت إليه المعتزلة حيث إنه يطلق على جميع ماورد فى الكتاب والسنة أسماء ، ولايسميها صفات حيث قال : (وأما إطلاق لفظ الصفات لله تعالى فمحال لايجوز ،لأن الله لم ينص قط فى كلامه المنزل على لفظ الصفات ، ولاعلى لفظ الصفة ، ولاحفظ عن النبى صلى الله عليه وسلم بأن الله له صفة، أوصفات. .)[2].

٣ - إثبات الأسماء ، وبعض الصفات لله ، ونفي الباقي :-

تبنّى هذا المذهب الأشاعرة.[3]

وقد أثبت الأشاعرة سبع صفات فقط هي :

العلم ، والقدرة :

قال الجوينى : (فأما الأحكام ، فمما نصدّر الباب به أن نوضح كون صانع العالم قادرًا عالمًا ، ولاحاجة لنا بعد سبق المقدمات التى ذكرناها إلى نظر، واعتبار فى القطع بكون الصانع عالمًا قادرًا ، فإذا تقرر : أن البارى تعالى صانع العالم، واستبان للعاقل لطائف الصنع ، وأحاط بما تتصف به السموات ،والأرض ومابينهما من الاتساق، والانتظام،

---

(١) تنزيه القرآن عن المطاعن : ص ١٤٨.

(٢) الفصل فى الملل ، والأهواء ، والنحل : ١٢٠/٢، وهذا مبنى على مذهبه فى الأخذ بظواهر النصوص .

(٣) تنسب هذه الفرقة إلى أبى الحسن الأشعرى المتوفى سنة ٣٢٤هـ، والباقلانى ،والجوينى ، والاسفرائني على هذا المذهب(انظر الملل والنحل : ٩٤/١ - ١٠٣)، لكن نسبة الأشاعرة إلى أبى الحسن الأشعرى إنما تصح قبل رجوعه إلى مذهب أهل السنة، والجماعة أما بعد رجوعه فلاتصح تلك النسبة وقد رجع إلى مذهب أهل السنة ، والجماعة فى كتابه الإبانة (انظر ذلك ص ٢٠ ومابعدها) .

والاتقان ، والإحكام فيضطر إلى العلم بأنها لم تحدث إلا من عالم قادر عليها) .(١)
وذكر الإيجي : اتفاق الأشاعرة على إثباته ، وأنه يعم المفهومات كلها ، الممكنـــه ، والواجبة ،والممتنعة فهو أعم من القدرة عندهم .
ثم بين أنه تعالى قادر ، وإلا لزم أحد الأمور الأربعة : إما نفي الحادث أوعدم استناده إلى المؤثر ، أو التسلسل ، أو تخلف الأثر عن المؤثـر .(٢)

الإرادة ، والحيـــاة :-

قال الجويني : (صانع العالم مريد على الحقيقة) .(٣)
وذكر الإيجي نحو هذا في الإرادة .(٤)
وأما صفة الحياة فيقول الإيجي : (المقصد الرابع : في أنه حي ، وهذا مما اتفـق عليه الكل ، لأنه عالم قادر ، وقد أطبقوا أيضاً عليه ، وكل عالم قادر فهـو حـي بالضـرورة)(٥) .

السمع ، والبصـر :-

عقد الجويني فصلاً ، والإيجي مقصداً لإثبات صفتا السمع ، والبصر لله لدلالـة العقل عليهما .(٦)

الكـــلام :-

قال الجويني : (الباري سبحانه وتعالى متكلم) .(٧)

(١) الإرشاد : ص ٧٧.
(٢) انظر المواقف : ص ٢٨١ - ٢٩٠.
(٣) الارشاد : ص ٧٩.
(٤) انظر المواقف : ص ٢٩٠ - ٢٩٢.
(٥) المواقف :ص ٢٩٠.
(٦) انظر الإرشاد : ص ٨٦ ومابعدها ، والمواقف : ص ٢٩٢ ومابعدها .
(٧) الإرشاد : ص ١٠٥.

وقد ذكر الإيجي : الدليل على إثباته وهو إجماع الأنبياء ،فقد تواتر أنهم يثبتون له الكلام .[1]

وأما بقية الصفات فذكر الإيجى اختلاف الأشاعرة فيها حيث قال :

(هل لله تعالى صفة غير ما ذكرناه ؟ فمنعه بعض أصحابنا مقتصراً أنه لادليل عليه ، فيجب نفيه ، ولايخفى ضعفه ، ومنهم من قال : نحن مكلفون بكمال المعرفة فلو كان له صفة غيرها لعرفناها)[2].

ثم ذكر الإيجى تلك الصفات المختلف فيها بينهم.[3]

٤ - **اثبات الصفات لله ، وتشبيهها بصفات المخلوقين :-**

تبنّى هذا المذهب المنحرف المشبهة ، وهم صنفان :-

أ - من ضلوا بتشبيه ذات الله بذات غيره وهم أصناف مختلفه :-

١ - السبئية[4] :-

الذين سموا علياً إلهاً ، وشبهوه بذات الإله ، ولما أحرق قوماً منهم قالوا له : الآن علمنا أنك إله ؛ لأن النار لايعذب بها إلا الله .

٢ - البيانية :

أتباع بيان بن سمعان[5] الذى زعم أن معبوده إنسان من نور على صورة الإنسان فى أعضائه وأنه يفنى كله إلا وجهه.

---

(١) انظر المواقف : ص ٢٩٣ ومابعدها .

(٢) المواقف : ص ٢٩٦ .

(٣) ومن ذلك صفة البقاء ، والقدم، والاستواء ، والوجه، واليدين ونحوها (انظر المواقف: ص ٢٩٦ - ٣٠٠) .

(٤) هم أتباع عبدالله بن سبأ اليهودى رأس الفتنة وموءجج نارها ، وهو من غلاة الزنادقة ضال مضل ، زعم أن القرآن جزء من تسعة أجزاء ، وعلمه عند علي (انظر ميزان الاعتدال : ٤٢٦/٢) .

(٥) هو بيان بن سمعان التميمى النهدى اليمنى ، ممخرق ظهر فى العراق بعد المائة، وقال: بإلهية علي ، قتله خالد القسرى ، وأحرقه بالنار(انظر ميزان الاعتدال : ٣٥٧/١) .

٣ - المغـــيريـــة :-

أتباع أبى منصور العجلى الذى شبه نفسه بربه ، وزعم أنه صعد إلـى السماء،وزعم أيضاً أن الله مسح يده وقال له : يابنى بلغ عنى .

٤ - الهشاميـــة :-

المنتسبه إلى هشام بن الحكم الرافضي : الذى شبه معبوده بالإنسـان وزعم أنه سبعة أشبار بشبر نفسه ، وأنه جسم ذوحد ونهاية ، وأنه طويـل ، عريض عميق ، وذولون ، وطعم ، ورائحه ، وروى عنه أنه أشار إلى أن جبل أبى قبيس أعظم منه ، وزعم أن الشعاع من معبوده . (١)

٥ - الهشاميـــة :-

المنسوبة إلى هشام بن سالم الجواليقى ، الذى زعم أن معبوده علـى صورة إنسان ، وأن نصفه الأعلى مجوف ، ونصفه الأسفل مصـمت ، وأن لـه شعرة سوداء ، وقلباً ينبع منه الحكمة .

٦ - المشبهـــه :-

المنسوبة إلى داود الجواربي : الذى وصف معبوده بأن له جميـع أعضاء الإنسان إلا الفرج واللحية ، وغير ذلك من الفرق الضالة. (٢)

---

(١) انظر مقالات الإسلاميين : ص ٥-٢٣، ٣١-٣٥، والفرق بين الفرق : ص ٢٢٥ - ٢٢٧، والتبصير فى الدين :ص ١١٩، ١٢١، والملل والنحل : ١/١٥٣، ١٧٤ - ١٨٤.

(٢) انظر مقالات الإسلاميين :ص٣٤ومابعدها ، والفرق بين الفرق :ص٢٢٧، ٢٢٨، والتبصـير فى الدين :ص ١٢٠، والملل والنحل :١/١٨٤ - ١٨٨، ١٠٤ ، ولوامع الأنوار البهية : للسفارينى ، ١/٩١.

ب - من ضلوا بتشبيه صفات الله بصفات المخلوقيـــن

وهم أصنـــــاف :-

١ - منهم : من شبه إرادة الله بإرادة خلقه ، وهذا قول المعتزلة البصرية وزادت الكرامية [١] عليهم في تشبيه إرادة الله تعالى بإرادة عباده ، وأنها من جنس إرادتنا ، وأنها حادثه فيه ، فجعلوا الله محلاً للحوادث تعالى الله عــن ذلك علواً كبيراً ، وزعموا : أن قول الله حادث وهو من جنس أصوات العباد وحروفهـــم [٢] .

٢ - منهم الزرارية : أتباع زرارة بن أعين الرافضي ، حيث ادعت تلك الفرقة حدوث جميع صفات الله،وأنها من جنس صفاتنا ، وزعموا أنه تعالى لم يكـن فــــي الأزل ، حياً ، ولا عالماً ، ولا مريداً ، ولا سميعاً ، ولا بصيراً ، وأنه استحق ذلك حين أحدثها تعالى الله عن ذلك .

وغير ذلك من الفرق الضالة. [٣]

---

(١) تنسب إلى محمد بن كرام السجستاني،العابد، المتكلم،شيخ الكرامية،ساقط الحديــــث لبدعته ، وقد التقط من المذاهب أردأها مات سنة ٢٥٥هـ(انظر ميزان الاعتدال : ٢١/٤) .

(٢) انظر الفرق بين الفرق :ص٢٢٩ ، والتبصير في الدين :ص١١١ ومابعدها ، والملل والنحل : ١٠٨/١ وما بعدها ، ولوامع الأنوار : ٩١/١.

(٣) انظر مقالات الإسلامين :ص٣٦ ، والفرق بين الفرق :ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، والتبصير فــــي الدين : ص ٤٠ ، ١٢١ ، ولوامع الأنوار : ٨٢/١.
ومقالة المشبهة مبنية على قياس فاسد ،وهو قياس الخالق على المخلوق فظنوا أن كل صفه اتصف بها الخالق تشبه مانفهمه من صفات المخلوقين .
وهذا باطل ؛ فإن ذات الله لاندرك كيفيتها فكذلك أسماؤه وصفاته لانعرف كيفيتهـــا فهي تتناسب ذاته تعالى فالله تعالى،ليس كمثله شئ لافي ذاته، ولافي أسمائـــــه ولا في صفاته .

٥ - **وصف الله بصفات النقائص والعيوب[1] :-**

تبنّى هذا اليهود ، وقد تنكبوا الصراط المستقيم ، وخرجوا على تعاليم دينهم فمن خرافاتهم :-

أنهم فى العشر الأول من الشهر الأول من كل سنة يقولون فى صلاتهم : لِمَ تقول الأمم أين إلههم ؟ انتبه لِمَ تنام يارب ؟ استيقظ من رقدتك ، وينسبون إلى الله الندم على الفعل فزعموا أن الله تعالى لما رأى فساد قوم نوح ، وأن شركهم وكفرهم قد عظم ندم على خلق البشر ، وأن الله بكى على الطوفان حتى رمد ، وعادته الملائكة ، وأنه عض على أنامله ، وأنه استنشق رائحة قتار شواء قربان نوح فقال : لن أعاود لعنة الأرض ، وقالوا : إن الله استراح بعد خلق السموات والأرض [2].

وذكر ابن الجوزى : أن اليهود تزعم أن الإله المعبود رجل من نور على كرسي من نور على رأسه تاج من نور وله أعضاء كما للآدميين . [3]

كما نسبوا إليه البنوة ، قال تعالى :" وقالت اليهود عزير ابن الله"[4] ، ووصفوه بأنه فقير، قال تعالى :" لقد سمع الله قول الذين قالوا : إن الله فقير ونحن أغنياء "[5] ، وقال تعالى :" وقالت اليهود يد الله مغلولة"[6] .

---

(١) وهذا باطل ببداهة العقول، وصحة النقول ؛ فإن الله لا يوصف بصفات النقائص ، والعيوب بل يجب إثبات صفات الكمال له كما يليق بجلاله وعظمته .

(٢) انظر إغاثة اللهفان : ٢/٣٣٨ - ٣٦٧ ، والدين الخالص : لمحمد صديق الغنوجي، ٢/٤٧٨ ومابعدها .

(٣) انظر تلبيس إبليس : ص ٨٢ ومابعدها .

(٤) سورة التوبة : آية (٣٠) .

(٥) سورة آل عمران : آية (١٨١) .

(٦) سورة المائدة : آية (٦٤) .

وكذلك النصارى وصفوه بصفات النقائض والعيوب،ومن ذلك نسبة البنوة إليه كما أخبر تعالى عنهم بقوله : " وقالت النصارى المسيح ابن الله "(١) .

وقالوا : بالتثليث ، ويقصدون به أن طبيعة الله،عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية : الله الآب ، والله الا بن ، والله روح القدس.(٢)

وكذلك المشركون زعموا أن الملائكة بنات الله قال تعالى مخبراً عنهم "أفأصفاكم ربكم بالبنين ، واتخذ من الملائكة إناثا انكم لتقولون قولاً عظيماً"(٣) ، وفى هذا رد على من قال من العرب الملائكة بنات الله .(٤)

واشتقوا من اسماء الله أسماء لأصنامهم ؛ فإنهم سموا اللّات من الإله ، والعزّى من العزيز ومناة من المنان.(٥)

وقد أدخل المشركون فى أسماء الله ، وصفاته ماليس منها .

---

(١) سورة التوبة : آية (٣٠).

(٢) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : لابن تيمية : ٢/ ٩٠ ومابعدها ، ومحاضرات فى النصرانية : محمد أبوزهرة ، ص ١٠٠ ومابعدها ، والأسفار المقدسة قبل الإسلام : د.صابر طعيمة، ص ٢٢٥، والأسفار المقدسة فى الأديان السابقة على الإسلام : د.على عبدالواحد وافي، ص ١٢٠ - ١٣١، وتحفة الأريب : للقس انسلم تورميدا ،ص ٧٨ - ٨٤.

(٣) سورة الإسراء : آية (٤٠).

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن : ١٠/٢٦٤.

(٥) انظر المصدر نفسه : ١٧/١٠٠.

علاج الانحراف في توحيد الأسماء،والصفات :-

مما تقدم تبين لنا مدى الالحاد ، والانحراف فى أسماء الله وصفاته ، وأن سبب ذلك هو اتباع الأهواء،والشبهات حتى ضلوا الطريق الصحيح ، ولو آمنوا بما جاء فى الكتاب والسنة الصحيحة من أسمائه وصفاته على الحقيقة لما انحرفوا عن الطريق المستقيم، وقد قاوم كثير من العلماء المسلمين هذا الالحاد وألفت فيه الكتب والرسائل الكثيرة ومن أولئك الإمام أحمد بن حنبل ، والإمام عثمان بن سعيد الدارمى وأبو الحسن الأشعرى فى كتابه الإبانة، وابن بطة العكبرى ، وابن خزيمة ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، وابن القيم، وغيرهم ، حيث فندوا مفتريات الفرق الضالة ، وردوا على شبهاتهم ، وبينوا طريق أهل الاستقامة ، وليس قصدى هنا الرد على كل فرقة بالتفصيل ، وإنما القصد هو إيضاح القدر المشترك الذى يمكن أن يعالج بوساطته الانحراف الذى ارتكبته تلك الفرق الضالة .

شبهات المنحرفين عن الاستقامة في توحيد الأسماء،والصفات،وعلاجها :-

القدر المشترك بين تلك الفرق الضالة هو نفى الصفات،أو بعضها عن الله، ولهذا نجد شبهاتهم متقاربه إن لم تكن متفقه .

وقد تمسكوا بعدة شبه منها :-

١ - أن الصفات أعراض ، والأعراض لاتقوم إلا بالأجسام ، والأجسام متماثلة، وما قام به الكلام وغيره من الصفات لايكون إلا جسمًا ، ولا يرى إلا ماهو جسم ، أو ماهو قائم بجسم. (١)

٢ - زعم المعطلة : أن إثبات الصفات لله يقتضى التشبيه بين صفات الخالق وصفات المخلوق فيجب نفيها عنه فرارًا من التشبيه ، وتنزيهًا له تعالى. (٢)

---

(١) انظر منهاج السنة النبوية : ١٧٣/١، والرسالة التدمرية : ص ٤٨، ومختصر الصواعق : لابن القيم ١٢٩/١.

(٢) انظر الملل ، والنحل : ٨٦/١.

الجواب عن هاتين الشبهتين : أنهما مبنيتان على قياس فاسد، وهو قياس الخالق على المخلوق ، وقياس صفاته على صفات المخلوقين وهذا من أبطل الباطل؛ فإن ذات الله لاندرك كنهها فكذلك أسماؤه، وصفاته لانعلم كيفيتها ؛ لأن الصفة تتبع الموصوف فنقول لهؤلاء نفاة الصفات : هل علمتم ذات الله حتى تكيفوا صفاته؟ فلابد أن يجيبوا بالنفي فنقول : وكذلك أسماؤه ، وصفاته لانعلم كيفيتها ، فالقول فى الصفات كالقول فى الذات ، فإذا كان له تعالى ذات حقيقية لاتماثل الذوات ، فالذات متصفه بصفات لاتماثل سائر الصفات.[1]

وأيضًا لايلزم من الاتفاق فى الأسماء الاتفاق فى المسميات فمن قال : إن جسم الفيل كجسم النملة عد غير عاقل للفرق بينهما فهما اتفقا فى الاسم وهو الجسم ، واختلفا فى الحقيقة ، فإذا كان هذا الاختلاف بين المخلوق والمخلوق فبين الخالق ، والمخلوق من باب أولى .

وأيضًا الاشتراك فى ذلك يكون فى الأذهان لافى الأعيان .

فيتفقان إذا أطلقا وجردا عن الإضافة والتخصيص.[2]

فالمخلوق يوصف بالعلم ، والخالق يوصف بالعلم ولايلزم من ذلك التشبيه؛ لأن صفات الخالق تناسب ذاته.

وأيضًا : الإنسان عاجز عن معرفة كيفية الروح وهي تتردد فى جسمه فكيف يستطيع معرفة ذات خالقها وموجدها من العدم ؟.

كما أن نفي الصفات عن الله يلزم منه تشبيهه بالمعدومات، والجمادات تعالى الله عن ذلك ، فهؤلاء النفاة جميعهم يفرون من شيء فيقعون فى نظيره بل وفى شر منه[3] .

---

(١) انظر الرسالة التدمرية : ص ١٩.

(٢) انظر المصدر نفسه : ص ١١.

(٣) انظر المصدر نفسه : ص ٩ - ١١ .

٣ - قالت المعتزلة إن القدم أخص صفات الله ، فلو أثبتنا الصفات له للزم التعدد ؛ ولأنها لوشاركته في ذلك لشاركته في الألوهية[1] .

وقد أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذه الشبهة بأنهم إذا قالوا هو موجود واجب ، وعقل وعاقل ،ومعقول نقول لهم : أليس المفهوم من هذا هو المفهوم من هذا فهذه معان متعددة متغايرة في العقل ، وهذا تركيب عندكم ، وأنتم تثبتونه، وتسمونه توحيداً ، وكذلك اتصاف الذات بالصفات اللازمة لها توحيد في الحقيقة، وليس ذلك تركيباً ممتنعاً، فلا بدفي آخر الأمر أن يثبت موجوداً واجباً قديماً متصفاً بصفات تميزه عن غيره ، ولايكون مماثلاً لخلقه[2] .

وأيضاً المخلوق ذاته يوصف بعدة صفات كالكرم ، والشجاعة ،والطول ، والقصر ونحو ذلك ولايكون تركيباً ممتنعاً .

ويقال للمعتزلة أيضاً : لافرق بين إثبات الأسماء ، وإثبات الصفات فإذا قلتم : إثبات الحياة ، والعلم ، والقدرة يقتضي تشبيهاً ، أو تجسيماً ؛ لأنا لانجد في الشاهد متصفاً بصفات إلا ماهو جسم ،نقول : ولانجد في الشاهد ماهو مسمى حي عليم قدير إلا ماهو جسم ، فإن نفيت مانفيت لكونك لم تجد في الشاهد إلاماهو جسم فانف الأسماء، فكل مايحتج به من نفي الصفات يحتج به من نفي الأسماء الحسنى فما كان جواباً لذلك كان جواباً لمثبتي الصفات .

وكذلك نفاة الأسماء ، والصفات من الجهمية ومن وافقهم يلزمهم تشبيه الله تعالى بالجمادات ، والمعدومات ، والممتنعات.[3]

---

(١) انظر الملل ، والنحل : ١/٤٤، ٤٥، والرسالة التدمرية : ص ١٩ ، ومختصر الصواعق ١/١٧٠. والمواقف : ص ٢٨٠.

(٢) انظر الرسالة التدمرية : ص ١٩.

(٣) انظر المصدر نفسه : ص ١٧.

وقد ذكر الإمام أحمد أن الجهم ، ومن تبعه دعوا الناس إلى المتشابه من القرآن ، والحديث فضلوا ، وأضلوا بكلامهم كثيراً من الناس ، وقد كان الجهم من أهل خراسان ومن أهل ترمذ لقي أناساً من الكفار يقال لهم : السمنية(١) فعرفوا الجهم فجادلوه، وقالوا : إن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا ، وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك فكان مما كلموا به الجهم أن قالوا : ألست تزعم أن لك إلهاً ؟ قال الجهم : نعم، فقالوا هل رأيت عين إلهك قال : لا ، قالوا : فهل سمعت كلامه قال : لا ، قالوا : أشممت له رائحة قال : لا ، قالوا : فوجدت له مجساً قال : لا قالوا : فوجدت له حساً قال : لا، قالوا : فمايدريك أنه إله فتحيّر الجهم فلم يدرى من يعبد أربعين يوماً . (٢)

٤ - من شبه الأشاعرة فى إثبات السبع الصفات، ونفي الباقى أنهم قالوا : إن تلك الصفات يثبتها العقل؛ لأن الفعل الحادث دل على القدرة، والتخصيص دل على الإرادة ، والأحكام دلت على العلم ، وهذه الصفات مستلزمة للحياة، والحي لايخلو عن السمع ، والبصر والكلام . (٣)

والجواب : أن يقال : إن عدم الدليل المعين لايستلزم عدم المدلول المعين فهب أن ماسلكت من الدليل العقلى لايثبت ذلك فإنه لاينفيه، والنافى لابد أن يأتى بدليل كالمثبت ، وليس لك أن تفيه بدون دليل ..

---

(١) هم أصحاب " سمن" ، وهم عبدة أوثان يقولون : بقدم الدهر، وبتناسخ الأرواح ، وأن الأرض تهوى أبداً (انظر مفاتيح العلوم : ص ٥٥) .

(٢) انظر الرد على الجهمية، والزنادقة: ص٢٧ ، وشرح العقيدة الطحاوية : ص ٤٧٠ .

(٣) انظر الملل والنحل : ١/ ٩٤، والرسالة التدمرية : ص ١٦ ، والمواقف : ص ٢٨٠ ومابعدها .

ثم إنه يمكن إثبات تلك الصفات التى تنفيها بنظير ما أثبت به تلك من العقليات فيقال نفع العباد بالإحسان إليهم يدل على الرحمة وهكذا .(١)

ثم إن القول فى بعض الصفات كالقول فى البعض الآخر فهؤلاء الأشاعرة فرقـــوا بين المتماثلات وهذا باطل، فإما أن يثبتوا الصفات جميعها ، ويرجعون إلى مذهـــب أهل السنة والجماعة ، أو ينفون جميع الصفات ويصبحوا معتزلة .

---

(١) انظر الرسالة التدمرية : ص ١٦.

الأسس التي يقوم عليها إثبات الأسماء، والصفات لله ثلاثة هي :-

الأساس الأول :-

تنزيه الله عن أن يشبه شيء من صفاته صفات المخلوقين، وهذا الأصل دل عليه قوله تعالى: " ليس كمثله شيء"(١) : أي : أن الله لا يماثله أحد من خلقه لا في ذاته، ولا في أسمائه ، ولا في صفاته ؛ فإن هذه الآية رد على المشبهة الذين زعموا: أن صفاته تشبه صفات المخلوقين ، وذلك بنفي المثيل عنه من كل وجه. (٢)

وقوله تعالى: " هل تعلم له سمياً"(٣) ، وقوله تعالى: " فلا تضربوا لله الأمثال (٤) ، وقوله تعالى :" ولم يكن له كفواً أحد"(٥) .

قال ابن تيمية مقرراً ذلك : (القول في الصفات كالقول في الذات ؛ فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ؛ فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل سائر الصفات) . (٦)

وقد ذكر أيضاً أن من ظن ، أوتوهم أن صفات الله تماثل صفات المخلوقين ؛ فإنه يقع في أربعة محاذير :-

أ - كونه مثل مافهمه من النصوص بصفات المخلوقين ، وظن أن مدلولها هو التمثيل .

ب - أنه إذا جعل مفهومها هو التمثيل بصفات المخلوقين وعطله، بقيت النصوص معطلة عما دلت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله .

---

(١) سورة الشورى : آية (١١).

(٢) انظر الرسالة التدمرية : ص ١٧، وشرح الفقه الأكبر : لملا علي القارئ : ص ٤٧.

(٣) سورة مريم : آية (٦٥).

(٤) سورة النخل : آية (٧٤).

(٥) سورة الإخلاص : آية (٤).

(٦) الرسالة التدمرية : ص ١٩.

جـ - أنه يلزمه أن ينفي تلك الصفات عن الله بغير علم ، فيكون معطلاً لما يستحقه الرب.

د - أنه يصف الرب بنقيض صفات الكمال ، فيصفه بصفات الأموات ، والجمادات،أو المعدومات[1]

قال نعيم بن حماد[2]: من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر ، ومن أنكر ماوصف به نفسه فقد كفر ، فليس ماوصف الله به نفسه ، ورسوله تشبيه.[3]

قال أبو حنيفه : وصفاته كلها بخلاف صفات المخلوقين ، يعلم لا كعلمنا ، ويقدر لاكقدرتنا ، ويرى لاكرؤيتنا.[4]

الأساس الثاني :-

إن أسماء الله وصفاته توقيفية بنص الشرع ، وورود السمع وقد ذكر ابن القيم بأن مايطلق عليه سبحانه في باب الأسماء والصفات توقيفي، ومايطلق عليه من الأخبار لايجب أن يكون توقيفياً : كالقديم ، والقائم بنفسه ونحوها وهذا فصل الخطاب في المسألة.[5]

والواجب الاقتصار على ماورد في الكتاب ، والسنة من أسماء الله تعالى، وصفاته اللائقة به.

قال تعالى : " ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ماكانوا يعملون"[6] .

---

(١) انظر الرسالة التدمرية : ص ٣٢، ٣٣.

(٢) هو نعيم بن حماد الخزاعي، أحد الأئمة الأعلام ، على لين في حديثه، خرج له البخاري مقروناً مع غيره ، وكان شديداً على الجهمية توفى سنة ٢٢٨ هـ (انظر ميزان الاعتدال : ٢٦٧/٤ - ٢٧٠).

(٣) انظر كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : ٥٣٢/٣، وشرح الفقه الأكبر: ص ٤٧.

(٤) انظر شرح الفقه الأكبر : ص ٤٩، ٥٠.

(٥) انظر بدائع الفوائد : ١٦٤/١، ولوامع الأنوار : ١٢٤/١ ومابعدها ، والعقيدة في الله : ص ٩٧، وكتاب الايمان : لمحمد نعيم ياسين ، ص ٢٨.

(٦) سورة الأعراف : آية (١٨٠).

ذكر القرطبى عن مقاتل : أنها نزلت فى رجل من المسلمين كان يقول فى صلاته يارحمن يارحيم فقال رجل من مشركي مكة أليس محمداً يزعم أنه يدعوا رباً واحداً فما بال هذا يدعو ربين فأنزل الله هذه الآية .[1]

وقد أختلف فى أسماء الله هل هى محصورة فى عدد معين أولا ؟ على قولين :-

١ - قيل : محصورة فى تسعة وتسعين ، واستدلوا على هذا بماروى البخارى بسنده عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن لله تسعةً وتسعين اسما مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة"[2] .

فهذا يدل على أنها محصورة فى هذا العدد .

ولكن يشكل على هذا الحديث الذى رواه أحمد بسنده عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم وفيه " أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته فى كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك"[3] .

وهذا يؤيد القول الثانى : أنها ليست محصورة بعدد معين .

والحق الذى ينبغى أن يصار إليه أن أسماء الله ليست محصورة بعدد معين وهذا مارجحه ابن القيم بقوله : (إن الأسماء الحسنى لاتدخل تحت حصر، ولاتحد بعدد ؛ فإن لله أسماء وصفات استأثر بها فى علم الغيب عنده)[4] .

وأما قوله :" من أحصاها دخل الجنة" فالكلام جملة واحدة فيكون المراد الاخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء[5] .

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن : ٣٢٥/٧.

(٢) صحيح البخارى : كتاب التوحيد ، باب إن لله مائة اسم إلا واحداً ١٦٩/٨.

(٣) المسند : ١/حديث رقم ٣٩١، ٤٥٢، قال ابن حجر صححه ابن حبان (انظر فتح البارى: ٢٢٠/١١).

(٤) بدائع الفوائد : ١٦٦/١.

(٥) انظر المصدر نفسه :١٦٦/١، وفتح البارى: ٢٢٠/١١ = ومراتب إحصائها ثلاث :
١ - إحصاء ألفاظها وعددها . ٢ - فهم معانيها، ومدلولها . ٣- دعاء الله بها (انظر بدائع الفوائد : ١٦٤/١).

وأسماء الله لها اعتباران :-

أ - من حيث الذات مترادفة .

ب - من حيث الصفات متباينة.(١)

وإذا تقرر أن نصوص أسماء الله،وصفاته توقيفية فيجب إمرارها كما جاءت من غير تحريف ، ولا تأويل ؛ لأن كيفية الذات لانعرفها فكذلك الأسماء والصفات ، فلا تخضع نصوصهما للتأويل المذموم،وقد ذكر ابن تيمية أن لفظ التأويل قد صار بتعدد الاصطلاحات مستعملاً في ثلاثة معان : -

أحدهما :-

هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به ، وهذا هو الذي عناه من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات، وترك تأويلها .

ثانيهما :-

التأويل بمعنى التفسير ، وهذا هو الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن كابن جرير وغيره من المفسرين .

ثالثهما :-

التأويل بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الكلام وهذا لا يعلمه إلا الله كالإخبار بما يكون في اليوم الآخر ، وكيفيات الصفات.(٢)

---

(١) انظر بدائع الفوائد : ١٦٢/١، ولوامع الأنوار : ١٢٤/١.

(٢) انظر الرسالة التدمرية : ص ٣٧ ومابعدها ، ومختصر الصواعق : ٩/١.

التأويل المذمـوم :-

هو تأويل أهل التحريف،والبدع الذين يتأولون النصوص على غير تأويلها ، ويدعون صرف اللفظ عن مدلوله إلى غيره بغير دليل يوجب ذلك . (١)

والواجب حمل نصوص أسماء الله ، وصفاته على الحقيقة ، لاعلى المجـاز ؛ لأن الحقيقة هى الأصل ، وهى المتبادرة إلى الذهن عند الاطلاق فهذا الذى يجب أن يعول عليه ، وهى طريقة السلف الصالح فهى أسلم ، وأعلم وأحكم ، وهكذا فهمها الصحابة فحملوها على الحقيقة وهم الواسطة فى نقل العلم إلينا .

قال ابن القيم : (وبالجملة فالتأويل الذى يوافق مادلت عليه النصوص ، وجـاءت بهالسنة هو التأويل الصحيح وغيره هو الفاسد) (٢) .
ولهذا أبطل ابن القيم المجاز فى نصوص الصفات من خمسين وجهاً . (٣)
والناس اختلفوا فى كثير من الأحكام ، ولم يتنازعوا فى نصوص الصفات بل الصحابة والتابعون على إقرارها وإمرارها مع فهم معانيها وإثبات حقائقها،جاء فى كتاب ذم التأويل : (فإن قيل تأولتم آيات وأخبار فقلتم فى قوله تعالى :" وهو معكم أين ما كنتم" (٤) أى بالعلـم ونحو هذا من الآيات والأخبار فليزمكم مالزمنا ، قلنا : نحن لم نتأول شيئاً ، وحمـل هذه اللفظات على هذه المعاني ليس بتأويل ؛لأن التأويل صرف اللفظ عن ظاهره، وهذه

---

(١) انظر الرسالة التدمرية :ص ٤٥ = وأمثلة التأويل المذموم:تأويل اليد بالنعمة والقدرة فى النصوص الشرعية ، وتأويل الاستواء بالاستيلاء ، وتأويل الوجه بالذات ونحو ذلك .
(انظر مختصر الصواعق : ٢/٣٢٠ ومابعدها ، ٣٣٢، ٢٣٥ ومابعدها ، ٣٤٥، ٣٥٠، ٣٥٩، ٣٦٩) .
(٢) مختصر الصواعق : ١/١١ .
(٣) انظر المصدر نفسه : ٢/٢٤١ ومابعدها .
(٤) سورة الحديد : آية (٤) .

المعانى هي الظاهر من هذه الألفاظ بدليل أنه المتبادر إلى الأفهام هنا ، وظاهر اللفظ هو مايسبق إلى الفهم منه حقيقة كان أو مجازاً ، ولذلك كان ظاهر الأسماء العرفيه المجازدون الحقيقة كاسم الراوية ، والضعينه وغيرهما من الأسماء العرفيهفإن ظاهر هذا المجازدون الحقيقه، وصرفها إلى الحقيقة يكون تأويلاً يحتاج إلى دليل) .[1]

فوجب علينا اتباع السلف من إمرار نصوص الصفات على وفق ماجاءت به من غير تأويل لها يخالف ظاهرها ، فإن السلف إن زعم زاعم أنهم مخطئون كان قادحاً في حق الإسلام كله.[2]

الاستدلال على أسماء الله وصفاته من الكتاب ، والسنة:-

النصوص الدالة على إثبات صفات الكمال لله، ونفى صفات النقائض عنه كثيرة نذكر منها نماذج فيما يلي :-

أ - من القرآن الكريم :-

هناك عدة آيات تثبت لله صفات الكمال مع نفي صفات النقائص والعيوب عنه منها :-

١ - قوله تعالى : " الله لا إله إلا هو الحي القيوم لاتأخذه سنة ولانوم له مافى السموات ، ومافى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ، يعلم مابين أيديهم ، وماخلفهم ، ولايحيطون بشيء من علمه إلا بماشاء ، وسع

---

(١) لمؤلفه : الإمام موفق الدين ابن قدافه المقدسي : ص ٤٥.

(٢) انظر ذم التأويل : ص ٣٥.
وأما نفاة الصفات فموقفهم من نصوص الصفات إما التحريف ، أو التأويل فهم يحملونها على المجاز ، وقد اعتمد المعتزلة ومن وافقهم على مجرد العقل ونصبوه على رأس الأدلة، وجعلوه هو المحكم فى كل شيء ، وحاولوا إخضاع النصوص الشرعية له(انظر مختصر الصواعق : ١/١٤٩، وموقف المعتزلة من السنة النبوية :ص ٥٢ - ٧٥).

كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم"[1]

ففى هذه الآية الجمع بين النفي، والإثبات ـ نفي جميع صفات النقائص والعيوب عن الله ، وإثبات صفات الكمال اللائقة به تعالى، ففى قوله: لاتأخذه سنة ، ولانوم ، ولايحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ولا يؤده حفظهما نفى الإعياء ، والتعب ، والعجز عنه ، وذلك يتضمن دوام الحياة، وكمال القيومية لله تعالى.

وفى قوله : الحى : القيوم ، يعلم ، العلي العظيم : إثبات تلك الصفات لله على الوجه اللائق به .

٢ ـ قوله تعالى : " قل هو الله أحد الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد "[2]

فى قوله : الله أحد ، الله الصمد : إثبات الأحدية ، والصمدية له تعالى وذلك يتضمن إخلاص العبادة لله دون سواه .

وفى قوله : لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد نفى الولد ، والصاحبة والمثيل،والنظير من كل وجه ، وفى ذلك رد على اليهود ، والنصارى، ومشركي العرب ، ومن وافقهم .

٣ ـ قوله تعالى :" هو الأول ، والآخر ، والظاهر ، والباطن ، وهو بكل شيء عليم"[3] .

وهذه الآية فسرها النبى صلى الله عليه وسلم فيما روى مسلم بسنده عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ـ وفيه ـ " اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء،وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت

---

(١) سورة البقرة : آية (٢٥٥).
(٢) سورة الإخلاص بتمامها .
(٣) سورة الحديد : آية (٣).

الباطن فليس دونك شيء . . . .الحديث" (١) .

وهذه الآية جمعت بين علوه ، وقربه ، وأزليته ، وأبديته .

٤ - قوله تعالى : " يعلم مايلج فى الأرض ، ومايخرج منها" (٢) .

فى ذلك دلالة على إحاطة علمه بجميع مخلوقاته .

٥ - قوله تعالى : " ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير " (٣)

فى هذه الآيه دلالة على إثبات صفتي السمع، والبصر له تعالى بعد نفـــي المثيل عنه من كل وجه .

٦ - قوله تعالى : " ويبقى وجه ربك ذو الجلال ، والإكــرام " (٤) .

فى هذه الآية إثبات الوجه لله تعالى كما يليق بجلاله من غير مماثلة للمخلوقين .

٧ - قوله تعالى : " وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم، ولعنوا بماقالـــوا بل يداه مبسوطتان" (٥)

فأثبت تعالى لنفسه صفة اليدين حقيقة كما يليق به تعالى .

٨ - قوله تعالى :"واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا" (٦) .

فى هذه الآية إثبات صفة العينين لله تعالى كما يليق به على وجه الحقيقة .

٩ - قوله تعالى :" وهو الغفور الرحيم" (٧) .

فأثبت تعالى لنفسه صفتي المغفرة ، والرحمة حقيقة كما يليق له .

١٠- قوله تعالى : " وأحسنوا إن الله يحب المحسنين" (٨) .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الذكر ، باب مايقول عند النوم ٨/٧٨، ٧٩.
(٢) سورة سبأ : آية (٢).
(٣) سورة الشورى : آية (١١).
(٤) سورة الرحمن : آية (٢٧).
(٥) سورة المائدة : آية (٦٤).
(٦) سورة الطور : آية (٤٨).
(٧) سورةيونس : آية (١٠٧).
(٨) سورة البقرة : آية (١٩٥).

١١- قوله تعالى : " ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله ، وكرهوا رضوانه "[١] .

في هذه الآية إثبات سخط الله ، ورضاه على مايليق بجلاله حقيقة .

١٢- قوله تعالى : " وجاء ربك والملك صفاً صفاً "[٢] .

في الآية إثبات المجيء لله حقيقة يوم القيامة على الوجه اللائق به .

١٣- قوله تعالى : " ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل مايريد "[٣] .

فأثبت تعالى لنفسه صفتي المشيئة ، والإرادة على مايليق بجلاله .

١٤- قوله تعالى : " إن تبدوا خيراً ، أو تخفوه ، أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفواً قديراً "[٤]

فأثبت تعالى لنفسه صفتي العفو ، والقدرة على مايليق به حقيقة .

١٥- قوله تعالى : " الرحمن على العرش استوى "[٥] .

فأثبت تعالى لنفسه صفة الاستواء على وجه الحقيقة من غير مماثلة ، ولاحاجة .

١٦- قوله تعالى : " إليه يصعد الكلم الطيب، والعمل الصالح يرفعه "[٦] .

فأثبت تعالى فيها علوه بذاته على خلقه بلفظ الصعود ، والرفع[٧] وكل ذلك على وجه الحقيقة من غير مماثلة .

---

(١) سورة محمد : آية (٢٨) .

(٢) سورة الفجر : آية (٢٢) .

(٣) سورة البقرة : آية (٢٥٣) .

(٤) سورة النساء : آية (١٤٩) .

(٥) سورة طه : آية (٥) ، وصفة الاستواء وردت في سبع مواضع من القرآن هذه أحدها ، وفي سورة الأعراف : آية (٥٤) وفي سورة يونس : آية (٣) ، وفي سورة الرعد : آية (٢) ، وفي سورة الفرقان : آية (٥٩) ، وفي سورة السجدة : آية (٤) ، وفي سورة الحديد : آية (٤) كلها وردت بلفظ الاستواء دون لفظ الاستيلاء .

(٦) سورة فاطر : آية (١٠) .

(٧) وأيضاً نصوص الاستواء ، والنزول تدل على العلو ؛ لأن النزول يكون من أعلى إلى أسفل .

١٧- قوله تعالى :" وهو معكم أين ماكنتم"(١) ، وقوله :" إننى معكما أسمع وأرى"(٢)
فالآية الأولى تدل على المعية العامة ، ومقتضاها أنه مع خلقه بعلمه ،
وإحاطته لابذاته .
والآية الثانية تدل على المعية الخاصة ، ومقتضاها : النصر ، والتأييد ،
والمعونة ولايلزم منها الاختلاط.(٣)

١٨- قوله تعالى :" وكلم الله موسى تكليماً"(٤) .
فأثبت تعالى الكلام لنفسه حقيقة من غير مماثلة حيث أكده بالمصدر.

١٩- قوله تعالى :" لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من
خشية الله"(٥)
فأثبت تعالى نزول القرآن حقيقة ، وفى هذا رد على المعتزلة ومن وافقهم
فى القول بأن القرآن مخلوق .

٢٠- قوله تعالى :" وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظره"(٦)
ففى الآية إثبات رؤية المؤمنين لربهم حقيقة ، وعياناً بأبصارهم يوم القيامه ،وفى الجنة.
وغير ذلك من الآيات الدالة على إثبات الصفات لله حقيقة من غير

---

(١) سورة الحديد : آية (٤).
(٢) سورة طه : آية (٤٦).
(٣) انظر مختصر الصواعق : ٢/٤٠٧ - ٤١١.
(٤) سورة النساء : آية (١٦٤).
(٥) سورة الحشر : آية (٢١).
(٦) سورة القيامة : آية (٢٢ ، ٢٣).

تحريف[1] ، ولاتعطيل [2] ، ومن غير تكييف ،ولا تمثيل .

ب - من السنة النبوية الصحيحة :-

وردت أحاديث صحيحة تثبت أسماء الله،وصفاته على وجه الحقيقة من غير مماثلة نذكر نماذج منها فيما يلي :-

١ - روى البخارى بسنده عن أبى موسى قال :كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر ، فكنا إذا علونا كبرنا فقال : اربعوا على أنفسكم ؛ فإنكم لاتدعون أصم ، ولا غائبًا تدعون سميعًا بصيرًا ... الحديث"[3]

ففى هذا الحديث إثبات قربه تعالى من خلقه ، وسمعه، وبصره على مايليق بجلاله على وجه الحقيقة .

٢ - روى البخارى بسنده عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :" يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك فيقولون : لوا استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم فيقولون : يا آدم أما ترى الناس ؟ خلقك الله بيده .... الحديث"[4] .

ففى الحديث إثبات اليد لله حقيقة من غير مماثلة .[5]

---

(١) عرفه الجرجانى بأنه : تغيير اللفظ دون المعنى (انظر التعريفات :ص٥٥) .
وقسمه ابن القيم إلى قسمين :
١- تحريف لفظى : وهو العدول به عن جهته إلى غيرها ، إما بزيادة ، أوبنقصان أوبتغيير حركة إعرابية .
٢ - تحريف معنوى : وهو الذى سماه، المعطلة تأويلاً ، وهو العدول بالمعنى عن جهته (انظر مختصر الصواعق : ٣٣٣/٢) .
(٢) هو نفي الصفات عن الله ، أو بعضها .
(٣) صحيح البخارى : كتاب التوحيد ، باب وكان الله سميعًا بصيرًا ١٦٨/٨ .
(٤) صحيح البخارى : كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى لما خلقت بيدى ١٧٢/٨ .
(٥) ولايصح تأويلها هنا بالقدرة ؛ لأنه يبطل تخصيص آدم .

٣ - روى البخارى - أيضاً - بسند عن جرير قال : كنا جلوساً عند النبى صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر ، قال : إنكم سترون ربكم كما تـرون هذا القمر ليلة البدر لاتضامون فى روئيته ... الحديث"[1] .

ففي الحديث إثبات روئية المؤمنين لربهم فى الآخرة عياناً بأبصارهم.

٤ - روى البخارى - أيضاً - بسنده عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال : يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعونى فأستجيب له ، من يسألنى فأعطيـه ، من يستغفرنى فأغفر له "[2]

ففي الحديث إثبات صفة نزول الرب تعالى إلى سماء الدنيا حين يبقـى ثلث الليل الآخر حقيقه من غير مماثلة ، ولا يلزم منه خلو العرش، ولاالتنقل[3] وآخر الحـديث ينفى تماماً أن يكون النزول مجازياً وهو نزول ملك منالملائكـة أو رحمة الله، أو أمره[4]؛ لأنه يستحيل عقلاً أن يقول الملك من يدعونـى ، من يستغفرنى ؛ لأنه يكون شركاً أكبر ، ثم إن نزول رحمته تعالى ، وأمـره، أوملك من الملائكة لايختص بوقت معين وهو ثلث الليل الآخر فدل على أنـه نزول الرب حقيقة ، ثم إن الكلام يستقيم بدون إضمار فما الداعي إليه ؟.

وفى الحديث أيضاً إثبات كلامه لخلقه حقيقة من غير مماثلة .

وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة التى فيها إثبات الصفات لله على وجـه

---

(١) صحيح البخارى : كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى :" وجوه يومئذ ناضره إلـى ربها ناظره " ١٧٩/٨.

(٢) صحيح البخارى : كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : " يريدون أن يبدلوا كلام الله" ١٩٧/٨.

(٣) انظر مختصر الصواعق : ٣٨٧/٢.

(٤) انظر المصدر نفسه : ٤٠١/٢ ومابعدها .

الحقيقة مع نفي المماثلة ، والمشابهه عنه تعالى لخلقه من كل وجه[١] .

الأساس الثالث :-

قطع الطمع عن إدراك كيفية صفات اللهوكيفية صفات الله لايعلمها إلا هو ، فهي مجهولة بالنسبة لنا ؛ لأن ذات الله تعلم ، ولايحاط بها علماً فكذلك صفاته تعالى لاتدرك كيفيتها بل إن الإنسان عاجز عن إدراك كيفية ماهو موجود فيه وهو الروح،لأن الشيء إنما تدرك كيفيته، وحقيقته بمشاهدته ، أو مشاهدة نظيره ، أو خبر قاطع عنه ، فإذا كانت الروح متصفة بعدة صفات مع عدم مماثلتها لما يشاهد من المخلوقات فالخالق أولى بذلك ، وأهل العقول هم أعجز أن يحدوه أو يكيفوه.[٢]

روى اللالكائي[٣] بسنده عن أم سلمة في قوله تعالى :" الرحمن على العرش استوى"[٤] قالت :"الكيف غير معقول ، والاستواء غير مجهول ، والاقرار به إيمان ، والجحود به كفر[٥]" .

---

(١) انظر صحيح البخاري : كتاب التوحيد ٨/١٦٣ - ٢٢٠، وكتاب التوحيد وإثبات صفات الرب : لابن خزيمة ص ٦ - ٢٤١.

(٢) انظر الرسالة التدمرية : ص ٢٤.

(٣) هو هبة الله بن الحسن بن منصور الطبرى اللالكائي، فقيه،محدث ، حافظ، متكلم، قدم بغداد فاستوطنها توفى سنة ٤١٨هـ ، من آثاره شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، وكتاب رجال الصحابة(انظر معجم المؤلفين : ١٣/١٣٦).

(٤) سورة طه : آية (٥).

(٥) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : ٣/٣٩٧، وفتح الباري : ٣/ ٤٠٦.
وذكر ابن تيمية أن هذا الجواب مروى عن أم سلمة موقوفاً ، ومرفوعاً لكن ليس إسناده مما يعتمد عليه (انظر الفتاوى : ٥/٣٦٥).

وروى اللالكائي - أيضاً - بسنده عن جعفر بن عبدالله قال : جاء رجل إلى مالك بن أنس فقال : يا أبا عبدالله " الرحمن على العرش استوى " كيف استوى ؟ قال : فما رأيت مالكاً وجد من شيء كموجدته من مقالته ، وعلاه الرحضاء - يعني العرق - قال : وأطرق القوم ، وجعلوا ينتظرون ما يأتي منه ، قال : فسرى عن مالك فقال : الكيف غير معقول ، والاستواء منه غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، فإني أخاف أن تكون ضالاً ، وأمر به فأخرج .

ومثل هذا ثابت عن ربيعة شيخ مالك[1] .

ويحذى بهذا الجواب حذوه في جميع صفات الله .

ولا حجة للمبتدعة في الحديث الذي روى البخاري بسنده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً . . . . الحديث"[2] .

فإن العلماء مختلفون في مرجع الضمير في قوله :" صورته" هل يعود إلى آدم أو إلى لفظ الجلالة " الله " ؟ :-

قيل : يرجع الضمير إلى آدم أي خلقه الله تعالى على صورته التي استمر عليها إلى أن أهبط، وإلى أن مات ، دفعاً لتوهم من يظن أنه لما كان في الجنة كان على صفة أخرى .

وقيل : إن الضمير راجع إلى لفظ الجلالة[3] ، والمراد بالصورة الصفة أي خلقه على صفته من العلم ، والحياة وغير ذلك ، وإن كانت صفات الله لاتشبهها .[4]

---

(١) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة ، والجماعة : ٣٩٨/١، وذكر ابن حجر أن إسناد الرواية عن مالك جيدة(انظر فتح الباري : ٤٠٦/١٣، ٤٠٧).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الاستئذان، باب بدء السلام ١٢٥/٧، وانظره في صحيح مسلم : كتاب البر ، باب النهي عن ضرب الوجه ٣٢/٨.

(٣) واستدلوا بزيادة لفظة"على صورة الرحمن" ورويت عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء وقد بين ابن خزيمة أن فيه عللاً ثلاث :١- إن الثوري قد خالف الأعمش في إسناده فأرسل الثوري، ولم يقل عن ابن عمر . ٢- إن الأعمش مدلس لم يذكر أنه سمعه من حبيب بن أبي ثابت. ٣ - إن حبيب بن أبي ثابت مدلس لم يعلم أنه سمعه من عطاء(انظر التوحيد :ص٣٨).

(٤) انظر فتح الباري : ٣/١١.

وقيل : إن لهذا الحديث سبباً حذف من تلك الرواية ، وأن أول القصة الذى ضرب عبده فنهاه النبى عن ذلك .

وقد ذكر ابن خزيمة عدة روايات لهذا الحديث.(١)

ثم قال ابن خزيمة : (توهم بعض من لم يتحر العلم أن قوله :" على صورته " يريد صورة الرحمن عز ربنا وجل عن أن يكون معنى هذا الخبر بل معنى قوله خلق آدم على صورته الهاء فى هذا الموضع كناية عن اسم المضروب ، والمشتوم ، أراد صلى الله عليه وسلم أن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب ، الذى أمر الضارب باجتناب وجهه بالضرب)(٢) .

ثم ذكر أنه على فرض صحة رواية عطاء مع مافيها من العلل يكون المراد : إضافة الصورة إلى الرحمن من إضافة الخلق إليه.(٣)

قلت : والضمير راجع إلى آدم ، لأنه أقرب مذكور ، لاسيما وأنه ورد وصفه فى الحديث: بأن طوله ستون ذراعاً ،وبهذا يزول الاشكال ، ولا حجة للمبتدعة فيه .

والذى أوقع الفرق الضالة فى الانحراف عن الاستقامة هو اتباعهم للمتشابه وقد ذم الله الذى يتبعون المتشابه بقوله :" هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب، وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله، ومايعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون : آمنا به"(٤) .

روى البخارى بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت : تلا رسول الله هذه الآية إلى قوله : " أولى الألباب " قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإذا رأيت الذين يتبعون ماتشابه منه فأولئك الذى سمى الله فاحذروهم "(٥) .

---

(١) انظر كتاب التوحيد : ص ٣٦ - ٤٢ .
(٢) التوحيد : ص ٣٧.
(٣) انظر المصدر نفسه : ص ٣٩ .
(٤) سورة آل عمران : آية (٧).
(٥) صحيح البخارى : كتاب التفسير ، باب منه آيات محكمات ١٦٦/٥.

وقد ذكر ابن حجر عن الخطابى أن المتشابه على ضربين :-
أحدهما : ما إذا رد إلى المحكم ، واعتبر به عرف معناه .
ثانيهما : مالاسبيل إلى الوقوف على حقيقته وهو الذى يتبعه أهل الزيغ فيطلبون تأويله. (١)
ولكن ليعلم أن نصوص الصفات من الحكم ؛لأن معانيها واضحة فى لغة العرب بخلاف كيفيتها فهي منالمتشابه الذى لايعلمه إلا الله .

ثم أهل الظلال لو وفقوا بين صريح المعقول ،وصحيح المنقول (٢) لما وقعوا فى هذه الانحرافات؛ فإن العقل له حد ينتهى إليه ، فالأمور الغيبية ، وكيفيات الصفات لايدركها العقل بمجرده، لأنه لم يشاهدها ، ولم يشاهد نظيرها مع وجوب إيمانه بها لصدق الخبر بها عن الله تعالى.

وخلاصة القــــول :-

أن مذهب أهل السنة والجماعة فى أسماء الله وصفاته هو الحق ؛ فإنه وسط بين أهل التعطيل وأهل التمثيل ، وقد وصف شيخ الإسلام ابن تيمية عقيدة الفرقة الناجية بقولـه : (ومذهب سلف الأمة ، وأئمتها : أن يوصف الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ، ولا تعطيل، ومن غير تكييف ، ولا تمثيل) (٣) فأمَرّ أهل السنة والجماعة نصوص الصفات بلا كيف. (٤)

---

(١) انظر فتح البارى : ٦/٢١١، ٢١٢ .
(٢) وقد ألف ابن تيمية كتابه درء تعارض العقل ، والنقل ، ويقصد بذلك الرد على المبتدعة الذين حكموا العقل فى أسماء الله،وصفاته ، ونصوصهما بل إنهم حكموا العقل فى كل شيء .
(٣) منهاج السنة النبوية : ١/١٧٤.
(٤) أما مالم يرد إثباته مما أحدثه المتكلمون كلفظ الجهة ، والتحيز ونحوهما ،فهو من باب المجمل الذى يحتاج إلى استفصال المتكلم عن مراده .

المبحث الثاني : الانحراف في مفهوم الإيمان بالملائكة ، والجن ، وعلاجه في الاسلام:-

المفهوم الصحيح للإيمان بالملائكــة :-

هو الاعتقاد الجازم بأن لله ملائكة موجودين مخلوقين من نور ، وأن لهم صفات تخصهم، وأنهم قائمون بوظائفهم التى أمرهم الله بها أتم قيام ، وأن لهم قدرة على التشكل .

المفهوم الصحيح للإيمان بالجــن :-

هو الاعتقاد الجازم بأن الجن موجودون ، ولهم صفات تخصهم ، وأنهم مخلوقون مــن نار ، ولهم - أيضاً - قدرة على التشكل ، والتصور وقد انحرف عن هذا المفهوم الصحيـــح للإيمان بالملائكة والجن شرذمة من الناس ويتضح ذلك فيما يلى :-

أولاً : المنحرفون في مفهوم الإيمان بالملائكــة :-

وقد تنوع الانحراف فى ذلك ويتضح فيما يلى :-

أ - المنكرون لوجود الملائكـــة :

وهم الملاحدة ، وكثير من الفلاسفة ، ذلك أن الفلاسفة يزعمون أن الملـــك هو مايتصوره النبى- بزعمهم- فى نفسه من أشكال نورانية هي العقول عندهم ، وهـــي مجردات لاداخل العالم ولاخارجه ، ولافوق السموات ، ولاتحتها ، ولاهي أشخاص تتحرك ، ولاتصعد ، ولاتنزل ، ولاتدبر شيئاً ، ولا تتكلم ، ولاتكتب أعمال العبـد ، ولاتنتقل من مكان إلى مكان ، ولاتصفُّ عند ربها ، ولاتقبض نفس العبد ، ولاتكتـــب رزقه، وأجله، وعمله . (١)

---

(١) انظر إغاثة اللهفان : ٢٦١/٢.

فهم يصفونهم بالسلوب ، وربما تقرب بعضهم إلى المسلمين فقالوا الملائكة هي : القوى الخيرة الفاضلة فى العبد . (١)

ب - من يعترف بوجود الملائكة ، ويعتقد فيهم الربوبية :-

يعتقد كثير من أرباب الديانه الهندية بوجود الملائكة إلا أنهم يعتقدون فيهم الربوبية ، ويقولون : بأن الملائكة محتجبون بالسماء ، فاتخذوا أصناماً على صورهم كما تخيلوها فعبدوها ؛ لأنها أقرب الأجسام إلى الخالق فعظموها . (٢)

ج - من اعتقد أن الملائكة بنات الله :-

وهؤلاء هم المشركون من العرب ، وغيرهم حيث زعموا أن الملائكة بنات الله .

مسألة :-

زعم اليهود أن جبريل عدو لهم وقد أخبر تعالى عن ذلك بقوله :" قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدًى وبشرى للمومنين "(٣) .

وقد ورد فى سبب نزولها أن اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : إنه ليس نبى من الأنبياء إلا يأتيه ملك من الملائكة من عند الله بالرسالة ، فمن صاحبك حتى نتابعك ؟ قال : جبريل ، قالوا : ذاك الذى ينزل بالحرب وبالقتال ، ذاك عدونا فنزلت الآية (٤) ، وقد رد الله عليهم بقوله :" من كان عدواً لله ،

---

(١) انظر إغاثة اللهفان : ٢/٢٦١ .

(٢) انظر تلبيس إبليس : ص ٧١ .

(٣) سورة البقرة : آية (٩٧) .

(٤) انظر أسباب النزول : للواحدى ، ص ٨١ ومابعدها ، وفى الجامع لأحكام القرآن : ٢/٣٦ .

وملائكته ورسله ، وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين"[1] .

وزعمت الغرابية[2] من غلاة الشيعة : أن الله عز وجل أرسل جبريل إلى علي فغلط في طريقه فذهب إلى محمد ؛ لأنه كان يشبهه ، وهذه الفرقة تقول لأصحابها : العنوا صاحب الريش يقصدون جبريل عليه السلام.[3]

---

(١) سورة البقرة : آية (٩٨) .

(٢) سموا بذلك لأنهم قالوا : إن محمداً يشبه على شبه الغراب بالغراب (انظر الفرق بين الفرق : ص ٢٥٠) .

(٣) انظر الفرق بين الفرق : ص ٢٥٠ ، ٢٥١ ، والتبصير : ص ١٢٨ ، ١٢٩ ، وتاريخ المذاهب الإسلامية : ص ٤٠ .

علاج الانحراف في مفهوم الإيمان بالملائكة في الإسلام :-

يتحدد العلاج بالعقل الصريح الموافق للنص الصريح ؛ لأنها أمور غيبية لايقال فيها بالظن ، والتشهى ، والحدس ويتضح ذلك فيما يلى :-

الطريق الأول :- إثبات وجودهم عقلاً :

وهذا الطريق نسلكه مع الملاحدة الذين لايقرون بوجود الله أصلاً، ولا بملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، فنقول : إن غاية ماعندهم من الشبه فى إنكارهم لوجودهم أنهم غير محسوسين، ولا يرون، فلا علم عندهم بوجودهم ، وعدم العلم ليس دليلاً ، وقبيح بالعاقل أن ينفي الشيء لعدم علمه بوجوده فيكون غيره قد علمه ، وأيضاً هناك أشياء موجوده من حولنا ولانشاهدها ، كالروح التى تتردد فى الجسد ، والصوت المبثوث عبر الأثير فإنا نسمعه بواسطة المذياع وغيره مع أننا لانشاهده فإنكار الملائكة وغيرها من الأمور الغيبية يستلزم إنكار مثل تلك الأمور ، وإلا كان إنكارهم مكابرة لا غير ذلك .

فالملائكة والجن وغيرهما من العوالم الغيبية وإن كانوا غير مرئيين لنا لاينفي العقل وجودهم ؛ فإن العلماء اليوم لايدعون أن الإنسان أحاط بكل شيء علماً .
فالنتيجة: أن العقل لاينفى وجودهم أصلاً .

الطريق الثانـي :-

النصوص الشرعية الصحيحة التى تثبت وجودهم فهي تعاضد العقل الصريح فى ذلك فمن الأدلة على وجودهم :-

أ - قوله تعالى :" آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله، وملائكته، وكتبه ، ورسله . . . الآية "(١) ، فالآية تثبت وجودهم، وتجعل الإيمان بهم مما آمن به

---

(١) سورة البقرة : آية (٢٨٥) .

الرسول ، والمؤمنون ، وهو أحد أركان الإيمان بالله،وأيضاً : أنهم مخلوقون وموجودون قبل آدم،قال تعالى :" وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفه قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال : إني أعلم مالا تعلمون"(١)

ثم إن الرسول صلى الله عليه وسلم بين المادة التي خلقوا منها مما يدل على وجودهم،فقد روى مسلم بسنده عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم"(٢).

وهم ليسوا ذكوراً ولا إناثاً ،وقد رد الله على المشركين في ادعائهم بأن الملائكة بنات الله قال تعالى :" وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون "(٣) وغيرها من الآيات .

ب - ورد-أيضاً-أن عددهم كثير ، ولايعلمه إلا الله فهذا يدل-أيضاً-على وجودهم،ويؤيد ذلك ماروى البخاري بسنده عن مالك بن صعصعه - في حديث الإسراء - وفيه " فرفع لي البيت المعمور ، فسألت جبريل فقال : هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ماعليهم"(٤) .

جـ - ورد أن لهم صفات خاصة بهم مما يدل على وجودهم منها :-

١ - لهم القدرة على التشكل على صورة البشر : قال تعالى :" فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً "(٥).

---

(١) سورة البقرة : آية (٣٠).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الزهد، باب في أحاديث متفرقه : ٢٢٦/٨.

(٣) سورة الزخرف : آية (١٩).

(٤) صحيح البخاري : كتاب بدأ الخلق ، باب ذكر الملائكة ، ٧٨/٤، وانظره في صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ١٠١/١.

(٥) سورة مريم : آية (١٧).

ويدل على ذلك -أيضاً- ماورد في حديث جبريل المشهور حين جاء يعلم الصحابة معنى الإسلام ، والإيمان ، والإحسان ، وأشراط الساعه جاء على هيئة رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لايرى عليه أثر السفر .

٢ - لهم أجنحة :- قال تعالى :" الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق مايشاء"(١) ، روى البخاري بسنده عن أبى إسحاق الشيباني قال : سألت زر بن حبيش عن قوله تعالى :" فكان قاب قوسين أو أدنى"(٢) ، قال حدثنا ابن مسعود أنه رأى جبريل له ستمائة جناح "(٣) .

٣ - أنهم معصومون : لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون ، ويدل على ذلك قوله تعالى :" عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون "(٤) .

ولا يلتفت لمن نفى عنهم العصمة ؛ فإن قوله تعالى مخبراً عنهم :"قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء"(٥) ، استفسار عن الحكمة لا اعتراض على الرب(٦) ، وهناك أجوبة أخرى تركنا ذكرها خشية الإطالة.(٧)

---

(١) سورة فاطر : آية (١).

(٢) سورة النجم : آية (٩).

(٣) صحيح البخاري : كتاب بدء الخلق ، باب إذا قال أحدكم آمين ٨٣/٤.

(٤) سورة التحريم : آية (٦).

(٥) سورة البقرة : آية (٣٠).

(٦) انظر المواقف : ص ٣٦٧.

(٧) انظر التفسير الكبير : ١٧٠/٢.

وأما عصيان إبليس حين أبى السجود لآدم فالقول الراجح : أنه ليس من الملائكة بل هو من الجن للأدلة التالية :-

١ - قال تعالى :"إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر به ، أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً"(١) ، فقد بين أنه من جنس الجن،وأن له ذرية ، والملائكة لاذرية لهم .

٢ - أن إبليس مخلوق من نار، وقد أخبر الله عنه بقوله :"خلقتنى من نار ، وخلقته من طين"(٢) ، والملائكه مخلوقون من نور .

٣ - أن الله أخبر أن الملائكة لايعصون الله ما أمرهم،ويفعلون مايؤمرون ،

وقد أطال الرازى(٣) ، وغيره من المفسرين الكلام على ذلك.(٤)

وأما قصة هاروت،وماروت وأنهما ملكان فهى من الإسرائيليات ، وقد أبطلها الرازى من عدة وجوه(٥) .

د - أنهم أصناف،ولهم وظائف تخصهم(٦) مما يدل على وجودهم فمنهم :

١ - الرسل :-

قال تعالى :" جاعل الملائكة رسلاً"(٧) .

وقال تعالى :" الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس "(٨) .

---

(١) سورة الكهف : آية (٥٠).
(٢) سورة الأعراف : آية (١٢)، وسورة ص : آية (٧٦).
(٣) انظر التفسير الكبير : ٢١٣/٢ - ٢١٦.
(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن : ٢٩٤/١.
(٥) انظر التفسير الكبير : ١٧٠/٢.
(٦) انظر التفسير الكبير : ١٦٢/٢، والعقائد الإسلامية : للميدانى ، ص ٢٧٤ ومابعدها.
(٧) سورة فاطر : آية (١).
(٨) سورة الحج : آية (٧٥).

٢ - حملة العـــرش :-

ويدل على ذلك قوله تعالى :" ويحمل عرش ربك فوقهـــم يومئـــذ ثمانيـــة"[1] .

٣ - منهم : صاحب النفخ فى الصور وهو إسرافيل ، قال تعالى :" ونفخ فـــى الصور فصعق من فى السموات ، و من فى الأرض إلا من شاء الله ، ثـــم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون "[2] .

٤ - ملائكة الجنة،والنـــار :-

قال تعالى :" جنات عدن يدخلونها ، ومن صلح من آبائهـــــم، وأزواجهم ، وذرياتهم ، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب"[3] .
وقال تعالى فى ملائكة النار - واسمهم الزبانية [4]- " عليها تسعة عشـــر"[5] وخازن النار اسمه " مالك " ويدل على ذلك قوله تعالى :" ونادوا يامالـــك ليقض علينا ربك قال : إنكم ماكثون"[6] .

٥ - الموكلون ببنى آدم :- وهم أصناف ، ولكل صنف وظائف :-

أ - الموكلون بنفخ الروح فى الأجنة ، وكتابة مستقبل أعمالها وآجالهـــا ، وأرزاقها،وسعادتها ، أوشقاوتها ، روى البخارى بسنده عن ابـــن مسعود :"إن أحدكم : بجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً ،ثم يكون علقة مثل

---

(١) سورة الحاقة : آية (١٧)٠
(٢) سورة الزمر : آية (٦٨)٠
(٣) سورة الرعد : آية (٢٣)٠
(٤) قال تعالى :" فليدع نادية سندع الزبانية " (سورة العلق آيتا (١٧، ١٨))٠
(٥) سورة المدثر : آية (٣٠)٠
(٦) سورة الزخرف : آية (٧٧)٠

ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً يؤمر بأربع كلمات ويقال له: أكتب عمله، ورزقه، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح. الحديث"(١)

ب ـ الموكلون بمراقبة أعمال المكلفين، وإحصائها، وتسجيلها في صحف الأعمال، قال تعالى: "إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد"(٢).

ج ـ المعقبات الحفظة :

قال تعالى: "له معقبات من بين يديه، ومن خلفه يحفظونه من أمر الله"(٣).

د ـ ملائكة الموت :ـ

وهم الموكلون بقبض الأرواح، قال تعالى: "قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم، ثم إلى ربكم ترجعون"(٤).

وإنكار وجود الملائكة يلزم منه إنكار الإيمان بالنبوات، والكتب.

---

(١) صحيح البخارى: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكه، ٧٨/٤، ٧٩.

(٢) سورة ق: آيتا (١٧، ١٨) وقوله تعالى: "وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ماتفعلون" (سورة الانفطار: الآيات (١٠ - ١٢)).

(٣) سورة الرعد: آية (١١).

(٤) سورة السجده: آية (١١).

ثانياً : المنحرفون في مفهوم الإيمان بالجن[1] :-

كثر الجدل بين أهل الملل ، وبعض الفلاسفة القدماء، والكتاب المعاصرين المنحرفين حول إثبات هؤلاء المخلوقات ، فأكثر الفلاسفة ينكرون وجودهم ، لعدم الاحساس بهم.[2]

وأنكر وجودهم كذلك الزنادقة ، والقدرية من المعتزلة[3] .

كما أنكر وجودهم فريق من الكتاب المعاصرين المنحرفين حيث زعموا : أن الجن هم الجراثيم ، والميكروبات التي كشف عنها العلم الحديث ، وذهب بعضهم : إلى أن المراد بهم الملائكة ، فهم والجن عندهم عالم واحد ؛ لأن الكل مستترون عن الناس[4] .

---

(١) هم عالم مستتر عن الأنظار مخلوقون من نار أعطاهم الله قوة التشكل (انظر لسان العرب : ٩٥/١٣ ، ماده " جنن ") .

(٢) انظر التفسير الكبير : ١٤٨/٣٠، والرد على المنطقتين : ص ٤٦٩، وكتاب غرائب الجن والشياطين : لبدر الدين عبدالله الشبلي ، تحقيق وتعليق : إبراهيم محمد الجمل ص ١٧، وفتح الباري : ٣٤٣/٦.

(٣) ومنهم النظام فقد أنكر وجودهم (انظر الملل والنحل : ٥٨/١).

(٤) انظر عالم الجن والشياطين : د. سليمان الأشقر : ص ١٣، ط ٤/١٤٠٤هـ ، نشر مكتبة الفلاح - نقلاً عن تفسير سورة الجن : د. محمد البهي ، ص ٨ .

علاج الانحراف في مفهوم الإيمان بالجن في الإسلام :-

أثبت وجود الجن جمهور أرباب الملل ، والمصدقين للأنبياء .(١)

أما المنكرون لوجودهم فشبهتهم : أنه لاعلم عندهم بوجودهم ، ثم إنهم لايرون ، ولايحس بهم. وهذه الشبهة باطلة ؛ لأن عدم العلم ليس دليلاً على النفي لوجودهم ، وقبيح بالعاقل أن ينفي الشيء لعدم علمه بوجوده ، فيكون غيره قد علمه فالنا في يلزمه الدليل .

والنصوص الشرعية الصحيحة تعاضد العقل الصريح فتثبت وجودهم ، وأنهم عالم ثالث غير الملائكة والبشر ، وأنهم ليسوا بأعراض ولاجراثيم ، ومن أنكرهم فقد أنكر صريح القرآن ، فقد نزلت سورة باسمهم فيؤدي إنكار وجودهم إلى الكفر ، والخروج عن الملة الإسلامية ، والدليل على وجودهم مايلي :-

أ - **النصوص الشرعية :-**

ومن ذلك قوله تعالى : " قل أوحي إليَّ أنه استمع نفر من الجن"(٢) ، ثم إنهم ذكور ، وإناث قال تعالى :" وإنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً"(٣) .

روى البخاري بسنده عن أنس قال : " كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء قال : اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث"(٤) يريد ذكر ان الشياطين وإناثهم(٥) .

---

(١) انظر التفسير الكبير : ١٤٨/٣٠.
(٢) سورة الجن : آية (١).
(٣) سورة الجن : آية (٦).
(٤) صحيح البخاري : كتاب الوضوء ، باب مايقول عند الخلاء ، ٤٥/١.
(٥) انظر فتح الباري : ٢٤٣/١.

وروى البخاري بسنده عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :" إن عفريتاً من الجن تفلّت عليّ البارحة ـ أو كلمة نحوها ـ ليقطع عليّ الصلاة فأمكننى اللـــه منه ، فأردت أن أربطه إلى سارية من سوارى المسجد حتى تصبحوا ، وتنظرون إليــه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان " رب اغفر لي وهب لي ملكاً لاينبغى لأحد من بعدى"(١) ...... الحديث"(٢) ، وقد سخرهم الله لسليمان عليه السلام، قال تعالى :" وحشــر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون " (٣).

ب ـ **مشاهـدة النـاس لهـــــــم :-**

مما يثبت وجودهم مشاهدة الناس لهم ، فهم يتصورون بصورة الإنس ، كما تصـور الشيطان يوم وقعة بدر بصورة سراقة بن مالك ، فحدثهم أن بنى كنانه قد أقبلوا لنصرهم(٤)، قال تعالى :" فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه "(٥)

وكما مرّ فى الحديث من مشاهدة الرسول صلى الله عليه وسلم للجنى : قـــال ابن تيمية (وأما رؤية كثير من الناس للجن حال الصرع ، وغير الصرع فهذا أكثر وأشهر من أن يذكـــــر)(٦).

---

(١) سورة ص : آية (٣٥).
(٢) صحيح البخارى : كتاب الصلاة ، باب الأسير والغريم يربط فى المسجد : ١٨/١ وفــى كتاب الأنبياء ، باب قوله تعالى :" ووهبنا لداود سليمان" (سورةص:آية"٣٠") ، ١٣٦/٤ وانظره فى صحيح مسلم : كتاب المساجد باب جواز لعن الشيطان أثناء الصلاة والتعوذ منه ، ٧٢/٢ .
(٣) سورة النمل : آية (١٧).
(٤) انظره في كتاب غرائب الجن والشياطين : ص ٢٩١ ومابعدها.
(٥) سورة الأنفال : آية (٤٨).
(٦) الرد على المنطقيين : ص ٤٧٠ وقد أثبت ابن تيمية أن الجني يدخل في بدن الإنسي (انظر المصدر نفسه : ص ٤٧٠).

بيان حقيقتهم،وصفاتهم :-

المرجع فى ذلك هو السمع ؛ لأن ذلك من الأمور الغيبية فمن ذلك مايلى :-

أ - **أنهم مخلقون من نار ، قبل الإنس :-**

قال تعالى : " وخلق الجان من مارج من نار"[١] ، وقال تعالى :" والجـــان خلقناه من قبل من نار السموم "[٢] .

ب - **أنهم يتناسلون ، ولهم ذريـــة :-**

قال تعالى فى شأن التحذير من إبليس وذريته " أفتتخذونه وذريته أولياء مـن دوني وهم لكم عـدو"[٣] .

ج - **أنهـــم مكلفــــون :-**

قال تعالى :" وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"[٤] ، وقال تعالى:" يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا : شهدنا على أنفسنا .... الآية"[٥]

وقد ترجم البخارى فى صحيحه " باب ذكر الجن ، وثوابهم ، وعقابهم"[٦] ، لكن ابن حجر ذكر الاتفاق على أنهم يعاقبون ، وذكر الخلاف فى ثوابهم[٧] .

---

(١) سورة الرحمن : آية (١٥).
(٢) سورة الحجر : آية (٢٧).
(٣) سورة الكهف : آية (٥٠) .
(٤) سورة الذاريات : آية (٥٦).
(٥) سورة الأنعام : آية (١٣٠).
(٦) انظر صحيح البخارى : كتاب بدء الخلق ، ٩٦/٤.
(٧) انظر فتح البارى : ٣٤٦/٦.

وقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم إلى الجن ، والإنس قال تعالى : " وإذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا : انصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين ، قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدى إلى الحق ، وإلى طريق مستقيم ، ياقومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به ، يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم "(١) .

وهوءلاء الجن كما ذكر المفسرون من جن نصيبين(٢) ، وكانوا سبعة ، وكانوا يهوداً فأسلموا(٣) قال القرطبى : (وهذه الآى تدل على أن الجن كالإنس فى الأمر والنهي ، والثواب والعقاب)(٤)

د - **أن منهم المسلمون ، ومنهم القاسطون :-**

قال تعالى مخبراً عنهم " وأنا منا المسلمون ، ومنا القاسطون ، فمن أسلم فأولئك تحرّوا رشداً ، وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً "(٥) .

هـ - **أن لهم قدرات عظيمة ، ومهارات،وصناعات :-**

فقد سخر الله لسليمان الجن يقومون بأعمال البناء ، والغوص فى البحار، والأعمال الصناعية،قال تعالى :" والشياطين كل بناء وغواص"(٦) ، وقال تعالى مخبراً عن الجنى

---

(١) سورة الأحقاق : الآيات (٢٩ - ٣١) .

(٢) ذكر القرطبى أنها قرية باليمن غبر التى تعرف فى العراق (انظر الجامع لأحكام القرآن : ١٩/٣) .

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن : ٢١٣/١٦ ومابعدها .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٢١٧/١٦ .
وذكر أبو الحسن الأشعرى : اختلاف الناس فى الجن هل هم مكلفون أم مضطرون ؟ .
فقال : بعض المعتزلة : هم مأمورون منهيون ، وأنهم مختارون ، وقال بعضهم : هم مضطرون مأمورون (انظر مقالات الإسلاميين : ص ٤٤٠) .

(٥) سورة الجن : آيتا (١٤، ١٥) .

(٦) سورة ص : آية (٣٧) .

الذى أراد أن يحضر عرش بلقيس[1] " قال : عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإنى عليه لقوي أمين"[2] .

و - **أنهم لايعلمون الغيب :-**

قال تعالى :" وأنا لاندرىأشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً"[3] ؛ وقال تعالى :" فلما خرتبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين"[4] .

فما دام أنهم لايعلمون الغيب فلا مجال لتصديق الادعاءات الكاذبة التى يقوم بها بعض مدعي الاتصال بالجن ، ويتلاعبون بعقول السذّج من الناس، أويدعون أن لهم قدرة على النفع ، والضر من دون الله ، وقد نهت وحذرت النصوص الصريحة ، والصحيحة الذين يصدقون الكهنة ، والمنجمين ، ونحوهم .

ز - **ليس للشياطين سلطان على المخلصين المؤمنين :-**

قال تعالى :" إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا مناتبعك من الغاوين"[5] ، وينحصر عمل الشيطان فى الوسوسة الخفية ، وهذا يزول عند حزم المؤمن،وقوة إرادته

---

(١) ذكر ابن الأثير اختلاف العلماء فى اسم آبائها فقيل : إنها بلقمة ابنة ليشرح ابن الحارث بن قيس بن صيفى بن سبأ،وقيل : بلقمة ابنة هادد (انظر الكامل فى التاريخ ١/٢٣٠) .
(٢) سورة النمل : آية (٣٩) .
(٣) سورة الجن : آية (١٠) .
(٤) سورة سبأ : آية (١٤) .
(٥) سورة الحجر : آية (٤٢) .

والتجاوء إلى الله تعالى بالاستعاذة ، والذكر وما إلى ذلك ، قال تعالى : " وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم ، إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون "(١) فالآيتان جمعتا بين الاستعاذه ، والذكر .

وقد ورد أن كل إنسان وكل به قرينه من الجن ، وقرينه من الملائكة ، روى مسلم بسنده عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مامنكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن ، قالوا : وإياك يارسول الله ، قال : وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير "(٢) .

وهناك تفصيلات كثيرة عن الجن تركنا إيرادها هنا خشية الإطالة .(٣)

---

(١) سورة الأعراف : آيتا (٢٠٠، ٢٠١).

(٢) صحيح مسلم : كتاب صفة القيامة، والجنة، والنار، باب تحريش الشيطان ، وأن مع كل إنسان قريناً ٨/١٣٩.

(٣) للاستزادة : انظر كتاب غرائب، وعجائب الجن والشياطين : لبدر الدين عبدالله الشبلي والتفسير الكبير : ٣٠/٤٨ ومابعدها ، والعقائد الإسلامية : لسيد سابق ، ص ١٣١-١٥٧ ، والعقائد الإسلامية ، وأسسها : للميداني ، ص ٢٨٠ - ٢٩٤.

المبحث الثالث : الانحراف في مفهوم الإيمان بالكتب المنزلة من السماء وعلاجه في الإسلام :-

جاء الانحراف هنا بأسلوب آخر ، وهو العبث بالكتب المنزلة من السماء على الرسل عليهم السلام ، وقد قام بهذا الأمر الدنيء اليهود،والنصارى وفيما يلي بيان ذلك بصورة مختصرة :-

أ - تحريف التـــوراة[1] :-

ذكر ابن القيم اختلاف أقوال الناس في التوراة التي بأيدي اليهود هل هي مبدلـــــة، أم التبديل،والتحريف وقع في التأويل دون التنزيل على ثلاثة أقوال :-

١ - أفرطت طائفة ، وزعمت : أنها كلها ، أو أكثرها مبدلة مغيرة ليست هي التـــوراة التي أنزلها الله على موسى مستدلين على هذا : بما فيها من تناقض وتكذيـــب بعضها بعضاً .

٢ - قالت طائفة : التبديل وقع في التأويل،لا في التنزيل[2] ، وقد مال الرازي إلـــى هذا الرأي حيث ذكر كيفية التحريف في التوراة وأنه على وجوه ثلاثة :-

أ -إبدال اللفظ بلفظ آخر مثل تحريفهم اسم :" ربعة " عن موضعه في التـــوراة بوضعهم " آدم طويل " مكانه .

ب - التحريف : إلقاء الشبه ، والتأويلات الفاسدة، وصرف اللفظ عن معناه الحـــق إلى معنى باطل بوجوه الحيلة اللفظية كما يفعله المبتدعه ثم قال :" وهـــــذا هو الأصح " .

جـ - أنهم كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويسألونه عن أمرفيخبرهم ليأخذوا به ، فإذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه.[3]

---

(١) لفظة التوراة من الألفاظ المعربة، ومعنى تورا في العبرانية"الشريعه" والمراد بها الأسفـار الخمسة التي نزلت على موسى وهي :التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد ، والتثنيـــه (انظر روح الدين الإسلامي :لعفيف طباره، ص٤٤١، و العقائد الإسلامية :للميداني، ص ٥٦٠).

(٢) انظر إغاثة اللهفان : ٣٥١/٢ - ٣٥٣.

(٣) انظر التفسير الكبير : ١١٧/١٠، ١١٨.

٣ - وقالت طائفة أخرى : إن كلا التحريفين - اللفظي ، والمعنوى - وقعا فى التوراة، فإنه قد زيد فيها ، وغيرت ألفاظ فيها ، وأكثرها باق على ما أنزل عليه[1] ، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية حيث ذكره تحت فصل فيما حدث فى التوراة من تغيير بقوله : (وأما التوراة ، فمن المعلوم عند المسلمين، واليهود، والنصارى أن بيت المقدس خرب الخراب الأول ، وخلا أهله منه ، وسبوا ، ولم يكن هناك من التوراة نسخ كثيرة ، بل إنما أخذت عن نفر قليل ، كما يقولون : إن عزيراً أملاها ، وإنهم وجدوا نسخة أخرى فقابلوها بها ، والمقابلة تحصل باثنين ، وقد يغلط أحدهما ، وهم يذكرون أن من الملوك من أمر اثنين وسبعين حبراً منهم بنقلها ، واعتبر بعض تلك النسخ ببعض هذا إن كان صدقاً لا يمنع أن يكون الغلط وقع فى بعض ألفاظها قبل ذلك إلا أن يثبت أنها مأخوذة من نبى معصوم ، أو أقر جميع ألفاظها نبى معصوم)[2] .

والحق أن كلا التحريفين :- اللفظي ، والمعنوى - وقعا فى التوراة[3] لما يلى :-

١ - أن علماء اليهود ، وأحبارهم يعتقدون أن التوراة التى بأيديهم ليست هي التى أنزلها الله على موسى بعينها؛ لأن موسى صان التوراة عن بنى إسرائيل خوفاً من اختلافهم من بعده فى تأويلها المؤدى إلى تفرقهم أحزاباً ، وسلمها إلى عشيرته أولاد لاوى ، ويدل على ذلك القول فى التوراة :" وكتب موسى هذه التوراة ، ودفعها إلى بنى إسرائيل إلى الأئمة من بنى لاوى" ، وهذه التوراة التى بأيدى اليهود أملاها عزير[4].

---

(١) انظر إغاثة اللهفان : ٣٥٤/٢ ومابعدها .

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : ١٨/٢، ١٩.

(٣) انظر اظهار الحق : لرحمت الله بن خليل العثماني ، ٢٠٥/١ ومابعدها .

(٤) انظر الجواب الصحيح : ١٩/٢، وإغاثة اللهفان : ٣٥٩/٢ ، ٣٦٠، وإظهار الحق : ٢١٦/١.

فلحقها ثلاثة أمور :-

أ - بعض الزيادة ،والنقصان .

ب - اختلاف الترجمة .

جـ - اختلاف التأويل [١] .

٢ - أن الكتب التى نزلت قبل القرآن قد ضاعت نسخها الأصلية ، ولم يبق فى أيدى الناس إلا الترجمة [٢] ، وهي عرضة للزيادة والنقص .

٣ - ماتتضمنه من العقائد الفاسدة،والتصورات الباطلة عن الخالق تعالى ، وعن رسله الكرام [٣] ، وعن نسبة الأبوة إليه،قال تعالى : " وقالت اليهود عزيز ابن الله" [٤] .

٤ - تعدد نسخها ، واختلافها، وتناقضها فيما نقلته من الأقوال والآراء يدل على وقوع كلا التحريفين فيها . [٥]

وأهم الأسفار المقدسة عند اليهود : التلمود . [٦]

وقد ذكر صاحب كتاب إظهار الحق مايزيد على ثلاثين شاهداً يثبت فيها وقوع التحريف لفظاً ومعنًى فيها [٧] ، ثم قال بعد الشاهد الرابع عشر: (قلت:فى الآيات التى نقلتها

---

(١) انظر إغاثة اللهفان : ٢/٣٦٠، ٣٦١.

(٢) انظر كتاب الإيمان أركانه وحقيقته:ص ١٠٥ ، والعقائد الإسلامية: لسيد سابق:ص ١٦٧، والعقائد الإسلاميه : للميداني، ص ٥٧٦ ومابعدها .

(٣) انظر الإيمان أركانه،وحقيقته : ص ١٠٧ ، والأسفار المقدسة قبل الإسلام : د.صابر طعيمة ، ص ١٠٩ - ١٥٥.

(٤) سورة التوبة : آية (٣٠).

(٥) انظر كتاب الأسفار المقدسة قبل الإسلام : ص ٣٤ ومابعدها ، وكتاب جنايات بنى إسرائيل على الدين والمجتمع : محمد ندا ، ص ٧٢ - ٨٩.

(٦) هو التعبير عن النظرة اليهودية الشاملة إلى العالم فى امتدادها عبر ألف سنة من الزمن ، وقيل : هو الوثيقة السياسية الخطيرة التى صنفها بعض الحاخامات اتباعاً للخطة السريعة التى اتبعوها منذ آلاف السنين ، وهو كتابالسياسة الارهابية الصهيونية (انظر كتاب الأسفار المقدسة قبل الإسلام : ص ٤١ ومابعدها) .

(٧) انظر : ص ٢٠٥ ومابعدها .

من الشاهد الثاني إلى هنا إنها شواهد التحريف بالزيادة من زيادة الآيات ، والجمل ، أو الألفاظ مبنى على تسليم مايدعى أهل الكتاب الآن أن هذه الكتب الخمسة المروجة تصنيف موسى عليه السلام ، وإلا فهذه الآيات دلائل على أن هذه الكتب ليست من تصنيفه ، ونسبتها إليه غلط كما هو المختار عند علماء الإسلام) [1] .

والشهرستانى ذكر أن التحريف فى التوراة وقع فى اللفظ والمعنى معاً حيث قال : (وما حرفوه وغيروه ، وبدلوه ، إما تحريفاً من حيث الكتابة والصورة ، وإما تحريفاً من حيث التفسير،والتأويل) . [2]

الخلاصة :-

أن التوراة التى بأيدى اليهود الآن ليست هي التوراة التى أنزلت على موسى بل هي من وضع أحبار اليهود وعلمائهم ، فكل منهم يضع فيها ، ويحذف منها مالا يراه متفقاً مع هواه وشهوته ، وإن كانت لاتخلو من عبارات قد تكون مما أنزل الله على موسى ، فالتحريف لايأتى على كل شيء فيها ، لكن اختلط فيها الحق بالباطل فلا يستطاع التمييز بينهما .

ب - **تحريف الإنجيل :-**

علماء النصارى يقرون بالأناجيل الأربعة ، وهى الكتب المعتمدة عندهم [3] ، ويزعمون أنه تم اختيارها من بين حوالي مائة إنجيل كانت بين النصارى فى القرن الرابع الميلادى [4]

(١) إظهار الحق : ص ٢٣٣.
(٢) الملل والنحل : ٢/٢١٢.
(٣) هى إنجيل متّى ، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا ، وإنجيل يوحنا (انظر كتاب تحفة الأديب فى الرد على أهل الصليب:ص٦١ ومابعدها ، والأسفار المقدسة قبل الإسلام:د.صابر طعيمة، ص٢٥٣، والعقائد الإسلامية: للميدانى، ص ٥٦٦ - ٥٧٠، وكتاب محاضرات فى النصرانية :ص ٤٠).
(٤) انظر كتاب مايجب أن يعرف المسلم من حقائق النصرانية والتبشير : ص ٤١.

ومن الأدلة على وقوع التحريف بقسميه فيها مايلى :-

١ - أن المسيح جاء بإنجيل واحد ، وهم لايستطيعون أن يثبتوا أن أحد الأناجيل مطابق بنصه ، ومعناه للإنجيل الذى جاء به عيسى عليه السلام، فتعدد الأناجيل [١] هنا دليل كاف،وواضح على وقوع التحريف فيها ، وبطلانها .

٢ - تتناقض تلك الأناجيل ، وتعارضها ، وانقطاع سندها ، وافتقارها إلى أبسط شروط التواتر ، بالإضافة إلى ركاكة لفظها ، وغموض معانيها، وثبوت الكذب فى اخبارياتها مما يؤكد تحريفها ، ويسقط قيمتها العلمية ، لاسيما وأنها وجدت فى أقطار متباعدة ، وبلغات مختلفة ، وأوقات متباينه [٢] .

أما متّى : فما أدرك عيسى عليه السلام ، ولارآه إلا فى العام الذى رفعه الله فيه إلى سمائه ، وبعد أن رفع عيسى كتب متّى الإنجيل بخطه فى مدينة الاسكندرية وقيل : إن النسخة الأصلية منه وجدت فى الهند ، ثم أرسلت إلى الاسكندرية، ثم اختفت بعد ذلك ، ولم تظهر إلا ترجمتها ، ولم يعرف حتى الآن من هو المترجم ، وأيضاً تلك الترجمة لم تسلم من التلاعب، ولعل أكبر دليل على التحريف ماتضمنته من قصة الصلب وماحدث بعدها ، وهى زيادات معلومة بالضرورة لم يقل المسيح شيئاً قبل رفعه [٣] .

---

(١) الإنجيل كلمة يونانية الأصل ومعناها " البشرى" ، وتطلق على كل من الأناجيل التى تترجم للمسيح فى مجموعة العهد الجديد (انظر الموسوعة العربية الميسرة : ١/ ٢٣٩).

(٢) انظر كتاب مايجب أن يعرفه المسلم عن النصرانيه والتبشير : ص ٤١ ومابعدها ، ومحاضرات فى النصرانية : ص ٤٣.

(٣) انظر كتاب مايجب أن يعرفه المسلم عن النصرانية والتبشير :ص ٤٢، ومحاضرات فى النصرانية : ص ٤٢ - ٤٦، وتحفة الأريب : ص ٦٢، والعقائد الإسلامية : لسيد سابق ، ص ١٦٨، والعقائد الإسلامية : للميدانى : ص ٥٦٦، ٥٦٧، وكتاب الأسفار المقدسة قبل الإسلام : د. صابر طعيمة ، ص ٢٥٥ ومابعدها، وكتاب إظهار الحق : ١/ ٢٠٥.

أما إنجيل مرقـــس : فقد اتفق النصارى على أن هذا الإنجيل قد كتب باللغة اليونانية بعدرفع المسيح بما لايقل عن ثلاث وعشرين سنة ، وقد اختلفوا فيمن كتبه على وجـــــه التحـــديد :

فقال فريق منهم : إن الذى كتبه بطرس ، ولكنه نسبه إلى تلميذه " مرقس ".

وقال فريق آخر : إن مرقس كتب إنجيله بعد موت " بطرس" ، وقد خالف أصحابه الثلاثـه فى مسائل كثيرة[1] .

فمن هنا : نرى وقوع الشك عند مؤرخيهم فى تعيين كاتب هذا الإنجيل بشكل جازم .

أما إنجيل لوقا : "لوقا" هو الرفيق الملازم لـ (بولس)[2] ، اتفق مؤرخو المسيحية علـــى أن هذا الإنجيل كتب باللغة اليونانية، بعد عشرين سنة من رفع المسيح فهو لم يدركـــه ولا رآه أبداً ، وكان تنصره على يد" بولس الإسرائيلى" ، وقد كتبه بعد ماحرر" مرقـــس" إنجيله ، ويعلن فى افتتاحية إنجيله بأنه رسالة إلى صديقه " ثاوفيليس " وهو يقتبـــس كثيراً من إنجيل مرقس ـ فبهذا نرى أن الباحثين اختلفوا فى شخصية كاتبه وفى صناعته، وفى القوم الذين كتب لهم ، وفى تاريخ تأليفه[3] .

---

(١) انظر كتاب مايجب أن يعرفه المسلم عن النصرانيه : ص ٤١ - ٤٣، وكتاب محاضرات فى النصرانية : ص ٤٦، ٤٧، وتحفه الأريب : ص ٦٥، ٦٦، والعقائد الإسلامية للميداني، ص ٥٦٧ - ٥٦٩، والأسفار المقدسة قبل الإسلام :د صابر طعيمـــة، ص ٢٥٨ - ٢٦٠.

(٢) هو صاحب الشأن الخطير فى تحريف الديانة النصرانية عن أصولها الصحيحة وكان يهودياً ـ من الفرنسيين لم ير عيسى ، ولاسمعه يبشر الناس وكان اسمه (شاؤول)،وفى أول عهده من ألد الأعداء للمسيحين فقد أنزل بهم ألواناً من التعذيب،والقتل ، وفجأة دخـــل المسيحية (انظر تحفة الأريب : ص ٦٤ ومابعدها ، ومحاضرات فى النصرانية : ص ٧٠- ٧٩، والعقائد الإسلامية : للميداني، ص ٥٦٨، ٥٦٩، والموسوعة العربية الميســرة: ١/ ٤٤٠).

(٣) انظر كتاب تحفة الأريب ص ٦٤-٦٦، ومحاضـرات فى النصرانيـــة : ص ٤٨ ، ٤٩ والعقائد الإسلامية : للميدانــى، ص ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، والأسفار المقدسة قبل الإسلام : د. صابر طعيمة ، ص ٢٦١ ، ٢٦٢.

وأما إنجيل يوحنا : يقول جمهور النصارى : أن كاتب هذا الإنجيل هو"يوحنا الحوارى الصياد" الذى كان يحبه المسيح ، وقد نفي أيام الاضطهاد الأولى ، ثم عاد إلى افسس[1] ولبث يبشر فيها حتى توفي شيخاً هرماً ، وقد ألف إنجيله باللغة اليونانية ، ولايوجد اتفاق فى السنة التى كتب فيها ، على أن كثيراً من المحققين النصارى أنكروا كون هذا الإنجيل من وضع الحوارى، ونسبوا تأليفه إلى طالب من طلبة المدرسة الاسكندرانية ، وكتاب النصارى يجمعون،أو يكادون على أن الإنجيل المنسوب إليه كتب لإثبات ألوهية المسيح التى اختلفوا فى شأنها لعدم وجود نص فى الإناجيل الثلاثة السابقة[2] .

جاء فى كتاب " تحفة الأريب " مانصه : (فهؤلاء الأربعة هم الذين كتبوا الأناجيل الأربعة وحرفوها ، وبدلوها ، وكذبوا فيها ، وماكان الذى جاء به المسيح إلا إنجيلاً واحداً لاتدافع فيه ، ولا اضطراب ، ولا اختلاف)[3] .

ثم ذكر نماذج لكذبهم فى تلك الأناجيل[4] .

---

(١) ميناء مدينة إغريقية قديمة على شاطئ آسيا الصغرى (انظر الموسوعة العربية الميسرة: ١/١٧٩).

(٢) انظر محاضرات فى النصرانية : ص ٤٩ - ٥٤، وتحفة الأريب : ص ٦٦، والعقائد الإسلامية : للميدانى، ص ٥٦٩ - ٥٧١، والأسفار المقدسة قبل الإسلام د. صابر طعيمة ص ٢٦٢ - ٢٦٦.

(٣) لمؤلفه : القس : انسلم تورميدا ، ص ٦٧.

(٤) انظر المرجع نفسه : ص ٦٧ - ٦٩ .

٣ - من البراهين القاطعة على وقوع التحريف فيها ماتتضمنه من العقائد الفاسدة كالتثليث(١) ، والصلب (٢) ، والإدانة(٣) وغيرها .

وبهذا نستلخص : أن الأناجيل الموجودة الآن بأيدى النصارى ليست هى الإنجيل الذى أنزل على عيسى لتعددها ، وتناقضها .

---

(١) ويقصدون به أن طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية : الله الآب ، والله الابن ، والله روح القدس، وقد سادت هذه العقيدة بسلطة الامبراطور، وقد عقد بمجمع نيقة سنة ٣٢٥م لكن القول بالتثليث لم يكتمل تماماً فى هذا المجمع لأنه أله الآب، والابن فقط ، أما روح القدس فقد أله فى مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م (انظر الجواب الصحيح : ٢/٩٠ ومابعدها ، ومحاضرات فى النصرانية : ص ١٠٠ ، والأسفار المقدسة فى الأديان السابقة على الإسلام : د. على عبدالواحد وافى، ص ١٢٠، ١٣١، والأسفار المقدسة قبل الإسلام : د. صابر طعيمة، ص ٢٢٥، وتحفة الأريب: ص ٧٨ - ٨٤).

(٢) وخلاصته تتضح فى قولهم : إن صفة المحبة من صفات الله ؛ لأن الأناجيل تصرح بأن الله محبة ومقتضى صفة المحبة أن يدبر الله الخلاص للعالم الذى ابتعد عنه بسبب وقوع آدم فى الخطيئة ، وهنا تضاربت مزاعمهم بين صفة المحبة، وصفة العدل ، ولأجل ذلك أرسل الله ابنه الوحيد ليقوم بدور الوساطة بين المحبة والعدل ، وذلك بأن يظهر للعالم بشكل إنسان ثم يصلب ليكفر تلك الخطيئة التى ورثوها من آدم (انظر الأسفار المقدسة قبل الإسلام : د. صابر طعيمة، ص ٢٤٧، ومحاضرات فى النصرانيه :ص ١٠٦ ومابعدها) .

(٣) حيث يزعم النصارى أن المسيح يمكث فى قبره بعد الصلب ثلاثة أيام، ثم يقوم من قبره ويمكث أربعين يوماً يرتفع بعدها مباشرة إلى السماء، ويجلس بجوار أبيه ثم يأتى يوم القيامة فيحاسب كل إنسان (انظر محاضرات فى النصرانية : ص ١٠٩).

موقف الإسلام مما وقع من التحريف والتبديل في التوارة، والإنجيل :-

لا يصح الاعتقاد بأى كتاب من كتب العهدين القديم، والجديد [1] الموجودة الآن أن كل مافيها وحي من عند الله ؛ لأنها تفقد وسائل صحة النسبة إلى الله تعالى ، فما جاء فيهما نعرضه على الكتاب والسنة ، فإن حكما بصدقه صدقناه ، وإن حكما بكذبه كذبناه، وإن سكتا عنه فإنا نسكت عنه فلا نصدق ،ولانكذب لاحتمال الصدق، والكذب فيه، ويدل على هذا ماروى البخارى بسنده عن أبى هريرة قال : كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لاتصدقوا أهل الكتاب ولاتكذبوهم ، وقولوا " آمنا بالله وما أنزل إلينا ، وما أنزل إليكم" [2] .

---

(١) ملحوظة : يطلق النصارى اسم " العهد القديم" ويعنون به أسفار التوراة الخمسة، وسائر كتب أنبياء بنى إسرائيل ، ويطلقون : اسم" العهد الجديد" على الأناجيل الأربعة ويعتبرونها أسفاراً تاريخية، ويضم إليها سفر أعمال الرسل ، ورسائل بولس الأربعة عشر ، ورسالتان لبطرس الرسول ، ورسائل يوحنا الثلاث، وسفر يسمونه بالسفر النبوى وهو سفر يوحنا اللاهوتى . (انظر الأسفار المقدسة قبل الإسلام: د . صابرطعيمة، ص٢٥٣، والعقائد الإسلامية : للميدانى، ص ٥٥٩ - ٥٧٤، والموسوعة العربية الميسرة: ١٢٤٥/٢)

ملحوظة : هناك إنجيل خامس هو"إنجيل برنابا"، لاتعترف بهالكنيسة، لأنه تضمن إثبات أن عيسى عبدالله ورسوله، وينكر ألوهيته، وكونه ابن الله، ويثبت أن الذبيح من ولد إبراهيم هو إسماعيل ، ويبشر برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، ويثبت أن المسيح لم يصلب ، بل رفع إلى السماء وأن الذى صلب هو"يهودا الاسخريوطى"، كما أنه يثبت كثيراً من الأصول الاعتقادية المتفقه مع أصول الشرائع الربانية(انظر محاضرات فى النصرانية : ص ٦٤ - ٦٧، والعقائد الإسلامية : للميدانى، ص ٥٧٤ - ٥٧٦).

(٢) صحيح البخارى : كتاب الاعتصام ، باب قول النبى : " لا تسألوا أهل الكتاب عن شئ ١٦٠/٨، وفى كتاب الشهادات ، باب " ٢٥" ، وفى كتاب التفسير سورة "٢" وفى كتاب التوحيد ، باب "٥١".

وقد كشف القرآن حقيقة التحريف،والتبديل فى التوراة ، والإنجيل ويتضح ذلك فيما يلى :-

أ - التحريف الذى وقع فى التوراة يدل عليه قوله تعالى :" أفتطمعون أن يؤمنوا لكم، وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعدما عقلوه وهم يعلمون"(١) ، وقوله تعالى : " فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ، وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه"(٢) .

وقوله تعالى :" من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويقولون : سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعناً ليّاً بألسنتهم وطعناً فى الدين"(٣) .

ب - التحريف الذى أدخله النصارى على الإنجيل يدل عليه قوله تعالى :" ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظّاً مما ذكروا به فأغرينا بيهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ، وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون"(٤) .

فقوله " فنسوا حظّاً " المراد به الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ، أى: لم يعملوا بما أمروا به ، وجعلوا ذلك الهوى،والتحريف سبباً للكفر بمحمد(٥) صلى الله عليه وسلم،ومن التحريف الذى افتراه النصارى ما أخبرنا الله به من تأليه جماعة منهم المسيح ابن مريم قال تعالى :" لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم"(٦) ، وقال تعالى :" لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد"(٧) ثم بين القرآن العقيدة الصحيحة فى عيسى، وأمه،قال تعالى :" ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام أنظر كيف نبين لهم

(١) سورة البقرة : آية (٧٥) .
(٢) سورة المائدة : آية (١٣) .
(٣) سورة النساء : آية (٤٦) .
(٤) سورة المائدة : آية (١٤)
(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن : ٦/١١٧، ١١٨ .
(٦) سورة المائدة : آية (٧٢) .
(٧) سورة المائدة : آية (٧٣) .

الآيات ، ثم انظر أنّى يؤفكون "(١) .

جـ - من التحريفات التى أدخلها اليهود ، والنصارى فى دينهم: مازعمه اليهود من أن العزير ابن الله ، ومازعمه النصارى أن المسيح ابن الله،قال تعالى :" وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم"(٢) .
فصحح القرآن هذا الانحراف الذى صنعوه بأيديهم فبين تعالى أنه منزه عن أن يكون له ولد ، قال تعالى :" لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد"(٣) .

وعلى أى اعتبار فقد نسخت الشريعة المحمدية جميع الشرائع السابقة، ولاتنفعهم دعواهم أن الرب محجور عليه النسخ لاستلزامه البداء فى زعمهم وهو محال على الرب، وجعلوا هذه الدعوى الباطلة ترسًّلهم فى جحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم(٤) .

وقد أكذبهم الله تعالى فى قوله :" كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ماحرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ، قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين"(٥) ، فبينت هذه الآية كذبهم صراحة فى إبطال النسخ حيث أخبر تعالى أن الطعام كله كان حلالاً لبنى إسرائيل قبل نزول التوراة سوى ماحرم إسرائيل على نفسه ، ومعلوم أن بنى إسرائيل كانوا على شريعة أبيهم إسرائيل وملته،وأن الذى كان حلالاً إنما هو بإحلال الله تعالى له على لسان إسرائيل والأنبياء بعده إلى حين نزول التوراة ، ثم جاءت التوراة بتحريم كثير من المآكل عليهم والتى كانت حلالاً لبني إسرائيل وهذا محض النسخ .(٦)

---

(١) سورة المائدة : آية (٧٥).
(٢) سورة التوبة : آية (٣٠).
(٣) سورة الإخلاص : آيتا :(٣، ٤).
(٤) انظر إغاثة اللهفان : ٣٢٠/٢، ٣٢١.
(٥) سورة آل عمران : آية (٩٣).
(٦) انظر إغاثة اللهفان : ٣٢١/٢.

ويقال لهم : هل رفعت التوراة شيئاً من أحكام الشرائع المتقدمة أم لا ؟ فإن قالوا : لا فقد جاهروا بالكذب ، والبهتان ، وإن قالوا : رفعت بعض الشرائع المتقدمة فقد أقروا بالنسخ قطعاً . (١)

ومما يدل أيضاً على أن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ناسخه لجميع الشرائع السابقة ماروى مسلم بسنده عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " والذى نفس محمد بيده لايسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى، ولانصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار"(٢) .

محاولات النصارى ، والشيعة لتحريف القرآن :-

عقد ابن تيمية فصلاً بين فيه محاولة النصارى لتحريف القرآن ، ثم رد عليهم(٣) .
وكذلك الشيعة كعادتهم الشاذة يحاولون قلب الحقائق، وتلبيس الحق بالباطل فقد امتدت أيديهم إلى تحريف القرآن الكريم وقد ذكر فى كتاب الشيعة،وتحريف القرآن فى الباب الثانى : تحريف اثني عشر عالماً من علمائهم للقرآن (٤) .

كما ذكر فى الباب الثالث نماذج من تحريفات الشيعة للقرآن(٥) ، نذكر مثالاً منها : ذكر فى النموذج التاسع : (عن أبى عبدالله عليه السلام :"إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى فى علي "(٦)). فهم زادوا كلمة : " فى علي ".

(١) انظر المصدر نفسه : ٣٢٢/٢.
(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ، ونسخ الملل بملته ٩٣/١.
(٣) انظر الجواب الصحيح :١٣٨/٢ - ١٤١.
(٤) لمؤلفه : محمد مال الله ، وانظره من ص ٥٥ - ١١٧، وكتاب بطلان عقائد الشيعة : لمحمد عبدالستار التونسوى ، ص ٢٣ - ٤٥.
(٥) انظر الشيعة،وتحريف القرآن : ص ١١٧ - ١٦٣.
(٦) المصدر نفسه : ص ١٢٢، نقلاً عن كتاب فصل الخطاب : للنورى ، ص ٢٠٧.

ويزعمون : أن أبا بكر ، وعمر ، وعثمان حرفوا القرآن ، وأسقطوا كثيراً من الآيات والسور التى نزلت فى فضائل أهل البيت ، ويدعون من جملة ما أسقطوه من سورة ألم تشرح" وجعلنا علياً صهرك"[1] .

وهناك سورة عندهم يسمونها سورة الولاية يزعمون : أنه ذكر فيها فضائل أهل البيت.[2]

جاء فى كتاب الوشيعة أن : (القول بتحريف القرآن الكريم بإسقاط كلمات،وآيات قد نزلت ، وبتغيير ترتيب الكلمات ، والآيات ، أجمعت عليه كتب الشيعه وأخبار التحريف مثل أخبار الإمامة متواترة عند الشيعة)[3] .

ويرون مع هذا أن القرآن الذى نزل به جبريل على محمد سبعة آلاف آية.[4]

واما الباطنية[5] منهم : فإنهم يقولون فى القرآن : إنه كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، وإن

---

(١) انظر مختصر التحفه الاثنى عشرية : ص ٣٠، ٥٠.

(٢) انظر المرجع نفسه : ص ٣٠، وكتاب الشيعة وتحريف القرآن :ص ١١٩.

(٣) لموءلفه : موسى جار الله ، ص ١٠٤.

(٤) انظر الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة : ص ١٠٤.

(٥) ولهم عدة ألقاب منها : الإسماعيليه، والباطنيه، والقرامطه، والسبعيه، والخرمية،والبابيه، والمحمره، والتعليمية، والقرمطية، والخرمديه، والمزركية ومن أشهر ألقابهم الباطنية، ولزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويل، والباطنية القديمة خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة، وصنفوا كتبهم على هذا المنهاج .
وظهرت دعوة الباطنيه فى أيام المأمون من حمدان قرمط، ومن عبدالله بن ميمون القداح وليست الباطنية من فرق الإسلام.
ولهم حيل تسع:وهى : الزرق ، والتفرس، ثم التأنيس، ثم التشكيك، ثم التعليق، ثم الربط، ثم التدليس، ثم التأسيس، ثم الخلع، ثم المسخ (انظر الفرق بين الفرق :ص٢٢ ، ٦٣ ، والملل والنحل : ١/١٩٢، و كتاب بيان مذهب الباطنية وبطلانه :ص٣ومابعدها وتاريخ المذاهب الإسلامية :ص٥٤-٥٧، والعقائد الباطنيه : د.صابر طعيمه، ص١١ ومابعدها).

تركيب حروفه ومعانيه حصلت بالفَيْض من النفس الكلية إلى نفس النبى الجزئية ، فصاغ هـذه الكلمات ، وليس بكلام الله عندهم فى الحقيقة ، ويقولون : إنه يجوز فيه الزيادة ، والنقصان ، وإن له باطناً يخالف ظاهره[1] .

وقد ذكر ابن تيميه فى تفسير الرافضه لقوله تعالى :" مرج البحرين يلتقيان، بينهما برزخ لايبغيان "[2] ، قالوا : بينهما برزخ : علي،وفاطمة ، وقالوا : يخرج منهما اللوءلوء والمرجان : أي الحسن ، والحسين ، ثم رد عليهم بأن هذا وأمثاله إنما يقوله من لايعقل مايقول ، وهذا بالهذيان أشبه منه بتفسير القرآن ، وهو من جنس تفسير الملاحدة، والقرامطة ، والباطنية للقرآن ثم ذكر جملة من تفسيراتهم الباطلة للقرآن[3] .

وقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ كتابه من التحريف،قال تعالى:"إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"[4] ، وقال تعالى " لايأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه"[5] .

فريـة القول بخلق القرآن :-

وقد قال بذلك المعتزلة، والخوارج ، وأكثر الزيدية ، والمرجئة ، والرافضة[6] وقد

---

(١) انظر كتاب بيان مذهب الباطنية وبطلانه : لمحمد بن حسن الديلمى : ص ٣٦.
(٢) سورة الرحمن : آيتا (١٩ ، ٢٠).
(٣) انظر منهاج السنة النبوية : ٦٦/٤ ومابعدها .
(٤) سورة الحجر : آية (٩).
(٥) سورة فصلت : آية (٤٢).
(٦) انظر مقالات الإسلامين :ص٥٨٢ ، والفرق بين الفرق :ص١١٤ ، والتبصير فى الدين :ص٦٤ ، والملل والنحل :٤٥/١ ، ومنهاج السنة النبوية :٢٣/١ ، ٢٢٢ ، وتاريخ المذاهب الإسلامية : ص ١٤٩.
وقال عبدالله بن كلاب:إن القرآن الذى يتلى عبارة عن كلام الله ، وهو معنى قائم بالنفس (انظر مقالات الإسلاميين : ص ٥٨٤ ومابعدها) .
وقد نقل الأشعرى مقالات الناس فى القرآن هل عرض أوجسم، وهل هو الحروف،والأصوات، وهل محدث أوقديم بالتفصيل (انظر مقالات الإسلاميين : ص ٥٨٢ -٦١١) ، كما ذكر ابن تيمية أقوال الناس فى مسألة الكلام، وحصرها فى سبعة أقوال (انظر منهاج السنة النبوية : ٢٢١/١).

اقترنت تلك المسألة بتاريخ المعتزلة ، فهم أثاروها فى العصر العباسي ، وبرأيهم حاول الخليفة المأمون حمل الفقهاء ، والمحدثين على القول بها ، ونزل بأولئك مانزل من شدائد ، وقد شغلت أفكار الناس فى عصور ثلاثة من خلفاء بنى العباس[١] ، وهذه المسألة أسبق فى الوجود من عصر الخلفاء الثلاثة من بنى العباسى فقد قالها الجعد بن درهم[٢] والجهم بن صفوان[٣].

وقد قام العلماء برد هذه الفرية فقد قال عبدالعزيز الكنانى[٤] فى مقدمة كتابه : (اتصل بى ماقد أظهره بشر بن غياث المريسى[٥] ببغداد من القول بخلق القرآن وغيره ، ودعا الناس إلى موافقته على قوله ومذهبه ، وتشبيهه على أمير المؤمنين المأمون ، وعامة أوليائه ، وماوقع فى الناس من المحنة ، والأخذ فى الدخول فى الكفر ، والضلالة ، ورهبة الناس وتخوفهم من مناظرته ، وإحجامهم عن الرد عليه بما يكسر به قوله ، وتدحض به حجته ، ويبطل به مذهبه)[٦] ، وذكر فى آخر الكتاب أن الله أخبرنا فى كتابه بخلق الإنسان فى ثمانية عشر موضعاً ، وذكر القرآن فى أربعة وخمسين موضعاً فلم يخبر عن خلقه فى موضع منها ، ولا أشار إليه بشيء من صفات الخلق[٧].

---

(١) هم المأمون ، والمعتصم ، والواثق .

(٢) عداده فى التابعين مبتدع ضال زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولم يكلم موسى فقتل بالعراق يوم النحر(انظر ميزان الاعتدال : ١/٣٩٩) .

(٣) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية : محمد أبوزهرة ص ١٤٩ ومابعدها .

(٤) هو عبدالعزيز بن يحى بن عبدالعزيز الكنانى المكي الذى ينسب إليه "الحيدة" فى مناظرته لبشر المريسي ، كان يلقب بالغول لدمامته ، وقد أنكر الذهبى نسبة كتاب الحيدة إليه (انظر ميزان الاعتدال : ٢/٦٣٩) .

(٥) مبتدع ضال ، أتقن علم الكلام ، وقال بخلق القرآن ، وناظر عليه ، وكان والده يهودياً قصاباً مات بشر سنة ٢١٨هـ (انظر ميزان الاعتدال : ١/٣٢٢ ، ٣٢٣) .

(٦) الحيدة : ص ٣ .

(٧) انظر الحيدة : ص ٨٠ .

وقد رد عليهم أيضاً الامام أحمد ، فذكر شبهاتهم ثم نقضها ، فمن شبهاتهم : قوله تعالى :" الله خالق كل شيء"(١) ، فقالوا : إن القرآن شيء فيكون مخلوقاً ، ورد عليهم : بأنه سبحانه لم يسم كلامه فى القرآن شيئاً ، إنما سمى شيئاً الذى كان يقوله ، وقد قال تعالى :" تدمر كل شيء"(٢) وقد أتت الريح على أشياء لم تدمرها منها :منازلهم ، والجبال ، فكذلك هنا لايعنى نفسه ، ولاعلمه ، ولا كلامه مع الأشياء المخلوقة(٣) .

وقد ساق اللالكائى الأدلة من الكتاب ،والسنة ،وأقوال الصحابة ،والتابعين ،وأتباع التابعين فى أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، وتكفير من قال : لفظى بالقرآن مخلوق ، أوتوقف شاكاً فيه(٤) .

كما ذكر أبو الحسن الأشعرى : أن القرآن كلام الله تعالى منزل غير مخلوق ، وساق الأدلة على ذلك(٥) .

كما بين ابن بطة فى كتابه الشرح ، والإبانة : أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، ووضح حكم من توقف فيه(٦) .

---

(١) سورة الزمر : آية (٦٢) .
(٢) سورة الأحقاف : آية (٢٥) .
(٣) انظر كتاب الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن :ص٥٣ ومابعدها
(٤) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة :٢/٢١٦ - ٣٦٨ .
ملحوظة : ذهب الحلولية من الجهمية ، وغلاة الصوفية إلى أن كل كلام فى الوجود كلام الله نثره ، ونظمه (انظر منهاج السنة : ١/٢٢٣) .
وعند الفلاسفة : أن القرآن فيض فاض من العقل الفعال على قلب بشر زاكي النفس طاهر متميز عن النوع الإنسانى بعدة خصائص (انظر منهاج السنة النبوية : ١/٢٢١ وشرح العقيدة الطحاوية : ص ٢٤٤) .
(٥) انظر الإبانة : ص ٨٧ - ١٠٥ .
(٦) انظر الشرح والإبانة : ص ١٨٤ - ١٨٧ .

وإلى جانب الإيمان بالقرآن يجب علينا الإيمان بالكتب الأخرى المنزلة من السماء[1].

والحق : أن القرآن كلام الله حقيقة منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود ، وأن الكلام ينسب إلى من قاله مبتدئاً لا إلى من قاله مبلّغاً فتبليغ جبريل للرسول صلى الله عليه وسلم، وتبليغ الرسول للناس بذلك لايخرجه عن كونه كلام الله حقيقة ، كما أن قراءة الناس له لاتخرجه عن ذلك، والأدلة متظافرة على أنه منزل غير مخلوق قال تعالى :"إنا أنزلناه فى ليلة القدر"[2].

قال ابن تيمية : (وبالجملة أهل السنة والجماعة أهل الحديث ومن انتسب إلى أهل السنة والجماعة..... يقولون : إن الكلام غير مخلوق وهذا هو المتواتر عن السلف)[3].

ولا يخفى أن الأقوال الأخرى عارية عن الأدلة ، أو شبهات لاتصمد أمام الحق .

---

(١) ومن تلك الكتب :-

١- الزبور، وقد أنزل على داود قال تعالى :"وآتينا داود زبوراً" سورة النساء : آية (١٦٣) ، وسورة الإسراء : آية (٥٥) .

٢- صحف إبراهيم، وموسى قال تعالى : "إن هذا لفى الصحف الأولى ، صحف إبراهيم وموسى" (سورة الأعلى : آيتا (١٨، ١٩) ، وقال تعالى :" أم لم ينبأ بما فى صحف موسى ، وإبراهيم الذى وفي" (سورة النجم : آيتا (٣٦، ٣٧)).

وأما الكتب الأخرى التى أنزلت على الرسل مما لم يخبرنا الله عن أسمائها ، وأخبرنا أنه أنزل على رسله كتب فنؤمن بها إجمالاً ، ولا يجوز لنا على الاطلاق أن ننسب إلى الله كتاباً لم ينسبه إلى نفسه، قال تعالى :" كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ، ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه" (سورة البقرة : آية "٢١٣")

كما يجب علينا الإيمان بهذه الكتب وأنها نزلت بالحق ، وأن ما نسب إليها مما يخالف ماجاءت به الرسل إنما هو من صنع البشر ، وتحريفهم .

(٢) سورة القدر : آية (١).

(٣) منهاج السنة النبوية : ٢٢١/١.

مواطن الانحراف فيما يتعلق بالقرآن الكريم من حيث إعجازه ، ومصدره :

وجوه إعجاز القــرآن

قيل : نظمه العجيب في البلاغة والفصاحة الخارجة عن العادة[1].

وقال النظام من المعتزلة : الآية،والأعجوبة في القرآن مافيه من الأخبار عن الغيوب فأمـــا التأليف ، والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن منعهم بمنع ، وعجز عـــن إحداثه فيهم[2] .

والحق أنه لاوجه لمن قال : بأن إعجازه بالصرفة[3] ، وذلك باطل من عدة وجوه منها :

أ - أن دواعي المعارضة قائمة ، وقد حصل أن حاول بعض المتنبئين معارضته ولكنهـــم لم يفلحـــوا .

ب - أن الرسول صلى الله عليه وسلم تحدّاهم أن يأتوا بمثله كاملاً ، أوبعشر سور،أوبسورة مثله ، قال تعالى :"قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات"[4] ، وقال تعالى :" قل فأتوا بســـورة مثلـه"[5] .

جـ - أن القرآن جادلهم في إبطال معتقداتهم السابقة فكيف لايحركهم ذلك التحـــــدي ، والاستفزاز[6] .

---

(١) انظر أصول الدين : للبغدادي ، ص ١٨٣، والمواقف : ص ٣٤٩.

(٢) انظر مقالات الإسلاميين : ص ٢٢٥، وأصول الديـن : للبغدادي، ص ١٨٤ ، والمواقف : ص٣٥٠.

(٣) أي صرف العرب عن الإتيان بمثله ، لا أنهم عجزوا (انظر المواقف : ص ٣٥٠، ٣٥٢، ولوامع الأنوار : ١٧٤/١، ومناهل العرفان : ٣١٠/١).

(٤) سورة هود : آية (١٣).

(٥) سورة يونس : آية (٣٨).

(٦) انظر التفسير الكبير : ١١٥/٢ ، ١١٦، ومناهل العرفان : ٣١١/١.

د - كونهم يرمون القرآن مرة بأنه كهانة ، ومرة بأنه قول ساحر ، ومرة بكونه أساطير الأولين يدل على عجزهم،وتخبطهم مما جعلهم يسلكون هذا الأسلوب بالشتائم، والتهم .

والإيجي : يرجح كونه معجزاً ببلاغته حيث قال : (وإنا نختار أنه معجز ببلاغته) [١] .

ثم رد على شبه المانعين [٢] .

قلت : والصحيح : أن القرآن معجز من جميع النواحي، إذ لادليل على التخصيص على على ماذكر من أن إعجازه من ناحية نظمه ، وبلاغته ، وفصاحته .

شبهة من قال ببشرية القرآن [٣] :-

زعم بعض المنحرفين عن طريق الاستقامة أن محمداً لقي بحيرا الراهب [٤] وتعلم منه ، وماتلك العلوم التى فى القرآن إلا منه،أو من ورقة بن نوفل [٥] .

وهذه الشبهة باطلة من وجوه منها :-

١ - أنها دعوى بلا دليل ، وكل دعوى خلت من الدليل فهي باطلة ، وإلا فما الذى سمعه محمداً من بحيرا الراهب ؟ .

---

(١) المواقف : ص ٣٥٣.

(٢) انظر المصدر نفسه : ص ٣٥٣.

(٣) وهذه الشبهة تتعلق بمصدر القرآن ، والمفهوم الصحيح أن القرآن وحي من الله كما يدل على ذلك قوله تعالى:" إنا أنزلناه فى ليلة القدر" وغيرها من الأدلة، لا أنه من كلام البشر كما يزعمه المستشرقون وغيرهم من الملاحدة .

(٤) راهب نصراني له صومعة فى بصرا من أعمال الشام على طريق القوافل وقد عرف الرسول صلى اله عليه وسلم ببعض ملامحه(انظر السيرة النبوية: لابن هشام ١/١٩١-١٩٤، ١٩٩).

(٥) هو ابن عم خديجة بنت خويلد ، تنصر ، وألم بالتوراة ، والإنجيل ، بشر ببنوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، توفى فى السنة الثالثة للبعثة (انظر السيرة النبوية : لابن هشام ١/١٦٤، ١٦٥، ٢٠٣).

٢ - أن التاريخ لايذكر أنه صلى الله عليه وسلم سافر إلى الشام فى تجارة مرتين ، وكل ماهنالك أن بحيرا رأى سحابة تظله صلى الله عليه وسلم فذكر لقومه أن هذا الغلام سيكون له شأن .

٣ - أن طبيعة الدين الذى ينتمى إليه بحيرا الراهب ، وورقة بن نوفل تأبى أن تكون مصدراً للقرآن، ومعجزاته خصوصاً بعد ما أصاب ذلك الدين من تحريف ، وتبديل .

٤ - أن الدليل قائم ، وثابت بأن خديجة ذهبت بالنبى صلى الله عليه وسلم حين بدأه الوحى إلى ورقة ، ولما قص عليه قصته قال : هذا هو الناموس الذى أنزل على موسى [1].

٥ - أن الشريعة الإسلامية ناسخة لجميع الشرائع السابقة فلو كان محمد أخذ ذلك من بحيرا لما حصلت المغايرة بينهما .

---

(١) انظر مناهل العرفان : ١/٣١٧ - ٣٢٤.

المبحث الرابع : الانحراف في مفهوم الإيمان بالأنبياء ، والرسل (١) ، وعلاجه في الإسلام:

المفهوم الصحيح للإيمان بالأنبياء ، والرسل :-

هو الاعتقاد الجازم بأن لله أنبياء ، ورسلاً أرسلهم مبشرين ، ومنذرين ، وهادين ومرشدين ، يبلغون ما أنزل الله إليهم من ربهم أكمل بلاغ، وأرسلهم بأوامره، ونواهيه زيادة على ما اقتضته العقول من واجباتها ؛ لأنها لاتستقل بمعرفة ذلك فإن الناس بنظرهم لا يدركون كل مصالحهم بأنفسهم .

والمنحرفون عن ذلك المفهوم الصحيح يمكن تقسيمهم إلى الفرق التالية :-

الفرقة الأولى : المنكرون للنبوات أصلاً وهم ثلاثة أصناف:-

١ - ملحدة دهرية : يقولون : بقدم العالم، وتدبير الطبائع فهؤلاء منكرون للرسل من باب أولى (٢).

---

(١) النبي في اللغة : مشتق من نبأ المهموز وهو مأخوذ من النبأ وهو الخبر.
وقيل : أعظم من الخبر .
وغير المهموز يحتمل وجهين :الأول :التخفيف بإسقاط همزته، والثاني :أن يكون من النَّبْوة وهي الرفعة وهي ماارتفع من الأرض(انظر لسان العرب: ١/١٦٢-١٦٤ مادة "نبأ") .
وأما الرسول لغة:فهو الذى يتابع أخبار الذى بعثه أخذاً من قولهم:جاءت الإبل رسلاً أى متتابعة(انظر لسان العرب :١١/٢٨١ - ٢٨٦ " مادة رسل") .
معنى النبي شرعاً :هو إنسان، ذكر، حر أوحى الله إليه بشرع سابق يبلغه من بعث فيهم من أهل ذلك الدين .
ومعنى الرسول شرعاً : إنسان، ذكر،حر أُوحي إليه بشرع، وأمر بتبليغه إلى المخالفين لأوامره من خلقه،والفرق بينهما : أن الرسول أخص من النبي فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسول .
(انظر شرح العقيدة الطحاوية : ص ٩٧، والتعريفات :ص ١١٥، ٢٥٨، وشرح الفقه الأكبر : ص ٢٠، ولوامع الأنوار البهية : ١/٢٤٩).
(٢) انظر أعلام النبوة : للماوردى ، ص ٢١.

٢ - براهمة مُوحِّدة : يقولون : بحدوث العالم، ويجحدون بعثة الرسل ، ويبطلون النبوات وهم المنسوبون إلى " بهرمن " صاحب مقالتهم ، وشذ فريق منهم فأدعى أنه آدم أبو البشر ، ومنهم من قال : هو إبراهيم ، ومن قال من هذه الفرقة الشاذه أنه أحد هذين فقد أقر بنبوتهما ، وأنكر نبوة من سواهما ، وجمهورهم على سوى ذلك وإنكار جميع النبوات[1] .

وهؤلاء أثبتوا التكليف من جهة العقول،والخواطر ، وأبطلوا الفرائض السمعية وزعموا : أن كل عاقل لايخلو من خاطرين أحدهما من قبل الله ، والآخر من جهة الشيطان يدعوه إلى معصية الخاطر الأول .

ووافقت القدرية البراهمة فى التكليف من جهة الخواطر ، وخالفوهم فى إجازة بعثة الرسل،والنظام قال : بأن الخاطرين كلاهما من قبل الله .

وهذا القول الذى قالت به البراهمة يوجب أن يكون العوام من عبدة الأصنام،والزنادقة[2] والدهرية ناجين من عذاب الآخرة .

كما يلزم من قال بأن التكليف من خاطرين التسلسل إلى مالا نهاية[3] .

وقد ألحق الإيجي ، الصائبة ، والتناسخية بالبراهمة فى إنكار النبوات[4] .

كما ذكر ابن القيم: أن المزدكية[5] ، والخرمية[6] لاتقر بالنبوات[7] .

(١) انظر المصدر نفسه: ص ٢١، ومفاتيح العلوم : للخوارزمي، ص ٥٥.

(٢) ذكر الخوارزمى أن الزنادقة هم المانوية، نسبوا إلى كتاب مزدك"زند" فقيل لهم: زندى، ثم أعربت الكلمة إلى زنديق (انظر مفاتيح العلوم:ص٥٦) .

(٣) انظر أصول الدين:للبغدادى، ص١٥٤-١٥٧، والملل والنحل:٢/ ٦٠، ٢٥٠، وتلبيس إبليس:ص ٧٦ومابعدها، والمواقف فى علم الكلام:ص ٣٤٤ ومابعدها .

(٤) انظر المواقف :ص ٣٤٤.

(٥) هم أصحاب مزدك وهو الذى ظهر فى أيام قباذ والد أنوشروان، وقولهم كالمانوية، إلا أن مزدك يقول: النور يفعل بالقصد، والاختبار، والظلمه على الخبط، (انظر الملل والنحل : ١/٢٤٩).

(٦) هم أتباع بابك الخرمي وهم من الإباجية، ظهر بجبل بناحية أذربيجان، واستباح هو واتباعه المحرمات، وقتلوا كثيراً من المسلمين، ثم قتل،وصلب بسر من رأى أيام المعتصم (انظر الفرق بين الفرق : ص ٢٦٦ - ٢٦٨).

(٧) انظر إغاثة اللهفان : ٢/٢٥٩، ٢٦٣.

٣ - الفلاسفة : يبطلوب النبوات ، وإن كانوا لايتظاهرون بذلك[1] إذْ أن النبوة عندهم كسبية[2] ، ويقولون : إن العلوم الربانية بعد كمال العلوم الرياضية يضعها من كملت رياضته إذا كان عليها مطبوعاً[3] .

ولابد أن تجتمع في النبى عندهم ثلاث خواص هى :-

أ - أن يكون له اطلاع على المغيبات .

ب - أن تظهر منه الأفعال الخارقة للعادة .

جـ - أن يرى الملائكة مصورة ، ويسمع كلامهم ، وحيًا ، ولا يستنكر أن يحصل له يقظته مايحصل للنائم فى نومه[4] ، فمن تحققت فيه قوة الحدس ، وقوة التخيل ، وقوة التصرف فى هيولى[5] العالم فهو نبى .

وقالوا : إن الفلسفة نبوة الخاصة ، والنبوة فلسفة العامة، وهي عندهم صنعة من الصنائع[6] .

وعندهم أن ماجاءت به الأنبياء ، والرسل من جنس الخطابه لايقصد منها تعريف الحقائق ، وأرادوا بخطابهم للناس، أن يعتقدوا الأمور بخلاف ماهي عليه، وهو من جنس الكذب لأجل مصلحة الناس ، وهم يعظمون محمداً صلى الله عليه وسلم، ويقولون : لم يأت للعالم ناموس أفضل من ناموسه .

---

(١) انظر أعلام النبوة : للماوردى ، ص ٢١.

(٢) انظر تلبيس إبليس : ص ٦٠، والرد على المنطقيين : ص ٤٤١ ومابعدها ، وإغاثة اللهفان : ٢٦٢/٢ ومابعدها ، والمواقف : ص ٣٣٧.

(٣) انظر أعلام النبوة : للماوردى : ص ٢١.

(٤) انظر المواقف : ص ٣٣٧، ٣٣٨، ولوامع الأنوار : ٢٦٨/٢.

(٥) هيولي كل جسم هو الحامل لصورته كالخشب للسرير، وإذا أطلق يعنى طينة العالم، وهو جسم الفلك الأعلى ومايحويه (انظر مفاتيح العلوم : ص ١٥٨).

(٦) انظر إغاثة اللهفان : ٢٦٢/٢.

وتعظمهم للأنبياء لأجل إقامة العدل الذى لاتقوم مصلحة العالم إلا بـــــه ، ولا يوجبون اتباع نبى بعينه ، فالنبى عندهم يشبه من بعض الوجوه أئمــــة المذاهب[١] .

وكان أرسطو زعيمهم مشركًا يعبد الأصنام ، وينكر النبوات [٢] .

وقد فند شيخ الإسلام ابن تيمية مزاعمهم[٣] .

شبهات المنكرين للنبوات أصلًا ، وعلاجها :-

هؤلاء الملاحدة ، ومن وافقهم فى إنكار النبوات لايجادلون إلا بالحجج العقلية المتضمنه نقض شبههم ،ولايجادلون بالأدلة النقلية لعدم اعترافهم بذلك ، وقد تنوعت شبههم ، ويمكن توضيح ذلك فيما يلى :-

أ - الشبهة الأولـــى :-

قالوا : إن الله قد أغنى عنها بما دلت عليه العقول ، من لوازم ماتأتى به الرســل وهذه الشبهة باطلة من وجهين :-

١- أنه لايمنع مادلت عليه العقول جوازًا أن تأتى بهالرسل وجوبًا ، ولو كان العقــل موجبًا لما امتنع أن تأتى به الرسل وجوبًا ، ولو كان العقل موجبًا لما امتنــع أن تأتى به الرسل تأكيدًا كما تترادف دلائل العقول على التوحيد ،ولا يمنــع من وجود بعضها وجود غيرها[٤] .

---

(١) انظر الرد على المنطقيين : ص ٤٤١ - ٤٤٤.

(٢) انظر إغاثة اللهفان : ٢/٢٥٩، ٢٦٣.

(٣) انظر الرد على المنطقيين : ص ٤٤٤ - ٤٤٩.

(٤) انظر أعلام النبوة : للماوردى : ص ٢١ ، ٢٢.

٢ ـ أنه لا تستغنى قضايا العقول عن بعثة الرسل من وجهين :-

أحدهما : أن قضايا العقول قد تختلف فيما تكافأت فيه أدلتها فانحسم ببعثه الرسل .

ثانيهما : أنه لامدخل للعقول استقلالاً فيما يأتي به الرسل من الأمور الغيبية من الوعد، والوعيد، والجنة ، والنار ، ومايشرعونه من أوصاف التعبد الباعث على التأله فلم يغنى عن بعثة الرسل .

ب ـ **الشبهة الثانية :-**

إن بعثة الرسل إلى من يعلم من حالهم أنهم لايقبلون منهم مابلغوه إليهم عبث يمنع من حكمة الله [1] .

وهذه الشبهة فاسدة من وجهين :

أحدهما : أنه ليس بعبث أن يكون منهم من لايقبله كما لم يكن فيما نصبه الله من دلائل العقول على توحيده عبثاً وإن كان منهم من لا يستدل به على توحيده، كذلك بعثة الرسل .

ثانيهما : أن وجود من يقبله فيهم على ذلك التعليل يصدق ببعثة الرسل [2] .

جـ ـ **الشبهة الثالثة :-**

قالوا : إن ماجاءت به الرسل مختلف ينقض بعضه بعضاً، وينسخ المتأخر ماشرعه المتقدم ، وقضايا العقول لاتتناقض فلم يرتفع بما يختلف .

---

(١) انظر أعلام النبوة : ص ٢٢.

(٢) انظر المصدر نفسه: ص ٢٢.

الجـــواب : بطلان هذا من وجهين :-

أحدهمـــا : أن ماجاءت به الرسل ضربان :-

١ - مالايجوز أن يكون إلاعلى وجه واحد وهو التوحيد، وصفات الرب،ونحوهما، فلـــم يختلفوا فيه .

٢ - مايجوز أن يكون من العبادات على وجه ، ويجوز أن يكون على خلافه ، ويجـــوز أن يكون في وقت ، ولايجوز أن يكون في غيره،وهذا النوع هو الذي اختلفـــت فيه الرسل لاختلاف أوقاتهم إما بحسب الأصلح ، وإما بحسب الإرادة وهـــذا في قضايا العقول جائز(١) .

ثانيهمـــا : أن قضايا العقول قد تختلف فيها العقلاء ، ولايمنع ذلك أن يكـــون العقل دليلاً،كذلك ما اختلف فيه الرسل لايمنع أن يكون حجة. (٢)

د - الشبهـــة الرابعـــة :-

أنه لا سبيل إلى العلم بصحة الغيبيات ، وأن ظهور ماليس في الطباع مـــن معجزاتهم ممتنع الطباع الدافعة لها .

والجـــواب : أن ذلك مردود من وجهين :-

أحدهمـــا : أن المعجزات من فعل الله فيهم فخرجت عن طباعهم .

ثانيهمـــا : أنهم لما تميزوا بخروجهم عن الطباع من الرسالة ، تميزوا بما يخرج عن عرف الطباع منالمعجزات (٣) .

---

(١) انظر أعلام النبوة : ص ٢٢ ، ٢٣ .
(٢) انظر المصدر نفسه : ص ٢٣.
(٣) انظر المصدر نفسه : ص ٢٣.

هـ - الشبهـــة الخامســـــة :-

أن مايظهرونه من المعجز الخارج عن العادة قد يوجد مثله فى الأحـــوال الشيطانية ، فليس ذلك من دلائل صدقهم، فكذلك المعجزات .

والجـواب : أن هذه الشبهة باطلة من وجهين :-

أ -أن الأحوال الشيطانيه تظهر لذوي العقول ، وتخفى على الجهال المغروريـــن فخالفت المعجزة التى تحير العقول .

ب - أن الأحوال الشيطانية ، والسحر تستفاد بالتعليم ، فيتعلمها من لايحسنهـــا فيصير مكافئاً لمن يحسنها ، ويعارضها بمثلها ، والمعجزة مبتكرة سالمة مـــن المعارضه[1] .

الأدلة على إثبات النبـوات :- من عدة وجوه منها :-

١ - أن الله منعـم على عباده بما يرشدهم إليه من المصالح ، ولما كان فى بعثـــة الرسل مالاتدركه العقول ، كان إرسالهم من عموم المصالح التى تكفل بها .

٢ - أن التعبد لايخلص إلا بالدين ، والدين لايصلح إلا بالرسل المبلغين عـــن الله مـراده .

٣ - أن العقول ربما تستكبر عن موافقه الأكفاء ، ومتابعة النظراء .

٤ - أن فى غيوب المصالح مالا يعلم إلا من جهة الرسل فاستفيد بهم مالا يستفـــاد بالعقل[2]؛ لأنه لايدرك الغيبيات باستغلاله عن النقل الصحيح القاطع .

---

(١) انظر أعلام النبوة : ص ٢٣، وتلبيس إبليس: ص ٧٧-٨٢، والمواقف فى علم الكلام: ص٣٤٤ ومابعدها .

(٢) انظر أعلام النبوة : ص ٢٣ ، ٢٤.

٥ - ثم إن حاجة البشر إلى إرسال الرسل ،وإنزال الكتب تستدعى ذلك ؛ فإن العقول لاتستقل بمعرفة أصول الدين ، وإدراكها على التفصيل فاقتضت رحمة اللـــه أن بعث الرسل به معرفين ، وإليه داعيــن (١) .

ومن هنا يتضح : أنه لايمكن أن يستغنى العقل عن الوحي أبداً كما زعمــت البراهمة،ومن وافقها باستغنائه عنه فهذا قول من أبطل الباطل ، فنحــن نــرى مدى ماقادتهم إليه عقولهم المنحرفة حتى عبدوا البقرة وقدّسوها ، كما عبــدوا غيرها ، فهنا اسقطتهم إلى الهاوية ، وأصبحوا حيارى ضالين عن طريـــق الهدايــة ، والاستقامــة .

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية : ص ٩ ، وزاد المعاد : ١/١٥، والعقيدة الإسلامية: للميدانى ، ص ٣٠٢ - ٣١٠ ، والرسل والرسالات :ص ٢٩ - ٤٠ .

الفرقة الثانية : الذين أقروا ببعض الأنبياء :-

وهـــم طوائـــــف :-

١ - طائفة : أقروا بنبوة آدم ، وإبراهيم عليهما السلام ، وأنكروا نبوة غيرهما .

٢ - صابئة واسط : أقروا بنبوة آدم ، وشيـث ، وأنكروا من بعدهما ، والصابئة الأولـى أقروا بإدريس عليه السلام .

٣ - اليهود : أقروا بتسعة عشر نبياً بعد موسى ، وبمن قبله من الأنبياء ، وأنكروا عيسى ، ومحمداً صلى الله عليه وسلم ، إلا العيسوية[1] منهم أقروا بنبوة محمد صلى اللـــه عليه وسلم إلى العرب خاصة[2] .

٤ - السامرة[3] : أقروا بنبوة موسى ، وهارون ، ويوشع ، ومن قبلهم من الأنبياء وأنكـروا من كان منهم بعد ذلك .

٥ - النصارى : أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم[4] .

شبهاتهم ،وعلاجها في الإســـلام :-

إذا تأملنا في شبه من أنكر بعض الأنبياء والرسل ، وأقر ببعضهم نجد أنها مجـرد ادعاءات ، وافتراءات لا أساس لها من الصحة لاعتقاد بعضهم أن الشرائع السابقة لم تنسخ ، أو يكون ذلك حسداً ، وحقداً ، وهذا واقع من حال اليهود وغيرهـم .

---

(١) ينسبون إلى عيسى الأصفهاني ، وقد ادعى النبوة في يهود أصفهان (انظر الملـل والنحل : ٢١٥/١ - ٢١٧ ، ومفاتيح العلوم : ص ٥٣) .

(٢) انظر أصول الدين : للبغدادي ، ص١٦٤ ، وتلبيس إبليس: ص ٨٥ ، والمواقف : ص٣٥٧ .

(٣) هم فرقة من اليهود يتقشفون في الطهارة أكثر من سائر اليهود ، وافترقت إلى فرقتيـن : كوستانية ، ودوستانية (انظر الملل والنحل: ٢١٨/١ ، ومفاتيح العلوم : ص ٥٣) .

(٤) انظر أصول الدين : للبغدادي ص ١٥٨ ، والملل والنحل : ١٨/١ ، ٤/٢ .

أما نسخ الشرائع السابقة ففيه تفصيل ، وبيان ذلك أن أصول الاعتقاد كالإيمان بالله لم تنسخ بل الرسل متفقة ، على الدعوة إلى الله،قال تعالى:" ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت"(١) .

فأخبر أن دعوة الرسل متفقة على إخلاص العبادة لله وحده، والكفر بالطاغوت أما الشرائع : فقد جعل الله لكلٍ شرعة ومنهاجاً كما قال تعالى :" لكلٍ جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً"(٢) .

وقد ذكر القرطبى: أن هذا فى الشرائع ، والعبادات ، وأصل التوحيد لا اختلاف فيه ثم إن شريعة محمد ناسخة لجميع الشرائع السابقة كما قال مجاهد فى تفسير الآية : إن الشرعة ، والمنهاج دين محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد نسخ به كل ما سواه(٣) .

وقد عالج الإسلام ذلك الانحراف فى التفرقة بين الرسل من حيث الإيمان بهم فى ضوء الحقائق التالية :-

أولاً : جعل الإيمان بالرسل الركن الرابع من أركان الإيمان الستة،قال تعالى:" آمن الرسول ، بما أنزل إليه من ربه،والمؤمنون كل آمن بالله،وملائكته،وكتبه،ورسله،لا نفرق بين أحد من رسله"(٤) .

فدل على أن من أنكر النبوات فهو كافر قطعاً ، قال تعالى :" قل آمنا بالله وماأنزل علينا ، وما أنزل على إبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون"(٥) وغير ذلك من الآيات التى تدل على وجوب الإيمان بالرسل ، والأنبياء جميعهم.

---

(١) سورة النحل : آية (٣٦).
(٢) سورة المائدة : آية (٤٨).
(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن : ٦/٢١١.
(٤) سورة البقرة : آية (٢٨٥).
(٥) سورة آل عمران : آية (٨٤).

ثانياً: يجب الإيمان بالرسل جميعهم[1] من غير تفريق : بينهم[2] ، وأن الكفر برسول واحد كفر بجميع الرسل، قال تعالى :"إن الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون : نؤمن ببعض ، ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً ، أولئك هم الكافرون حقاً"[3].

فمن آمن ببعض الرسل، والأنبياء دون بعضهم الآخر فهو كافر .

ويرد على اليهود، والنصارى المنكرين لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم بما يلى :-

١ - الاستدلال ببشارات ،وأخبار الرسل السابقين بصفاته،وانطباقها عليه تماماً[4]قال تعالى : " الذين يتبعون الرسول النبى الأمي الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة، والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث. . . . الآية"[5] .

وقال تعالى مخبراً عن عيسى :" ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا : هذا سحر مبين"[6] .

---

(١) وعدد الرسل كما حكى البغدادى: إجماع أصحاب التواريخ على أن أعداد الأنبياء عليهم السلام مائة وأربعة وعشرون ألفاً كما وردت به الأخبار الصحيحة أولهم آدم،وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم، وأجمعوا على أن الرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر كعدد الذين جاوزوا مع طالوت النهر ، وعدد أهل بدر، خمسة منهم أولي العزم وهم:نوح ،وإبراهيم وموسى ،وعيسى،ومحمد صلى الله عليه وسلم ، وخمسة منهم من العرب وهم هود، وصالح وإسماعيل،وشعيب ، ومحمد صلى الله عليه وسلم (انظر أصول الدين:ص ١٥٧ ومابعدها)

(٢) انظر لوامع الأنوار : ٢٦٣/٢ ومابعدها ، والرسل والرسالات :ص٢٤، ٢٥ ، لكن التفاضل بينهم ثابت بنص القرآن، قال تعالى:" تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض" (سورة البقرة : آية ٢٥٣).

(٣) سورة النساء : آيتا (١٥٠، ١٥١).

(٤) انظر العقائد الإسلامية: للميدانى ،ص٣٢٥-٣٣٧، والرسل والرسالات:ص١٦٢ -١٩٦.

(٥) سورة الأعراف : آية (١٥٧).

(٦) سورة الصف : آية (٦).

وكتبهم وإن كان دخلها التحريف، لكن فيها أشياء لم يدخلها التحريف منها البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد جاء في الباب الثالث،والثلاثين من سفر الاستثناء : (جاء الرب من سيناء ، وأشرق لنا من ساعير ، واستعلن من جبال فاران ومعه ألوف الأطهار) (١) .

وبدلائل البشارات آمن كثير من اليهود، والنصارى فقد أسلم النجاشي ملك الحبشة - وكان نصرانياً نسطورياً ، وقد أرسل له النبي صلى الله عليه وسلم كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام ، وأسلم عبدالله بن سلام ، ومخيريق وغيرهم كثير (٢) .

٢ - الاستدلال بالمسلك النوعي : وقد استدل به النجاشي؛فإنه لما استخبر الوفد عما يخبر به محمد صلى الله عليه وسلم ، واستقرأهم القرآن فقرؤه عليه قال: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة ، وكذلك استدل به قبله ورقة بن نوفل لما أخبره النبي صلى الله عليه وسلم بما رآه قال : هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى (٣) .

٣ - الاستدلال بالمسلك الشخصي :-

وقد استدل به هرقل ملك الروم ، روى البخاري بسنده عن عتبة بن مسعود أن عبدالله بن عباس أخبره أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في

---

(١) نقلاً عن إغاثة اللهفان : ٢/٢٦٣.
وجبال فاران هي جبال مكة بدليل أن إسماعيل سكن برية " فاران " (انظر سفر التكوين ، الاصحاح الحادي والعشرين ، فقرة ٢٠، ٢١، ص ٣١ من الكتاب المقدس)

(٢) انظر العقائد الإسلامية : للميداني ، ص ٣٣١ - ٣٣٧.

(٣) انظر شرح العقيدة الأصفهانية : لابن تيمية ص ٩٣ ومابعدها.
وفي الحديث الذي رواه البخاري بسنده عن عائشة " فقال له ورقة : هذا هو الناموس الذي أنزل على موسى..... الحديث" (صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي، ١/٣).

ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشام فى المدة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مادّ فيها أباسفيان ، وكفار قريش فأتوه وهم بإيلياء فدعاهم فى مجلسه ، وحوله عظماء الروم ، ثم دعاهم ، ودعا بترجمانه[1] فقال : أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبى؟ فقال أبوسفيان : فقلت أنا أقربهم نسباً ،فقال : أدنوه منى ، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره ، ثم قال لترجمانه : قل لهم إنى سائل هذا الرجل فإن كذبنى فكذبوه ، فوالله لولا الحياء من أن يأثروا على كذباً لكذبت عنه، ثم كان أول ماسألنى عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت : هو فينا ذو نسب، قال : فهل قال هذا القول منكم أحد قبله؟ قلت : لا ، قال : فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا ، قال : فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت : بل ضعفاؤهم ، قال : يزيدون أم ينقصون؟ قلت : بل يزيدون ، قال : فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا ، قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال؟ قلت : لا ، قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا ونحن منه فى مدة لاندرى ماهو فاعل فيها ، قال : ولم تمكنى كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة ، قال فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم ، قال : فكيف قتالكم إياه ؟ قلت : الحرب بيننا وبينه سجال ، ينال منا ، وننال منه ، قال : ماذا يأمركم ؟ قلت : يقول : أعبدوا الله وحده ولاتشركوا به شيئاً ، واتركوا مايقول : آباؤكم ويأمرنا بالصلاة ، والصدق ، والعفاف والصلة ، فقال : للترجمان : قل له سألتك عن نسبه ، فذكرت أنه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث فى نسب قومها ، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت أن لا ، فقلت : لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت : رجل يأتسي بمن قبله، وسألتك هل كان من آبائه من ملك ؟ فذكرت أن لا ، قلت : فلو كان من آبائه من ملك قلت : رجل يطلب ملك أبيه ، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟

---

(١) هو المعبر عن لغة بلغة وهو معرب ، وقيل : عربى (انظر فتح البارى : ١/٣٤).

فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ، ويكذب على الله وسألتك أشراف الناس اتبعوه ، أم ضعفاؤهم ؟ فذكرت أن ضعفاؤهم اتبعوه ، وهم أتباع الرسل ، وسألتك أيزيدون أم ينقصون ؟ فذكرت أنهم يزيدون ، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم ، وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ، فذكرت أن لا ، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب ، وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا وكذلك الرسل لاتغدر، وسألتك بماذا يأمركم ؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلاة، والصدق، والعفاف فإن كان ماتقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين . . . . الحديث"[1] .

ويستدل أيضاً على ثبوت النبوة : بأن الله أبقى فى العالم الآثار الدالة على مافعله بأنبيائه ومن صدقهم من الكرامة ، ومافعله بمكذبهم من العقوبة[2] .

والبشارة برسالته صلى الله عليه وسلم فى الكتب السابقة المراد منها : حث أتباعها على الإيمان برسالته صلى الله عليه وسلم ، ثم ليجعل فى كتبهم حجة عليهم إذا أخذتهم العصبية ، أو حجبهم حسدهم للأمة التى سيبعث منها ، وقبل مبعثه صلى الله عليه وسلم كان أهل الكتاب ينتظرون ظهور نبي يختم الله به النبوات ، ويأتى برسالة عامة للناس ، وكان اليهود فى الجزيرة العربية يدعون الله أن يفتح عليهم بالنبى المنتظر حتى يتبعوه، ويقاتلون العرب الوثنين معه ، فحينما جاء هذا النبى الموعود به من العرب حسدوهم فكفر به كثير منهم[3] ، وقد بين القرآن هذه

---

(١) صحيح البخارى : كتاب بدء الوحى ، ١/٥ - ٧ .

(٢) انظر شرح العقيدة الأصفهانية : ص ٩٩ ومابعدها ، وكتاب النبوات : ص ٢٣ ومابعدها ، وشرح العقيدة الطحاوية : ص ٩٥ .

(٣) انظر كتاب العقائد الإسلامية : للميداني ، ص ٣٢٦ ومابعدها .

الحقيقة منهم،قال تعالى :" ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين"(١) .

وقال تعالى :" الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون"(٢) .

---

(١) سورة البقرة : آية (٨٩).
(٢) سورة البقرة : آية (١٤٦).

الفرقة الثالثة : من ادعى النبوة لغير الأنبياء : وهم طوائف :-

١ - صائبة حَرّان : ادعت نبوة قوم من الفلاسفة .

٢ - الخرمدينية[١] : الذين زعموا : أن الرسل تترى غير منقطعة[٢] .

٣ - من ادعى من غلاة الروافض نبوة علي رضي الله عنه ، ونبوة كل إمام في وقته[٣] .

٤ - من ادعى أن الله يبعث نبياً ينسخ شريعة محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليزيديه[٤] من الخوارج .

الفرقة الرابعة : المدعون النبوة لأنفسهم :-

وهم كثير ، وقد ظهر منهم مسيلمة الكذاب ، وسجاح بنت الحارث، والأسود العنسي وغيرهم[٥] ، وصاروا يسجعون كلاماً ليوهموا رعاع الناس أنه وحياً من الله ، وقد تبعهم على ذلك الادعاء خلق كثير تعصباً .

---

(١) هم صنف من الإباحية الخرمية ، ظهروا في دولة الإسلام، وهم فريقان : بابكية ، ومازياريه وكلتاهما معروفة بالمحمرة (انظر الفرق بين الفرق :ص ٢٦٦ ومابعدها) .

(٢) انظر أصول الدين : للبغدادي ، ص ١٥٨ .

(٣) وهم السبئية ، والبيانيه ، والمغيرية ، والخطابية ، والغرابية (انظر مقالات الإسلاميين :ص٧ - ١٦، والفرق بين الفرق : ص ٢٢٣-٢٥٢، و التبصير في الدين :ص١٢٣-١٢٩، وأصول الدين : للبغدادي ، ص ١٥٨) .

(٤) هم أتباع يزيد بن أنيسه من الخوارج ، قالوا نتولى المحكمة الأولى ، ونتولى الإباضية (انظر مقالات الإسلاميين : ص ١٠٣، وأصول الدين : للبغدادي ، ص ١٥٨) .

(٥) وقد ادعى القادياني النبوة أيضاً (انظر القاديانية دراسات ، وتحليل : إحسان إلهي ظهير، ص ١٦٠-١٩٨) ،كما ادعى الباب نفسه النبوة أيضاً ، واعتقدت ذلك فيه البهائية ، وقد أخبر عن نفسه بأنه حجة الله على العالمين (انظر المذاهب المعاصرة: ص ٢٥١) .

شبهاتهم، وعلاجهـــــا :-

ليس لدى من ادعى النبوة إلا الوساوس الشيطانية الموافقة للأهواء الضالة، والشبهات الفاسدة.

وتلك الفرقتان يمكن ادماج علاجهما ؛ لأن هدفهما واحد وهو ادعاء النبوة لغير الأنبيـــاء ويتضح ذلك فيما يأتــي :-

١ - أن النبوة، والرسالة منحة إلهية ، واصطفاء من الله لاتنال بالتشهي ، ولا بالمجاهدة، والمعاناة ، وقد كذب الفلاسفة الذين زعموا : أن النبوة تنال بمجرد الكسب، والـدأب في تهذيب النفوس[1] .

وليست واجبة على الله خلافاً للمعتزلة ، ومن وافقهم[2] .

ومما يدل على أن النبوة اصطفاء من الله قوله تعالى :" أولئك الذين أنعم اللـــه عليهم من النبيين من ذرية آدم ، وممن حملنا مع نوح ، ومن ذرية إبراهيم ، وإسرائيل ، وممن هدينا واجتبينا"[3] .

وقال تعالى لموسى عليه السلام: "إني اصطفيتك على الناس برسالاتي ، وبكلامي"[4] .

ولا يلتفت إلى قول اليزيدية من الخوارج ، ولا من زعم أن الرسالات تترى لاتنقطع ؛ لأن هذا مجرد دعوى خالية من الأدلة فهي باطله ؛ فان الأدلة تنص على أن محمداً خاتم النبيين فلا نبي بعده ، وقد أكمل الله به دينه، وجعل رسالته عامة لجميـــع الثقلين ،والدليل على أنه خاتم النبيين، قوله تعالى :" ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً"[5]

---

(١) انظر الرسل والرسالات : د. الأشقر ، ص ٥٩.

(٢) انظر المواقف في علم الكلام:ص٣٤٢، ولوامع الأنوار البهية: ٢/٢٥٦ ومابعدها.

(٣) سورة مريم : آية (٥٨).

(٤) سورة الأعراف : آية (١٤٤).

(٥) سورة الأحزاب : آية (٤٠).

روى البخارى بسنده عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
"إن مثلى ، ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنه من زاويه ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ،ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين"(١)

والدليل على عموم رسالته وشمولها للجميع،قوله تعالى : " وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً"(٢) ، وغير ذلك من النصوص الدالة على عموم رسالته(٣) .

وقد أكمل الله برسالته الدين كله قال تعالى : " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى، ورضيت لكم الإسلام ديناً"(٤) .

وقد نسخ الله برسالته جميع الشرائع السابقة،وقد سبق بيانه(٥) .

٢ - أن المتنبىء الكذاب لابد أن يظهر على حقيقة أمره من الكذب فى نفس مايأمر به ، ويخبر عنه ، ومايفعله ؛ فإن الصدق مستلزم للبر ، بخلاف الكذب ؛ فإنه مستلزم للفجور(٦) ، روى البخارى بسنده عن عبدالله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :"إن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً ، وإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً"(٧) .

---

(١) صحيح البخارى:كتاب المناقب ، باب خاتم النبيين ١٦٢/٤.
(٢) سورة سبأ : آية (٢٨).
(٣) ومن ذلك قوله تعالى:"قل ياأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً" (سورة الأعراف: آية (١٥٨)).
(٤) سورة المائدة : آية (٣).
(٥) عند الكلام على الإيمان بالكتب : ص ٤٠٥ من هذا البحث .
(٦) انظر شرح العقيدة الأصفهانية : ص ٩٠.
(٧) صحيح البخارى: كتاب الأدب، باب قوله تعالى:" ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين " ٩٥/٧.
وانظره فى صحيح مسلم : كتاب الأدب ، باب قبح الكذب ٢٩/٨.

قال تعالى :" هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ، تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ، والشعراء يتبعهم الغاوون ألم ترأنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون : مالا يفعلون "(١) .

ثم إن الناس يميزون بين الصادق، والكاذب بأنواع من الأدلة حتى في المدعين للصناعات :كالفلاحة، والكتابة ونحو ذلك .

ثم لوقدر أن رجلاً جاء في زمان امكان البعث ، وأمر بالشرك، وإباحة الفواحش، والظلم ، والكذب فهل كان مثل هذا يطالب بمعجزة في كذبه أنه نبي حتى ولو أتى بالأحوال الشيطانية من سحر ونحوه(٢) .

والمتنبيء الكذاب لايدوم إلا مدة قصيرة ، وقد رأى بعض ملوك النصارى رجلاً يسب النبي صلى الله عليه وسلم، ويرميه بالكذب فجمع علماء النصارى،وسألهم عن المتنبيء الكذاب كم تبقى مدته؟ فأخبروه أنه لايبقى إلا مدة كذا،وكذا سنة إما ثلاثين سنة ونحوها ، فقال لهم : هذا دين محمد له أكثر من خمسمائة سنة، أوستمائة سنة وهو ظاهر، مقبول، متبوع فكيف يكون هذا كذابا ؟ ثم ضرب عنق الرجل . (٣)

وأما الرسل فقد أيدهم الله بالمعجزات(٤) الدالة على صدقهم ، وأما من ادعى النبوة من الكذابين ؛ فإنهم يأتون بهذيان من الكلام سرعان ماينكشف كما حصل من مسيلمة الكذاب وغيره . .

---

(١) سورة الشعراء : الآيات (٢٢١ - ٢٢٦).

(٢) انظر شرح العقيدة الأصفهانية : ص ٩١.

(٣) ،، ،، ،، ،، : ص ٩٥ ، ٩٦.

(٤) هي أمر خارق لعادة غير الأنبياء ، يظهره الله على يد مدعي النبوة تأييداً له في دعواه .

الفرقة الخامسة : الذين فرطوا ، وأفرطوا في حق الأنبياء وهم اليهود ، والنصارى ومن تبعهم:-

الافراط حصل من اليهود ، والنصارى :

فاليهود زعموا : أن عزير ابن الله ، والنصارى : زعموا أن المسيح ابن الله،وأنه ثالث ثلاثة،قال تعالى : " وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله"(١) .

وأما التفريط ، فإن اليهود قد نسبوا إلى لوط عليه السلام أنه سكر حتى لم يعرف ابنتيه ، ثم وطئهما ، وأحبلهما ، وأن يهوذا بن يعقوب زوج ولده الأكبر من امرأة يقال لها :" تامار" فكان يأتيها مستدبرًا،فغضب تعالى عليه من فعله فأماته ، فزوجها يهوذا من ولده الآخر، ونسبوا إلى يوسف عليه السلام أنه حل تكة سرواله ، وتكة سروال سيدته ، وأنه قعد منها مقعد الرجل من امرأته ، وأن الحائط انشق له فرأى أباه يعقوب عاضاً على أنامله ، وقالوا : إن سليمان كان ساحرًا (٢) ، وإن موسى كان آدرًا (٣) .

العـــــلاج :-

الدين الإسلامي بين الغالى، والجافى، والأدلة الشرعية تنص على الاعتقاد الجازم بأن الأنبياء ، والرسل بشر كغيرهم يجرى عليهم مايجرى على غيرهم من العوارض إلا أن الله خصهم بأمور تفردوا بها عن سائر البشر منها :-

أ - الوحي إليهم من الله : قال تعالى:" قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم

---

(١) سورة التوبة : آية (٣٠).

(٢) انظر إغاثة اللهفان : ٢/٣٣٨ - ٣٦٧، وكتاب الدين الخالص :٢/٤٧٨.
ملحوظـه : وكانوا يجمعون إلى جريمة التكذيب بالأنبياء،والطعن فيهم،جريمة كبرى وهى قتلهم .

(٣) الأدرة بالضم نفخة فى الخصية (انظر لسان العرب : ٤/١٥ مادة " أدر ").

إله واحد "(١) ، فبوساطته يطلعهم الله على المغيبات الماضية والمستقبلة، وغير ذلك من الأمور التي تخصهم دون غيرهم من البشر .

ب - العصمة(٢) في التحمل والتبليغ : باتفاق الأمة(٣)، وإلا لارتفع الوثوق بالأداء ، قال ابن تيمية : (اتفق المسلمون على أنهم معصومون فيما يبلغون عن الله،وبهذا يحصل المقصود من البعثه)(٤) .

وهناك تفصيلات أخرى في حق عصمة الأنبياء ، وماوقع منهم مما يتوهم قدحه في حق عصمتهم تركنا إيرادها هنا طلباً للاختصار، والإشارة تكفي عن العبارة(٥) .

قلت:وخلاصة الكلام في عصمة الأنبياء:أن العصمة المطلقه في كل شيء لم تثبت لأحد من البشر إطلاقاً ، فهي عصمة نسبية ، ففي مجال التبليغ،والتحمل معصومون إجماعاً ، وكذلك منزهون عن كل ذنب فيه خسة ودناءة وفعل مايزري؛ لأنهم قدوة قال تعالى:" لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة"(٦) ، أما في مجال الفتيا،والاجتهاد فيجوز عليهم الخطأ في الجمله

---

(١) سورة الكهف : آية (١١٠).

(٢) لغة : المنع ، والوقاية، والإباء ، واللزوم (انظر لسان العرب : ٢/٤٠٣ - ٤٠٨ مادة " عصم ") ويمكن تعريفها اصطلاحاً : بأنها حفظ الله لأنبيائه،ورسله من تغيير الفطرة قبل النبوة، وبعدها ، ومن تعمد المعاصي،أو البقاء عليها

(٣) انظر التفسير الكبير : ٣/٧ ، والمواقف : ص ٣٥٨ ، ولوامع الأنوار : ٢/٣٠٤.

(٤) منهاج السنة النبوية : ١/٢٢٦.

(٥) انظر أصول الدين : للبغدادي، ص ١٦٨ ، وكتاب عصمة الأنبياء : للرازي بكامله ، وكتاب المواقف : ص ٣٥٨ - ٣٦٧ ، ومنهاج السنة النبوية : ١/٢٢٦ ومابعدها ولوامع الأنوار : ٢/٣٠٣ - ٣٠٥.

(٦) سورة الأحزاب : آية (٢١).

لأنهم بشر لكن لايقـرون عليه مطلقاً [١] ، ووقوع الذنب إن لم يحصل منه تنفير ، فإن التوبة النصوح تكفره مهما بلغ بمشيئة الله ، ثم إن كثرة حسناتهم تذوب بمقابلها تلك الذنوب اليسيرة [٢] .

وفى هذا رد على من فرط،وطعن فى حق الأنبياء عليهم السلام ؛ فإن الأمور الخسيسة التى رماهم اليهود بها فنزهون عنها لايمكن أن تصدر منهم بحال ، مع مكانتهم السامية،وكونهم قدوة يقتدى بهم [٣] .

جـ - التبشير والانذار، وتقويم الفكر المنحرف :

قال تعالى : " كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين " [٤]

د - إقامة الحجة،والبرهان على البشر :

ويؤيد ذلك قوله تعالى : " رسلاً مبشرين،ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل " [٥] .

---

(١) كما حصل للرسول فى أسرى بدر، فإنه عوتب فى ذلك قال تعالى : " ماكان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض" (الأنفال :آية"٦٧") وكذلك عوتب فى إعراضه عن ابن أم مكتوم، قال تعالى :"عبس وتولى أن جاءه الأعمى" ويدل على عدم العصمة فى مجال القضاء ماروى البخارى بسنده عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليهوسلم قال : " إنكم تختصمون إلي ، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً فإنما أقطع له قطعة من النار" (صحيح البخاري: كتاب الشهادات ، باب من أقام البينة بعد اليمين :٣/ ١٦٢ ،صحيح مسلم كتاب الأقضية ،باب الحكم بالظاهر ،واللحن بالحجة= ٥ / ١٢٨) .

(٢) هذا فى الأمور الدينية ، وأما الأمور الدنيوية فيجوز عليهم الخطأ فى الجملة ويدل على ذلك ماروى مسلم بسنده عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بقوم يلقحون فقال : لولم تفعلوا لصلح قال : فخرج شيصاً فمر بهم فقال مالنخلكم؟ قالوا : قلت:كذاوكذا قال : أنتم أعلم بأمور دنياكم" (صحيح مسلم:كتاب الفضائل ، باب وجوب امتثال ماقاله شرعاً دون ماذكره صلى اله عليه وسلم من معايش الدنيا على سبيل الرأي :٧/ ٩٥) .

(٣) انظر كتاب النبوات : ص ٢٠٧ ، ولوامع الأنوار :٢/ ٢٩١ .

(٤) سورة البقرة : آية (٢١٣) .

(٥) سورة النساء : آية (١٦٥) .

هـ - سياسة الأمة بما يصلحهم في دينهم ودنياهم :

وذلك يكون بتحكيم ما أنزل الله فى جميع الأمور ، قال تعالى :" فاحكم بينهم بما أنزل الله"(١) ، وقال تعالى :" ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق"(٢) .

---

(١) سورة المائدة : آية (٤٨).

(٢) سورة ص : آية (٢٦).

الفرقة السادسة : المنكرون للمعجزات أصلاً ، والمدعين أن محمداً صلى الله عليه وسلم عبقرياً كغيره من العباقرة[1] ، أو مصلحاً ، أوزعيماً سياسياً ونحو ذلك من السخافات الباردة وهؤلاء ليس لهم شبهة سوى أن المعجزات لاتتصورها عقولهم الفاسدة الأمر الذى أدى بهم إلى نفيها أصلاً .

العلاج

وهذه الفرقة يمكن أن تعالج بما يلي :-

١ - أن المعجزات منحة من الله لأنبيائه،ورسله للدلالة على صدقهم،وتأييدهم، والله قادر على كل شيء؛فإن أمره إذا أراد شيئاً فإنما يقول له : كن فيكون ، فإنكار المعجزات يؤدي إلى إنكار النبوات أصلاً وبهذا يلحقون البراهمة ومن وافقهم فى هذا الادعاء الباطل، كما أن إنكارها يؤدى إلى إنكار قدرة الله وقد فنّد مصطفى صبرى هذه الفرية ، ورد على من اعتقدها بالتفصيل[2] .

٢ - أن المعجزات الدالة على صدق الرسل من خصوصياتهم التى انفردوا بها عن سائر البشر ، وقد سماها الله فى كتابه آيات ، وبراهين[3] ؛ لأن هذا الاسم يختص بها ، ويدل على مقصودها ، ولفظ المعجزة لم يكن موجوداً فى الكتاب،والسنة، وإنما أحدثه المتكلمون[4] .

وأما العبقرية، والاصلاح، والزعامة السياسية فلاتختص بأحد بل أي شخص متى توفرت فيه الأهلية لتلك الأمور أصبح زعيماً وعبقرياً .
بخلاف المعجزة ففيها تحدى للبشر فهي مختصه بالرسل دون غيرهم .

---

(١) ويميل إلى هذا الانحراف كثير من الكتاب العصريين ، وقد كتب العقاد " عبقرية محمد" وكتاب " حياة محمد" لهيكل مليء بهذا الافتراء الباطل .

(٢) انظر موقف العقل ، والعلم، والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين : ٤/ ٤-٢٨٠.

(٣) كما قال تعالى :"أسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ، واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملائه إنهم كانوا قوماً فاسقين" . (سورة القصص : آية "٣٢") .

(٤) انظر كتاب النبوات:ص٢٠٧ ، ولوامع الأنوار : ٢/ ٢٩١.

شـروط المعجـزة :-

للمعجزة شروط منها :-

١ - أن تكون مما لايقدر عليه إلا الله .

٢ - أن تظهر على يد مدعي النبوة ، وتكون مستلزمة لصدقه لاتنفك عنه(١) .

٣ - أن تخرق العادة على وجه يدل على صدق مدعى النبوة .

٤ - أن تكون مقارنة للدعوى حقيقةً ، أو حكماً (٢) .

أقسـام المعجـزة :-

قسمها البغدادى إلى قسمين :-

١ - تعجيز بفعل غير معتاد مثله : بأن لايدخل تحت قدرة من هو معجزة له،ولاتحت قدرة غيره من الخلق ، ولايقدر عليه إلا اللهتعالى مثل : إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه، والأبرص ، ونحو ذلك مما لايدخل تحت قدرة البشر .

٢ - تعجيز الفاعل بشيء معتاد عن فعل مثله : كمنع زكريا الكلام ثلاث ليال سوياً ، بعد أن كان معتاداً له للدلالة على صحة مابشر به من الولد (٣) .

والمعجزات كلها من فعل الله تعالى خلافاً لمن زعم غير ذلك(٤) .

---

(١) انظر كتاب النبوات :ص١٠٤ ، ١٠٩ ، ٢٠٠ ، والمواقف:ص٣٣٩ .

(٢) انظر المواقف :ص ٣٤٠ .

(٣) انظر أصول الدين : ص ١٧١ ومابعدها .

(٤) خلافاً لمعمر شيخ القدرية حيث زعم أن المعجزات ليس شيء منها من فعل الله لزعمه أن الله خلق الأجسام، والأجسام خلقت الأعراض فى أنفسها ، وليست المعجزة حدوث جسم ، وإنما وجه الإعجاز كون الجسم على وجه لم تجر العادة به(انظر أصول الدين : ص١٧٧ ، والفرق بين الفرق : ص ١٥٢ ، والتبصير فى الدين :ص ٧٤) .

ذكر معجزات الأنبياء إجمالا :-

معجزة آدم علمه بالأسماء من غير درس ، ولا قراءة كتاب،ومعجزة نوح الطوفان وخلاصه منه ، ومعجزة هود الريح وماكان شأنها مع قومه من إهلاكهم .

ومعجزة صالح الناقة، والصيحة التي دمرت القوم ، ومن معجزات إبراهيم كون الله تعالى جعل النار تنقلب إلى ضدها برداً وسلاماً .

ومن معجزات موسى ، اليد البيضاء ، وقلب العصا حيّة ، وسائر الآيات التسع ، ومعجزة عيسى إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه ، والأبرص، ومعجزات محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة جداً ، حتى قال بعضهم : إنه أعطي ثلاثة آلاف معجزة غير القرآن (١) ، ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم :-

١ - القرآن :-

المعجزة الخالدة،الذى لايأتيه الباطل من بين يديه،ولا من خلفه،وهو أفضل المعجزات من وجهين :-

أ - بقاؤه بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، وأما معجزات غيره فلم تبق ، ومابقى منها دخله التحريف والتبديل .

ب - استنباط جميع أحكام الشريعة منه (٢) .

٢ - كلام الجمادات ، والحيوانات :-

وذلك كتسبيح الحصى ، وحنين الجذع ، وتسليم الحجر ونحو ذلك (٣) .

---

(١) انظر أصول الدين للبغدادى : ص ١٨٠ ، والمعجزات وكرامات الأولياء : لابن تيمية ، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا ، ص ٣١-٣٩ ، ولوامع الأنوار : ٢/٢٩٠ - ٢٩٨ ، والعقيدة الإسلاميه وأسسها : ص ٣٤٢ - ٣٧٦ .

(٢) انظر أصول الدين : للبغدادى ، ص ١٨٣ .

(٣) انظر أصول الدين : للبغدادى ، ص ١٨٢ ، والمواقف : ص ٣٥٦ ، والرسل ، والرسالات : ص ١٣٩ ، ١٤٩ .

٣ - نبوع الماء من بين أصابعه ،وانشقاق القمر[1] :

واشباع الخلق الكثير من الطعام القليل[2].

٤ - إخباره بالمغيبات :

من أحوال البرزخ ، ومايكون فى الآخرة وغير ذلك[3] .

٥ - الإسراء ، والمعراج :

القول الصحيح المعتمد فيه هو أن الإسراء، والمعراج كانا فى ليلة واحدة، يقظة بالروح،والجسد معًا من مكة إلى المسجد الأقصى إلى السموات العلى إلى سدرة المنتهى إلى حيث شاء الله تعالى[4] ، قال تعالى: "سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً منالمسجد الحرام إلى المسجد الأقصى[5]" ، والعبد يطلق على الروح والجسد معًا .

---

(١) وفى هذا رد على النظام فى إنكاره انشقاق القمر ، وتأويله لذلك (انظر الفرق بين الفرق : ص ٤٩).
وقد ورد ثبوته قطعًا فى القرآن قال تعالى: " اقتربت الساعة ، وانشق القمر،وأن يروا آية يعرضوا ويقولوا : سحر مستمر " (سورة القمر : آيتا "١ ، ٢") .

(٢) انظر أصول الدين للبغدادى: ص١٢٨ ،والمواقف:ص٣٥٦ ، ولوامع الأنوار : ٢٩١/٢ - ٢٩٤ ، والرسل ، والرسالات : ص ١٣٥ ومابعدها .

(٣) انظر المواقف : ص ٣٥٦، والرسل،والرسالات : ص ١٤٧ - ١٤٩.

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن : ٢٠٥/١٠ - ٢١٠ ، زاد المعاد : ٤٧/٢.
ولوامع الأنوار : ٢٨٨/٢، والرسل،والرسالات : ١٣٤.

(٥) أول سورة الإسراء : آية (١).

الفرقة السابعة : الذين أنكروا الوحي إلى الأنبياء ، والرسل ، وهؤلاء صنفان :-

أ - الذين قالوا : إن الرسل ، والأنبياء صاروا كذلك بالإلهام فقط.

شبهتهم ، وعلاجها :

قالوا : لايمكن أن تكون نبوتهم عن خطاب،أو نزول ملك من الملائكة لانتفاء المخاطبة الجسمانية عنه تعالى ، والملائكه من العالم العلوى بسيط لاتهبط كما أن العالم السفلى كثيف لايعلو فلم يبق إلا الإلهام[1] .

وقد أبطل الماوردى هذه الشبهة من وجهين :

١ - أن مابطل به إلهام المعارف فى التوحيد كان إبطال المعارف به فى النبوة أحق.

٢ - أن الإلهام خفي غامض يدّعيه المحق ، والمبطل؛ فإن ميزوا بينهما طلبت أمارة، ،وإن عدلوا عن الإلهام فذلك دليل على بطلانه[2] .

ب - الذين قالوا : إنما صاروا أنبياء ؛ لأن الله خصهم بكمال العقول لكي يتوصلوا بها إلى حقائق الأمور ، فلا يشتبه عليهم منها مايشتبه على غيرهم فصاروا أنبياء من هذه الناحية ، وتلك شبهتهم[3] .

والجواب عن ذلك :-

يتضح بابطال تلك الشبهة من وجهين :-

١ - أن هذا يقتضى فضل العلم فى حقه ، ولا يقتضيه فى غيره .

٢ - أن أخبر عن نفسه لم يكن رسولاً ، وإن أخبر عن ربه كان كاذباً[4] فالحق أن الرسل موحى إليهم إما بخطاب مسموع ، أو بوساطة ملك منزل .

---

(١) انظر أعلام النبوة : ص ٢٤، ٢٥، وتلبيس إبليس : ص ٧٧ ومابعدها .
(٢) انظر أعلام النبوة : ص ٢٥.
(٣) انظر المصدر نفسه: ص ٢٦.
(٤) انظر المصدر نفسه: ص ٢٦.

شروط صحة النبوة :-

١ - أن يكون مدعى النبوة متصف بصفات تؤهله لها : كالصدق ، والأمانة،والفطانة، والذكورة ، وغير ذلك .

٢ - إظهار معجز يدل على صدقه ، ويعجز البشر عن مثله،يصح بذلك دعوى رسالته.

٣ - أن يقرن بالمعجزة دعوى النبوة ؛ لأن المعجز يدل على صدق الدعوى فكان صفة لها فالصفة تكون بعد الموصوف ، فإن تقدم كان إرهاصاً وتأسياً للنبوة ككلام عيسى فى المهد (١).

والجواب عما قالوه : من امتناع مخاطبة الأجسام عدم التسليم بذلك ، فإن الله بمقتضى حكمته يودع خطابه فى الأسماع حتى تعيه الآذان وتفهمه القلوب بقدرته التى أخفاها عن خلقه (٢) .

والجواب عما ذكروه من أن جرم الملائكة علوى لايهبط إلى أسفل من وجهين :

أ - أنه لايمتنع أن ينتقل جرم سماوى لطيف إلى جرم أرضي كثيف إما بزيادة ،أو انقلاب كما يقولون : فى العقل ، والنفس إنهما جرمان علويان هبطا إلى الجسم فحلاّ فيه (٣) .

ب - أنهم يقولون : بانقلاب الأجرام الطبيعية ، فالهواء المركب من حرارة ، ورطوبة إذا ارتفعت حرارته ببرودة صار ماء ، فإذا جاز ذلك فى انقلاب الطبائع كان فى فعل الله أولى (٤) .

---

(١) انظر أعلام النبوة : ص ٢٧ .

(٢) انظر المصدر نفسه: ص ٢٦ .

(٣) وهذا كلام الفلاسفة ، ومن نحانحوهم وهذا باطل؛لأن الروح من أمر الله .

(٤) انظر أعلام النبوة : ص ٢٦ .

والأدلة الشرعية تدل على أن ماجاؤا به وحياً من الله[1] قال تعالى: " إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح ،والنبيين من بعده ، وأوحينا إلى إبراهيم، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب،والأسباط ، وعيسى ، وأيوب ، ويونس ، وهارون ، وسليمان، وآتينا داود زبوراً "[2] .

أنواع الوحي ثلاثة[3] :-

جمعتها هذه الآية قال تعالى: " وماكان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً ، أومن وراء حجاب أويرسل رسولاً فيوحى بإذنه مايشاء إنه علي حكيم "[4] .

وقد فسر قوله : " إلا وحياً " بالرؤيا التى يراها النائم فى منامه[5] ، أوإلهاماً وهو مايقذف فى القلب ولايلتفت إلى شبهات من أنكر الوحى بتاتاً زاعماً أنه يتنافى مع العقل، والواقع، فتلك الشبه صادرة منملاحدة لايؤمنون بشيء غير هذا العالم المادى المحسوس.[6]

---

(١) لغة: الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفى(انظر لسان العرب: ٣٧٩/١٥ - ٣٨٢" مادة وحى") .
وشرعاً : التعليم السرى الصادر من الله إلى البشر، بوساطة، أومباشرة(انظر مناهل العرفان : ٥٦/١) .

(٢) سورة النساء : آية (١٦٣) .

(٣) هي :-
١ - الإلقاء فى روع النبى الموحى إليه .
٢ - تكليم الله لرسله من وراء حجاب، وقد حصل لموسى ، وللنبى صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء.
٣- الوحي إلى الرسول بوساطة الملك كما كان جبريل يأتى النبى صلى الله ليه وسلم، ويلحق بذلك الرؤيا الصادقة للأنبياء، لماروى البخارى بسنده عن عائشة قالت: " أول مابدى به الرسول صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة فى النوم"(صحيح البخارى: كتاب بدء الوحي، ٣/١) ، وكما حصل لإبراهيم من رؤياه فى المنام من ذبح ابنه إسماعيل.

(٤) سورة الشورى : آية (٥١) .

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن : ٥٣/١٦ .

(٦) انظر تلك الشبه مفصلة فى كتاب مناهل العرفان : ٥٦/١ - ٨٤ .

وقد روى البخارى بسنده عن جابر بن عبدالله الأنصارى قال : وهو يحدّث عن فترة الوحي فقال فى حديثه:" بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصرى فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسي بين السماء ، والأرض فرعبت منه فرجعت فقلت: زملونى ، فأنزل الله تعالى :" يا أيها المدثر قم فأنذر - إلى قوله : والرجز فاهجر"(١) فحمي الوحي ، وتتابع"(٢) .

تم بحمد الله الجزء الأول

ويليه الجزء الثانى وأوله المبحث الخامس: الانحراف فى مفهوم الإيمان باليوم الآخر وعلاجه فى الإسلام .

---

(١) سورة المدثر : الآيات (١-٥).
(٢) صحيح البخارى : كتاب بدء الوحي ، باب (٣) ٢٧/١.